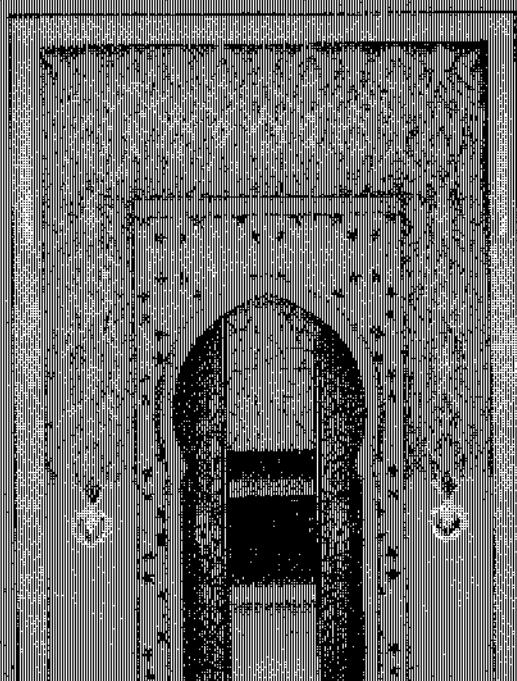


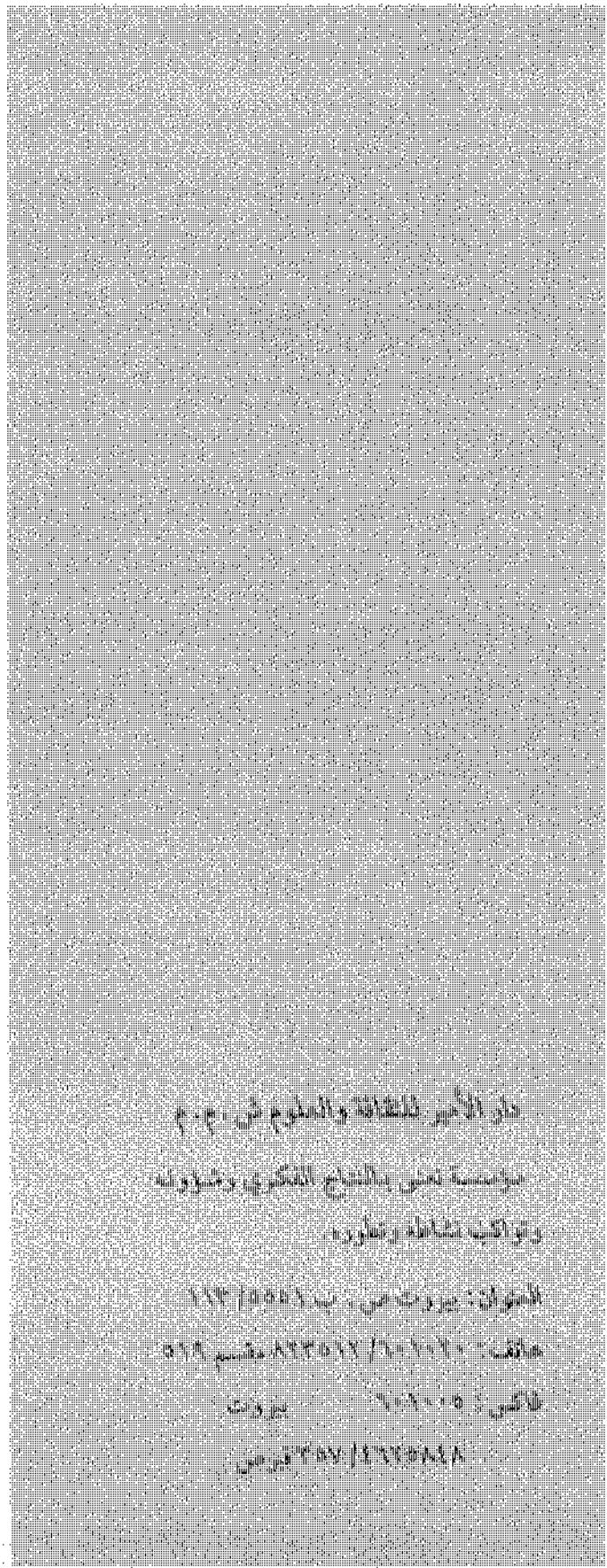
الطبعة الأولى لطبع رجب

الموسوعة العالمية للتاريخ المغرب و الإندلس

قسم شعارات المسار

أحمد بن سودة



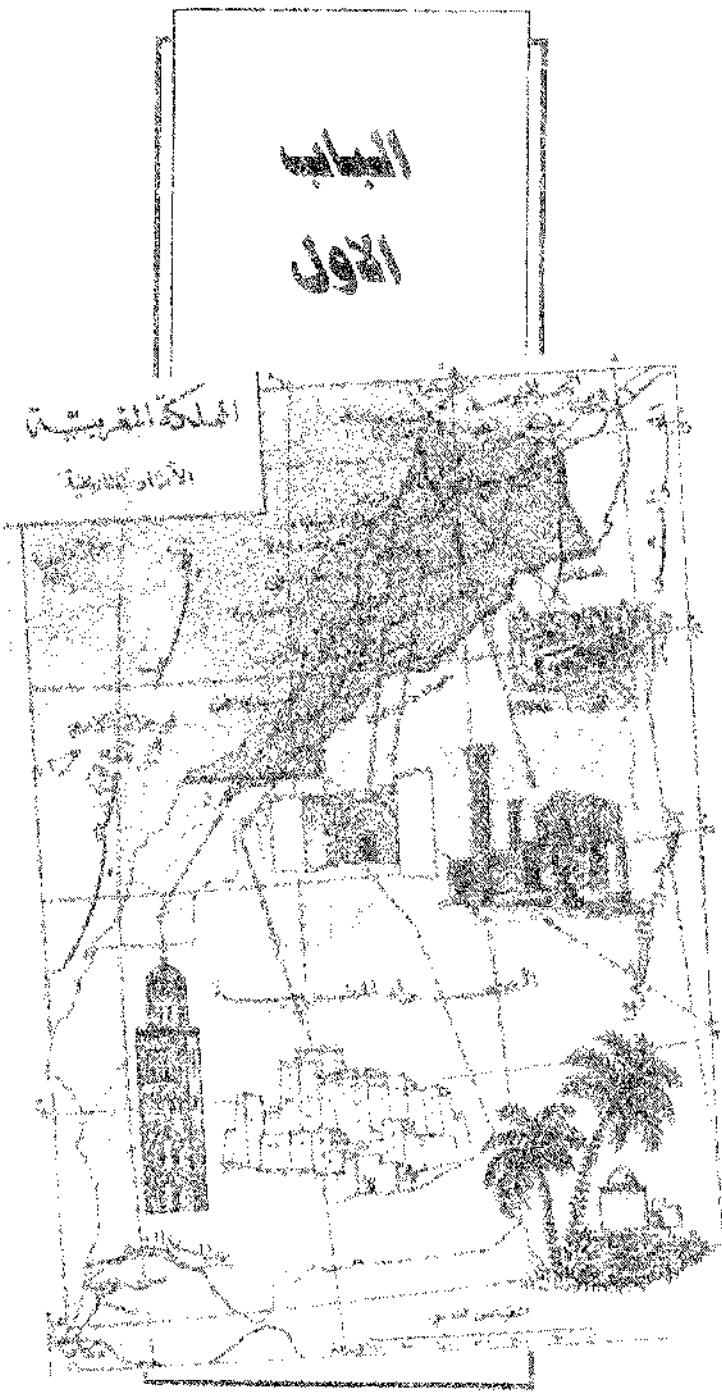


الموسوعة العامة
لتاريخ

المغرب و الإنكليس

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر
الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م





الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

**الفصل
الأول**

المقدمة الأولى

المغرب والحضارة

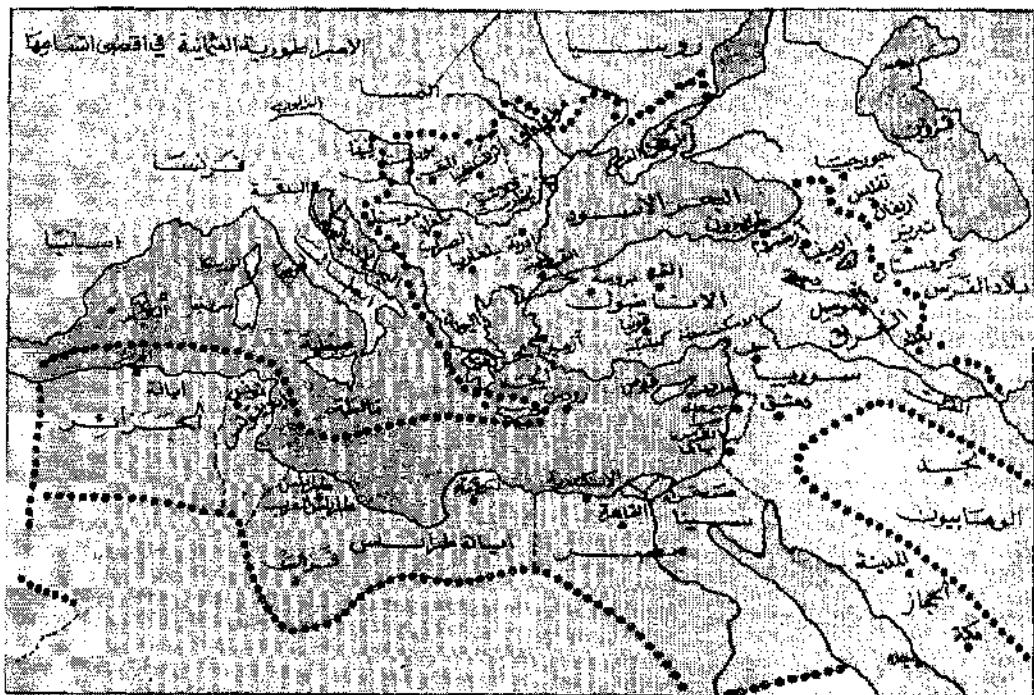
حمل المغرب مشاعل الحضارة بيديه الاثنتين طيلة القرون الوسطى، بعد ان امترجت الحضارة العربية بالحضارة المغربية الكنعانية - في القرن السابع الميلادي ، وعندما فتح العرب المسلمين المغرب الكبير ، أو شمال إفريقيا بقيادة البطل العربي عقبة بن نافع ، انتشرت الدعوة الإسلامية في ربوعه الفساح وقد لقيت معارضة من بعض القبائل الكنعانية «البربر» في أول الأمر في حين كانت قد استقبلت من بعض السكان والقبائل الأخرى بالترحيب والاقبال على اعتناق الديانة الإسلامية ، ولم يمض قرن واحد من الزمن حتى كان الإسلام قد انتشر انتشاراً واسعاً في بلدان المغرب الكبير من الحدود المصرية إلى المحيط الأطلسي فصهر السكان ووحدهم في بوتقة الإيمان وأصبحوا جميعهم بنعمة الله أخواناً بعد ان ظهر لهم الإسلام من الشرك وانتشلهم من براثن الوثنية .

وكان إدريس الأول المنحدر من سبط الرسول محمد العربي (ص)،

أول من وضع الأسس والمداميك لاستقلال المغرب. بانفصاله عن الخلافة العباسية، ومنذ ذلك التاريخ حافظ المغرب على استقلاله. ولم تتمكن أية دولة أجنبية من احتلال أراضيه حتى عام ١٩١٢ من هذا القرن - أي القرن العشرين.

العثمانيون يحاولون ضم المغرب إلى إمبراطوريتهم

لقد حاول العثمانيون ضم المغرب إلى أجزاء العالم العربي الأخرى في الشرق الأوسط التي كانوا يحتلونها، لتوسيع إمبراطوريتهم ولكنهم أخفقوا وظل المغرب بلدًا مستقلًا، في حين خضعت الجزائر وتونس للدولة العثمانية، وكذلك الدول العربية في الشرق الأوسط زهاء ٤٠٠ عام.



وبعد سقوط الدولة الأموية الثانية في الأندلس. استجاب الخليفة المغربي يوسف بن تاشفين. أعظم ملوك أسرة المرابطين الصنهاجية، إلى

الاستغاثة التي وجهها إليه علماء الأندلس وأعيان البلاد لانتقادهم من حكم أمراء الطوائف في بلادهم فلبي الدعوة في الحال وقضى على أولئك الأمراء وضم الأندلس إلى دولته المغربية، وأصبحت مدينة مراكش العاصمة الكبرى التي تتطلع إليها العيون وتهفو إليها الأفئدة. كما اتخذ أشبيلية عاصمة ثانية له في الأندلس.

وكان عهد المرابطين الذي جاء بأعقاب حكم الأدارسة، من العهود الظاهرة في تاريخ المغرب، ولكنه. كان قصير الأمد «١٠٦١ - ١١٤٧» عندما دخل زعيم الموحدين يومذاك عبد المؤمن بن علي مدينة مراكش وأنهى حكمهم فيها.

دان المغرب للموحدين الذين استمر حكمهم حتى أواسط القرن الثالث عشر وكان لملوكهم الفضل الأعظم في توحيد دولة المغرب الكبرى بعد أن ضموا إليها الجزائر وتونس وطرابلس بما في ذلك الأندلس وهكذا فقد توحد لأول مرة في تاريخ الإسلام الساحل الأفريقي قاطبة من المحيط الأطلسي إلى حدود مصر مع الأندلس تحت صولجان واحد أما دولة المرابطين فما كانت تشمل خارج مراكش إلا إسبانيا وجزءاً من الجزائر^(١).

ازدهار الحضارة المغربية الأندلسية في عهد الموحدين والمرinيين

في عهد الموحدين تألقت الحضارة المغربية - الأندلسية حتى بلغت أعلى ذرواتها، ثم استمر ازدهارها في عهد خلفائهم بني مرين الذين شكلوا الأسرة الثالثة التي حكمت المغرب الكبير والأندلس وفي هذا العصر ازدهرت الفنون التي شاهد آثارها في مدارس مدينة فاس وهي حاضرة المغرب المزدهرة التي بناها الأدارسة، كما تألق فن العمارة بشكل ملحوظ

(١) راجع في ذلك تاريخ العرب المطول لفليب حتى ص ٦٥٠ .

وتوطد الأمن بالبر والبحر، بجيش المغرب الكبير وأسطوله الذي بلغ عدد سفنه الحربية زهاء ٥٠٠ قطعة ولكن هذا الأسطول ما لبث ان حطمته عاصفة هوجاء قضت عليه . وكان ذلك إيداناً بزوال عهد القوة والمنعة . فعاد الإسبان واحتلوا الأندلس ما عدا مقاطعة غرناطة ، وحل بنو وطاس محل ملوكبني مرين ولكنهم عجزوا عن وقف المد البرتغالي فراحت السفن البرتغالية تجتاح شواطئ المغرب المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، والشواطئ المطلة على المحيط الأطلسي ، فتمكنوا مع الزمن من الاستقرار في عدد من المدن الساحلية .

وحاولت الأسرة السعودية التي جاءت بأعقاببني وطاس المحافظة على الإمكان على عظمة الدولة ونجحت لحد ما في إعادة المغرب إلى مكانته السابقة ، إبتداء من القرن السادس عشر حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي .

وبعد عام ١٦٦٠ تأسس حكم الأسرة العلوية وهي التي ما زال يرتقي ملوكها العرش المغربي حتى اليوم .

وليس من شك في ان الحضارة المغربية كانت لها آثارها البينية على الحياة المغربية والأندلسية ، وانعكاسات تأثيرها وازدهارها على القارة الأوروبية كلها . التي كانت معظم أقطارها غارقة في ظلمات الجهل والاقطاعية والاستبداد الذي عم أرجاءها طيلة القرون الوسطى - في حين كان كل من المغرب والأندلس ينعمان بحضارتهم الثقافية الوارفة الظلالة وفي هذا الوقت كان النابهون من الأوروبيين يقصدون جامعة القرويين في فاس ومدارس العلم والثقافة في قرطبة وشبيلية في الأندلس ، وكانت أول جامعة كبيرة قد انشئت في فاس هي جامعة القُرويين ، واعتبرت أول جامعة تأسست لتلقي العلم في العالم حوالي سنة ٢٤٥ هجرية الموافق لسنة ٨٥٩

ميلادية. في حين اعتبرت جامعة بولونيا Bologne في إيطاليا التي تأسست عام ١١١٩ الثانية وجامعة أكسفورد التي تأسست عام ١٢٢٩ الثالثة. وجامعة السوربون التي تأسست عام ١٢٥٧ الرابعة.

منارة فاس المتألقة

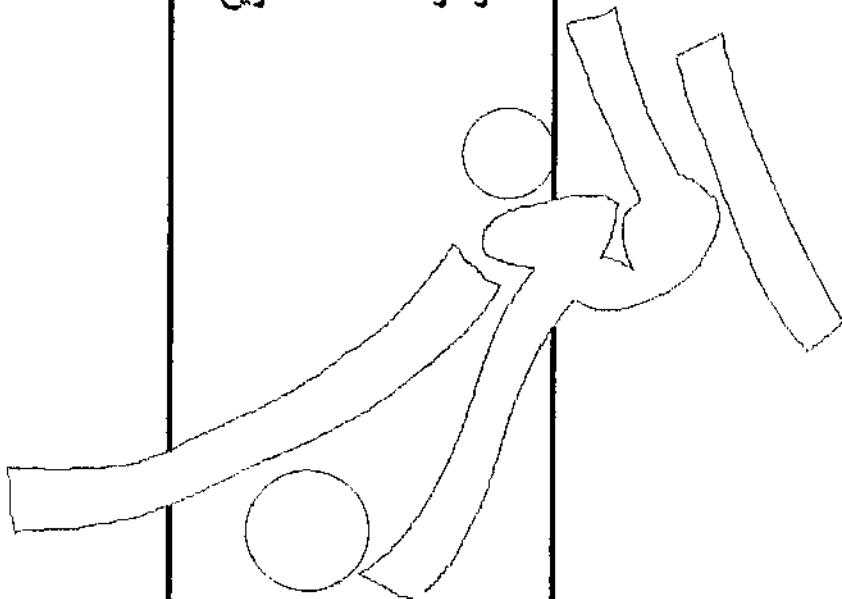
هذا مع العلم بأن صروحًا أخرى للعلم كانت قد تأسست في مكة وجامع الزيتونة في تونس، والأزهر في مصر، والمسجد الجامع في البصرة، ومدارس الأمويين في دمشق، والعباسيين في بغداد، ولكن قصبة السبق في الأقدمية لم تفر بها سوى جامعة القرويين في فاس. حيث كان الموحدون وبنو مرين بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر يفجرون بنابيع الثقافة في فاس، ويحتضنون نخبة من العلماء المشاهير من أمثال ابن رشد وابن طفيل الفيلسوف. والأدريسي الجغرافي، وابن خلدون العالم الاجتماعي والمؤرخ، وابن بطوطة الرحالة المشهور وغيرهم.

ولو قيس للمغرب أن يحتفظ بحضارته التي جعلت منه وطنًا للاشعاع في القرون الوسطى - إلى يومنا هذا - بما كان سيرافق تلك الحضارة من تفجير لينابيع الخلق والابتكار والإبداع والتطوير للعلوم والفنون، لتغيرت مسيرة التاريخ وأصبح المغرب معهم في الشرق الأدنى في المكانة العظمى التي يتمتع بها الغربيون في هذا العصر.

ولكن أدوات بناء الحضارة المغربية، التي حملها سلاطينه وملوكه العظام في أيان نهضته ما لبست أن انتقلت إلى أيدي الهدامين من شباب الأسر المالكة التي حكمت المغرب - ممن ورثوا العرش فاستحالت في أيديهم إلى معاول لهدم الحضارة المغربية، فتناحر الأخوة على احتلال السلطة وتقاتلوا واسالوا الدماء في جميع أنحاء المغرب، ولهذا السبب كان عمر الحكم

بالنسبة للأسر التي حكمت المغرب قصيراً، ومع ذلك فقد ظلت الحضارة المغربية قائمة وثابتة بالرغم من تقلب الحظوظ وتعدد الانقلابات. إلى أن بدأت الدسائس الأجنبية تتدخل في حياة المغرب وسياسته، وبدأت مع ذلك التدخل عهود الانهيار التي تأخر المغرب بسيبها قرونًا طويلة.

الموسوعة العامة للتاريخ



والأندلس

الفصل الثاني

الدولة العلوية في المغرب

بدأ الحكم العلوي على انقضاض حكم السعديين الذين عجزوا خلال السنوات الأخيرة من حكمهم عن الاحتفاظ بالاستقلال الشامل للوطن المغربي ، بعد ان دب الفساد القبلي في جسم الدولة ، وكثير الطامعون بالحكم والانفصال ، وتمادوا في بذر بذور الفتنة والتفرقة ، مما أدى إلى ظهور الأسرة العلوية الجديدة التي عز على أئمتها ان يروا بأعينهم انهيار الدولة ، وهم احفاد الحسن الداخل حفيد سبط الرسول . وأما الأرض الطيبة التي انطلقت منها ثورتهم على الفساد فكانت مدينة سجلماسة العريفة .

وكان الحسن الداخل قد عاش في سجلماسة عيشة التقى والصلاح فتنافست القبائل والسكان على حبه واحترامه ، ولما حاول أبو حسون السملالي المنشق على الشرعية والعرش في أواخر حكم السعديين ، ان يفرض عقوبته وانشقاقه على سجلماسة وببلاد السوس . تصدى له الشريف بن علي من أحفاد الحسن القائم «الداخل» فرَّجَه أبو حسون في السجن ، وعندئذ ثار عليه المولى محمد نجل الشريف بن علي ، وبايته القبائل والسكان ليخلص المغرب من المنشقين والفاشدين ، فكان لذلك

أول إمام من الأسرة العلوية انبثت به أعباء الحكم وإعادة الأمان والطمأنينة إلى البلاد عام ١٦٥٩.

وجاء بعده المولى رشيد ولكنه قتل في العام ١٦٧١ فتولى زمام الحكم المولى إسماعيل آخر المولى رشيد من العام ١٦٧٢ إلى ١٧٢٧ ، وقد دام عهده أكثر من نصف قرن ، وكان معاصرًا للولي العظيم الرابع عشر ، ومع أنه تمكّن من أن يعيد إلى المغرب قوته ومناعته وازدهاره لدرجة أن الدول الغربية كانت تخطب وده ، وتحسب له ألف حساب إلا أنه كان مزواجاً فقد أُنجب عدداً كبيراً من الأبناء الذين فرقت بينهم المنافسات والأطماع ، فأحالوا البلاد إلى ميدان لسفك دماء أبناء الشعب المُسَيَّعين لهذا أو ذاك من أبنائه .

وكان للمولى إسماعيل أخطاء كثيرة ، ولكن أعظمها هو أنه جند الأفارقة السود وجعلهم يسيطرون على الجيش ، كما فعل المعتصم العباسي من قبل عندما حلّ ديوان الجندي العربي في بغداد ، وسرح القادة العرب وأحل مكانهم المماليك من الأتراك الجلب . وكما عمل مماليك المعتصم على تدمير الخلافة العباسية في بغداد والشرق الأوسط ، عمل الأجناد السود على تمزيق عرى الوحدة المغربية فصاروا يؤيدون ويرفون على العرش المغربي كل أمير من أبناء إسماعيل قادر على رفع رواتبهم واتحافهم بالهدايا والذهب الرنان .

وبينما كان الإشعاع الحضاري يخبو في المغرب ، كان هذا الإشعاع يطلع في أوروبا التي شرعت تستيقظ في أول عهد النهضة ابتداء من القرن الخامس عشر ، ثم تلا ذلك عصر اكتشاف البحار وقطار سكة الحديد والباخرة التجارية والبحرية التي تسير بالبحار . في حين ظلت مراكب المغرب تسير بالأشعرة والمجايف . وكان ذلك مدعاة للتفوق الأوروبي

على المغرب الذي أخذت شمس حضارته تميل نحو الغروب.

وراحت الأوضاع في المغرب تنتقل من سيء إلى أسوأ خلال حكم أبناء المولى إسماعيل وأحفاده، إلى أن ظهرت فرنسا على مسرح القوة في أوروبا.

ومن المعلوم أن علاقات فرنسا بالمغرب تعود إلى القرن السادس عشر، ففي سنة ١٥٣٣ أرسل فرانسوا الأول وفداً إلى السلطان أحمد بن محمد.

وفي سنة ١٥٥٩ عقد انطوان دي بوربون ملك نافار ووالد هنري الرابع معاهدة مع السلطان السعدي مولاي عبد الله، ثم تلتها معاهدة جديدة سنة ١٦٣٥ بين لويس الثالث عشر والسلطان الولي.

وقبل مرور نصف قرن على ذلك عقد لويس الرابع عشر معاهدة أخرى مع السلطان إسماعيل، وفي سنة ١٨٠٧ استقبل نابليون بونابرت رسولاً خاصاً من السلطان سليمان بن محمد.

ومن هنا يتضح أنه كان ثمة تبادل سياسي وتجاري بين المغرب وفرنسا، ولكن بريطانيا ما لبثت أن زاحمت فرنسا على مكانتها في المغرب خلال القرن التاسع عشر، لأن معظم تجارة المغرب الخارجية كانت مع بريطانيا، وكان ممثلاً بريطانيا في عهد الملكة فكتوريا بين الدبلوماسيين الأجانب الذين استشارهم السلاطين المتعاقبون.

الاطماع الفرنسية في المغرب

ولكن فرنسا التي كانت تريد أن تؤسس لنفسها امبراطورية في شمال إفريقيا لتنافس بها الامبراطورية البريطانية سرعان ما احتلت الجزائر سنة

وكانت ما تزال تابعة للأمبراطورية العثمانية المحتضرة، وبقفزة أخرى احتلت تونس سنة ١٨٨١.

ولكن عين الفرنسيين كانت ما تزال مُصوّبة نحو المغرب، ففي سنة ١٨٦٠ نشر في فرنسا مجلداً بعنوان «وصف المغرب وتاريخه» من تأليف ليون غودار الذي كان أسفقاً في الجزائر، فوضع هذا الأسقف تصميماً لاحتلال المغرب في المستقبل، وكان مما قاله: يجب أن نبدأ الحرب من جهات مختلفة بحيث يستحيل على سلطان المغرب أن يعرف كيف يركز دفاعه، وعندما يجب أن نبحث عن مدعٍ للعرش وننصبه سلطاناً على البلاد تحت طاعتنا وإشرافنا.

وبينما كان السلطان الحسن الأول، يعمل جاهداً على توطيد وحدة البلاد وحمايتها من الضغوط الاستعمارية التي فرضتها أوروبا على المغرب منذ عام ١٨٧٣، توفي عام ١٨٩٤ فانتقل العرش إلى ولده عبد العزيز وكان حدثاً لا يزيد عمره على ١٣ عاماً وهو السن الذي يحافظ به السلطان عادة بالأوصياء وأوامر النهي وكلمات الإغراء المعسولة.

وما كاد عام ١٩٠٠ يذر قرنه حتى كانت فرنسا واسبانيا تستعدان لغزو المغرب وذلك في عهد السلطان عبد الحفيظ.

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

**الفصل
الثالث**



مَا يَرَى اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْفَارِسِ

المقدمة الثانية

محمد الخامس الملك القائد

ان تاريخ الملك المغفور له محمد الخامس حافل بجلائل الأعمال وسمو العطاء وعظم التضحيه . وكلها مآثر عظيمة لا يؤديها ولا يبذلها سوى المخلصين لأوطانهم وقضايا شعوبهم وأولئك هم نخبة النخبة .

وقد قدم هذا الملك العظيم لوطنه المغرب أعظم هبة يمكن ان يقدمها ملك لوطنه وشعبه ألا وهي : الحرية .. والاستقلال .. والدستور .. فترج بها مآثره أبد الدهر .

لذلك .. فان تاريخه يستحق أكثر من كتاب وأكثر من مجلد إذا ما أردنا ان نعدد مزاياه أو أن نتحدث عن الأعمال العظيمة التي قام بها خلال سنوات حكمه التي زادت على ثلث قرن .

وقد تميز بالشجاعة الخارقة والبطولة الفذة ، كما بروزاً قل مثيله بين الشخصيات العالمية المعروفة ، بكفاحها الطويل ونضالها الدائم ضد المستعمرین . والفرق بينه وبين الشخصيات العالمية التي تألفت تحت أضواء

الدعية والاعلان في كفاحها ضد النازية الالمانية، هو أنه كان يكافح بعض تلك الدول الاستعمارية التي انتصرت على القوة النازية بقوة السلاح، وليس بقوة المبادئ المستقيمة.

لقد خاض الأوروبيون المستعمررون حربين عالميتين من أجل ثبيت احتلالهم لأكثر من ثلاث قارات، وحاربوا بكل إمكاناتهم لبقاء المانيا بعيدة عن مناطق نفوذهم، في حين كانت المانيا الدولة الأقوى ولكن نصيبها في التركة الاستعمارية كان قليلاً جداً.

ومن هنا ندرك ان الحربين العالميتين كانتا ذات أهداف استعمارية بحتة، بينما كان ملك المغرب يكافح الحلفاء المستعمررين لتحرير وطنه المغرب من الاستعمار والعبودية.

و قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى تمكنت كل من فرنسا وأسبانيا بواسطة المعاهدات السرية، والسياسة القائمة على الخداع والكذب وتزوير الحقائق من بسط نفوذهما وثبتت أقدامها في المغرب، بعد ان اعتلى عرشه بالتتابع السلطان عبد العزيز ومن بعده أخوه السلطان عبد الحفيظ ثم أخوهما الثالث السلطان يوسف والد سيدي محمد بن يوسف.

وفي خلال عهد هؤلاء السلاطين الثلاثة لم يتوقف الشعب المغربي عن كفاحه ونضاله وثورته المسلحة التي قادها أبطال ميامين من أمثال الشيخ ماء العينين بطل الصحراء المغربية وأبناؤه وقادة الأطلس والأمير عبد الكريم الخطابي بطل معارك الريف في شمال المغرب.

وبعد وفاة السلطان يوسف اعتلى محمد الخامس عرش آبائه وجدوه العلوين وليس له من العمر سوى ستة عشر ربيعاً.

ويجلسه على عرش المغرب أباح الله لذلك البلد المجاهد ملكاً

شاءت إرادته القاطعة أن يكون تحرير المغرب على يديه . ففي عهد السلاطين السابقين كان الكفاح المسلح ينطلق من القاعدة العريضة ضد المستعمر، ولكن الكفاح انطلق من القمة في عهد الملك محمد الخامس .

وسرعان ما وجدت إدارة الحماية الفرنسية نفسها أمام ملك يتميز بعقلية متحركة ، وطاقات متعددة ، تتجدد باستمرار وعزيمة أقوى من الفولاذ وقناة لا تلين ، وصبر على الشدائد . فجن جنون المستعمر .

ووجد الشعب المغربي بملكه المناضل الأمل المفقود وكأنه دعوة مخلصه استجابة لها الله . . . ورجلًا لا كالرجال ، وملكًا لا كالملوك ، وضع نصب عينيه فكرة تحرير المغرب ، وأخذ استقلاله عنوة أخذ اليد ، مهما بلغت الخسائر والتضحيات .

ومع ذلك فقد كان هذا الملك يحاول دائمًا ، إن يتلقى وحده ضربة الاستعمار المباشرة ، بشهامة مثالية وأباء مغربي لا يتزعزع ، حتى لا يعرض رجال الأحزاب والشعب المغربي قاطبة لهجمة الاستعمار الشرسة ووسائل القمع والبطش والأرهاب .

وسرعان ما اكتشف المستعمرون سر الملك النبيل ، فراحوا يوجهون ضربات متلاحقة للشعب المغربي على شكل مذابح الدار البيضاء المفتعلة لكي يرغموا الملك على الرضوخ لمطالبهم وتوفيق قراراتهم .

وكان الشعب المغربي المكافح يقدر تضحيات الملك ، لذلك سرعان ما كان يهبُّ منتفضاً وغضباً ، كلما شعر ان عرش البلاد أصبح مهدداً ، وعندها يثور المغرب بمدنه وقراه وجباره وسهوله وصحاريه للدفاع عن عرين الأسد . فتنقلب ساحات البلاد وشوارعها إلى معارك دامية لا تنفع في تهدئتها كل وسائل الدعاية والاعلان ولا أعمال القمع والبطش

ما كان أعظمها شعباً عندما يثور لكرامته، وما كان أشجعه عندما يملا الساحات والميادين بالأبطال الميمانيين، وما كان أكرمه عندما يوجد بالنفس والنفيس دفاعاً عن الحرية.

وقد شهد الأعداء أنفسهم للملك بالبطولة حتى وصفه بعض الكتاب الفرنسيين بأنه (مهندس الاستقلال) ووصفه الكتاب العرب بأنه (أبو الاستقلال) وهو في الحقيقة صانعه الذي صهر بطولاته في نيران الثورات الشعبية المتتابعة ثم سكبها في بوتقة الحرية، ومنها خرجت قلادة الاستقلال التي تطوق الآن جيد المغرب الحر المستقل.

وقد بدأ جلالته عملاً كعمالة الأساطير عندما أسرع إليه المفاوضون في منفاه - مدغشقر، يتسلون إليه، ان يعود إلى وطنه ملكاً عزيزاً متصرراً.. ورجوه ان يترك لفرنسا ولو قليلاً من ماء الوجه لقد أصبح محمد الخامس ضمير الشعب المغربي ويقينه.

وهو الذي زحف إليه عدوه الجلاوي عميل الفرنسيين على ركبته راجياً ومتوسلاً، ثم رکع ثلاث مرات مقبلاً الأرض بين يديه لكي يغفو عنه حتى خصمه ابن عرفة الذي نصبه المستعمرون سلطاناً دعياً، اعترف بعد تنازله عن العرش «بأن محمد الخامس هو ملك البلاد الشرعي الوحيد». ويومنها كتب فراسوا مورياك يقول : «لم يكن سيدي محمد بن يوسف [الملك] قط أقوى منه اليوم، ونحن الآن أكثر اعتماداً عليه من اعتماده علينا».

خطوة واحدة إلى الوراء وخطوتان اثنان إلى الإمام

وكان جلالته على شدة بأسه وصلابته في المواقف الوطنية يضطر أحياناً إلى استعمال أسلوب المرونة، حتى يحمي الشعب من انتقام أبالسة

الاستعمار، وكثيراً ما كان يستنجد بياده عندما كان المقيم الفرنسي العام يخирه بين أمرين: أما التوقيع على بيان توجه فيه تهمة الالحاد إلى رجال حزب الاستقلال أو التنازل عن العرش، وأما أن يوقع على القرارات التي كان يرفض التوقيع عليها أو يخلع عن العرش وأمثال ذلك من الوقاحة والغطرسة الاستعمارية، وعندئذ، كان جلالته يلتجأ إلى كلمته المشهورة: خطوة واحدة إلى الوراء لنكسب خطوتين إلى الأمام..

وقد نجحت كلمته المأثورة هذه ثلاثة مرات ففي كل مرة كان جلالته يتراجع خطوة إلى الوراء.. ثم لا يلبث أن يكسب خطوتين إلى الأمام..

ولما استعمل نفس المرونة في المرة الأخيرة كلفته الخطوة التي تراجع فيها إلى الوراء.. رحلة النفي إلى مدغشقر.. ولكن سرعان ما فاز بعدها بخطوتين إلى الأمام، ففي الخطوة الأولى عاد من النفي إلى بلاده عزيزاً مكرماً ومتصرراً أيضاً.. وفي الخطوة الثانية عاد من باريس وهو يحمل وثيقة الاستقلال.

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

**الفصل
الرابع**



سراويلة عناصر اليمقرن بـ الملك الحسن الثاني

الملك الحسن الثاني

وقد عانى الملك الحسن الثاني في حياة والده نفس المعاناة وكان آخرها النفي مع والده وبعد وفاة المغفور له الملك محمد الخامس في السادس والعشرين من شهر شباط / فبراير ١٩٦١ أخذ الملك الحسن الثاني على عاتقه إتمام رسالة والده، فحرر البلاد من الجيوش الأجنبية، ثم عكف على تنظيم البيت المغربي فأصدر ثلاثة دساتير كان آخرها دستور عام ١٩٧٢.

لذلك لقب بأبي الدستور، ثم راح يكرس جهوده لتحرير الصحراء المغربية، وشرع في التفاوض مع الحكومة الأسبانية التي تحتلها، ولما شعر بأن الأسبانيين يماطلون بالجلاء بعد اعترافهم باستقلال المغرب، ابتكر فكرته الرائعة: المسيرة الخضراء، وهي التي أعقبتها فكرة الجلاء، وبذلك تحررت الصحراء المغربية.

وكانت فرحة العمر.. فرحة الشعب المغربي عندما وجد نفسه قد تحرر من قيود المستعمرتين، وبلاده قد تحررت من وجود جيوشهم البغيضة.

والملك الحسن الثاني صاحب مآثر كثيرة من أهمها انه من أبرز رواد التضامن العربي وقد نادى به وحث عليه في كل مؤتمرات القمة ابتداء من مؤتمر القمة في الرباط . سنة ١٩٧٤ .

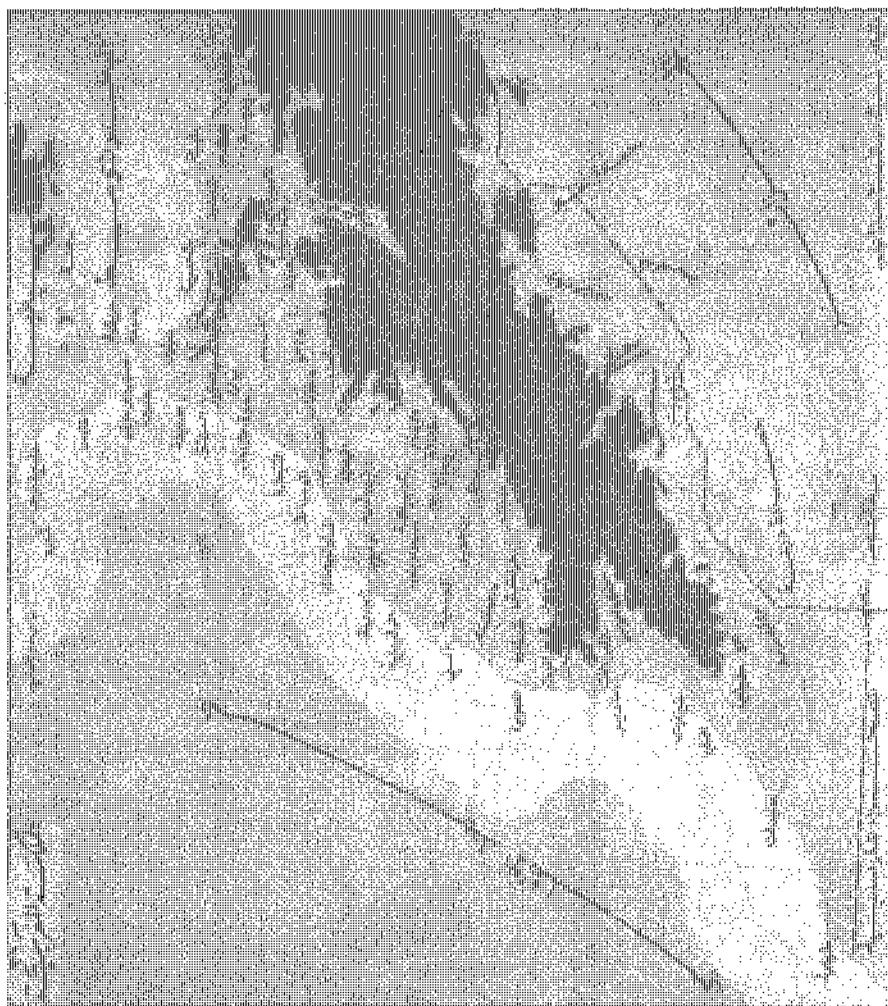
ومنها إبراز الشخصية الفلسطينية والدعوة إلى إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وحمايتها من السيطرة والتفوز ، وحماية القضية الفلسطينية من المزایدات والمتاجرة .

وهو أول من دعا إلى إنشاء صندوق مالي لدعم الجيوش العربية . وفي حرب رمضان سنة ١٩٧٣ - أرسل القوات المغربية إلى الجبهتين المصرية والسورية ، وتعرضت حياته للخطر مرتين : الأولى في حادث الهجوم المسلح على قصر الصخيرات ، والثانية في حادث الطائرة الذي دُبر له ولكن الجيش المغربي والله الحمد ظل سليماً معافاً مجمعاً على الولاء للملك وعلى الدفاع عن التراب المغربي الغالي ضد كل طامع وعميل .

الباب الثاني



فارس الصحراء المغربية



الموسوعة العامة ل التاريخ

والأندلس

**الفصل
الأول**

المساحة والسكان

عندما غزت فرنسا الجزائر كانت حدود المغرب ممتدة إلى الجزائر وأفريقيا الوسطى والسنغال والسودان والمحيط الأطلسي، والبحر الأبيض المتوسط، وكانت الصحراء المغربية ضمن هذه الحدود فما من وراء حدودها الجنوبية سوى السنغال وأفريقيا الغربية، وقد قدم الرئيس السنغالي ليوبولد سيدار سنغور أثناء إحدى زياراته للملك الحسن الثاني في الرباط ايساحات قيمة حول هذه النقطة التاريخية لا يمكن الطعن بصحتها. ولكن فرنسا الاستعمارية، بعد ان غزت السنغال، انشأت في وقت متاخر ما يدعى اليوم بجمهورية موريتانيا لتكون حاجزاً بين المغرب وسائر أراضيه القديمة في غربي أفريقيا.

وكم قال البرفسور جرمين أبيashi الفرنسي الجنسية لمجلة التايم الاميريكية الصادرة في ٣٠ يونيو «حزيران» سنة ١٩٨٠ المجلد ١١٥ ، العدد ٢٦ «ان فرنسا كانت تعلم جيداً بانها ستجلو عاجلاً أم آجلاً عن المغرب، لذلك بادرت إلى انتزاع بعض المناطق منه وضمتها إلى الجزائر عام ١٩٠٨ . وهكذا يكون قد انتزع من حدود المغرب الجنوبية والشرقية مساحات

واسعة . ومنها الصحراء المغربية التي كانت اسبانيا تنوى ابتلاعها وهي : طرافية والساقية الحمراء ووادي الذهب . بالإضافة إلى مدineti سبتة ومليلة المطلتين على البحر المتوسط في الشمال » .

ان مساحة المغرب تلاعبت بها أيدي المقيمين العاميين في عهد الحماية التي كانت مفروضة على المغرب ، وبالتالي تلاعبت بها أقلام المؤرخين والمؤلفين الفرنسيين .

لعل أصدق الأرقام وأصحها تلك التي نشرتها مجلة التايم الأمريكية في عددها المذكور أعلاه نقلأً عن موسوعة لاروس الفرنسية العالمية .

● جاء في الطبعة الثانية من موسوعة لاروس عام ١٨٨٨ ان مساحة المغرب هي ٣٠٠,٨١٢ كيلو متر مربع .

● وفي العام ١٩٠٠ ، سجلت موسوعة لاروس المصورة مساحة المغرب بـ ٨٠٠ ألف كيلو متر مربع ، بينما ١٢,٣٠٠ كيلو متر مربع .

● وفي العام ١٩٥٦ تقلصت مساحة المغرب إلى ٤٣,٨١٠ كيلو مترات .

● وفي العام ١٩٥٨ ، بعد ان استرد المغرب منطقة طرافية الصحراوية زادت مساحته إلى ٤٥٦٧٣٠ كيلو متراً مربعاً .

● وفي العام ١٩٦٩ زادت مساحة المغرب إلى ٤٥٨,٧٣٠ كيلو متراً مربعاً بعد استرداد منطقة افني .

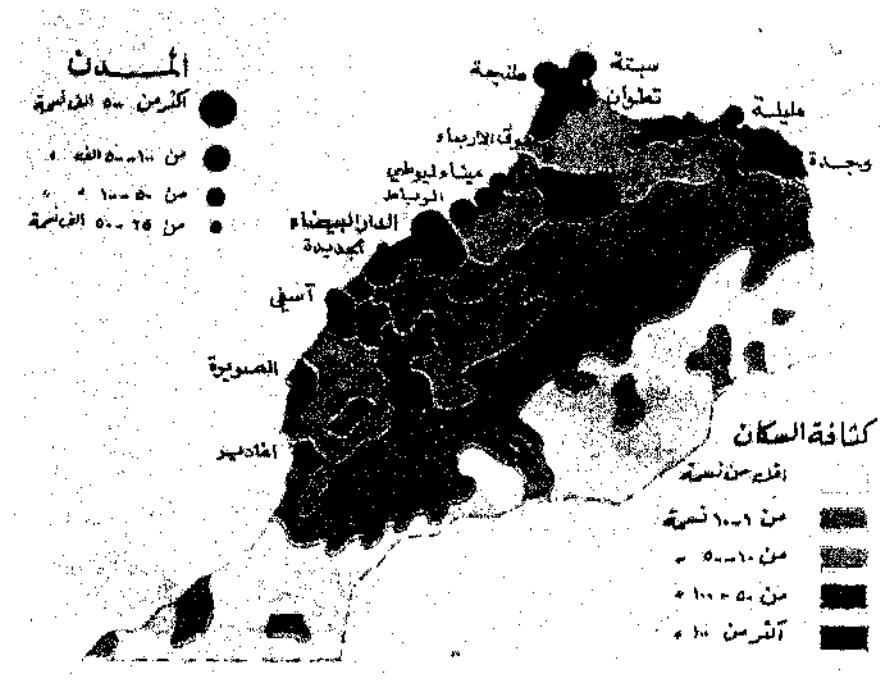
● وفي العام ١٩٧٦ ، ازدادت مساحة المغرب بعد استرداد الساقية الحمراء إلى « ٦٠٨,٧٣٠ كيلو متراً مربعاً .

● وفي عام ١٩٧٩ زادت مساحة المغرب إلى ٧٠٣,٠٣٠ كيلو متراً

مربعاً بعد استرداد منطقة وادي الذهب الصحراوية.

● وبعد أن نجري عملية طرح بسيطة تظل مساحة المغرب كما كانت عام 1888 ، وهي 812,300 كيلو متر مربع ، ناقصة 109,270 كيلو متراً مربعاً وتلك هي المساحات المقطعة من المغرب والتي ما زالت منفصلة عنه حتى الآن.

وقد نشرنا الأسباب في أماكنها من هذا الكتاب.



في سبيل المغرب الكبير

يقول البروفسور جرمين إياشي المشار إليه: «إن السلطات المغربية كانت تشعر شعوراً وطنياً بأن ضم وادي درعة إلى الجزائر يعني أن أراضيها المنتزعة ظلت ملكاً لعائلة «المغرب الكبير» بحدوده التاريخية التي تتالف من

المغرب والجزائر وتونس وليبيا، وكانت السلطات المغربية تنظر إلى المستقبل بعين توقعاتها، عندما توحد هذه الدول العربية الإسلامية وتتصبح دولة واحدة أي دولة «المغرب الكبير» وذلك خوفاً من وقوعها بأيدي الإسبان الذين كانوا يحتلون سبتة ومليلة في الشمال.

وعندما استردَ المغرب أقليمي طرفاية وإيفني الصحراوين، ولم يكن قد استرد بعد إقليمي وادي الذهب والساقيبة الحمراء الذين كانت إسبانيا تزمع أن تنشئ فيهما دولة البوليساريو المزعومة.

وأضاف البروفسور إياشى قائلاً: إن مساحة المغرب وأراضيه معروفة ولا يمكن إخفاؤها بأحدكم فقطان.

واستطرد يقول: «قبل عام ١٩١٢، كان التاجر المغربي المتوجول يجوس خلال الصحراء متنقلًا من بلد إلى آخر، ومن قبيلة إلى أخرى، وبعد أن يتتجاوز أقليم طرفاية نحو الجنوب الصحراوي المغربي، لم يكن ثمة حدود تعيقه، ولا من يسأله عن هويته، أو جواز سفره، ولا جمارك يتوقف عندها لدفع الضريبة، وهو غير محتاج لاستبدال نقوده. وفي المساء كان يلتجأ إلى أحدى محطات التُّجَار المتوجولين مثله المتوجهين إلى تيزنيت في الشمال والصوير، أو صافي وربما كانوا قادمين من «عطار» أو شنقيط في الجنوب ولكنهم جميعاً القادمون من الجنوب والقادمون من المشال، يتكلمون لغة واحدة. ويصلّون جماعة خلف إمام واحد، ويرتلون قرآنًا واحدًا، وكانوا عندما يتسلّطون الأحاديث يعبرون عن مخاوفهم من تقدم الفرنسيين نحو أراضي النيجر ونحو السنغال والجزائر، ويتبادلون المعلومات حول السلطان عبد الحفيظ، وهل يوسعه الاستمرار في المقاومة أو يستسلم... وكانت رحلات التجار تسير بمحاذاة الشواطئ المغربية أو عبر ممرات الصحراء المغربية المطروفة».

والمعنى المقصود من هذا، ان المغوب لم يكن مجزءاً وأراضيه لم تكن متزعة بل كانت كلها وطنًا مغرياً لجميع المغاربة، قبل ان يفرض المستعمرون ظلهم البغيض على الحدود المغربية.

وهنا يقول البروفسور جرمين أياشي متسائلاً: «أين كان البوليساريو أو الشعب الصحراوي مختبئاً عندما كان الوطن حرّاً مستقلّاً؟ وأين كانوا طيلة مدة الاحتلال الإسباني إلى ما قبل حرب التحرير المغربية»؟.

«هؤلاء البوليساريو أين كانوا..؟ أو ليس هو الشعب الصحراوي هو الشعب المغربي حيث كان الناس يعيشون معاً وحيث كان التجار يعرفون سكان المدن وسكان الصحراء، وحيث كانت القبائل المقيمة والقبائل الرحل تعرف بعضها بعضاً».

ان سكان الصحراء لم يتعرفوا على عناصر دخيلة على الوطن، على غرباء قادمين من الخارج سوى الإسبانيين والأجانب الذين كانوا يعملون في مناجم الفوسفات. وكان المغرب يعرفون أنفسهم بأنهم مواطنون ومن رعايا السلطان في كل العهود، وكان الشعب المغربي لا يدين إلا للسلطان بالولاء، ولا يدعو بالمساجد إلا لنصرة السلطان.

ويستتبع البروفسور أياشي قائلاً: «هذا الشعب الصحراوي» هل كانت له حدود مرسومة قبل الاستعمار أو بعده؟ وهل تقدم أحداً لتعيين حدوده؟ وهل كانت لهم علامات أو شارات مميزة؟ وهل كانت لهم مقابر خاصة؟.

«فلو كان لهم حدود أو شارات لكانوا تقدموا بها إلى محكمة العدل الدولية، فإذا كان الإسبان قد عجزوا عن اكتشاف تلك الفروق والحدود والعلامات المميزة فان غيرهم أعجز».

يستطرد البروفسور جرمين أياشى قائلاً: «وعندما سُئل سكان الصحراء المغربية عن أصولهم وفروعهم أجابوا: أنهم مغاربة من رعایا ملك المغرب، ما عدا الانفصاليين الذين شكل منهم الأسبان حزباً مرتجلأً أطلقوا عليه اسم: «الاتحاد الوطني الصحراوي» كعملية مناوئة لحكومة المغرب في ١٦ شباط سنة ١٩٧٥.

المسيرة الخضراء

وتحدث البروفسور أياشى عن «المسيرة الخضراء» فقال: «صحيح ان فكرة المسيرة الخضراء» كانت من وحي الملك الحسن الثاني، ولكن الشعب المغربي كان يتوقعها متحفزاً لمواكبتها ومستعداً لمجابهتها الأسبان - بكل ما يملكون من أسلحة الدمار».

ويستتبع قائلاً: «لقد تجمعوا عند نقطة الانطلاق دون ان يسوقهم أحد أو يرغمهم راغم على التجمع، وانطلقا كتلة هائلة من البشر العُزَّل من السلاح، حاسبين حساب ان تستقبلهم مدافع الأسبان بنيران الحصيد..».

والمسيرة لم تتمكن مزحة أو خدعة أو تمثيلية كما وصفها البعض، وإنما فمن يضحي بروحه في مسيرة بهذه تضم مئات الآلاف من المغاربة من أجل مزحة أو خدعة أو تمثيلية»^(١).

لقد كانت «مسيرة خضراء» تمثل الروعة والجلال والفخامة في أروع مظاهرها.

(١) المسيرة الخضراء: وقد حدثت في الأيام ٦ - ٧ - ٨ - ٩ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٧٥ وقد اتجهت من المغرب نحو الصحراء الغربية لاستعادتها من الأسبان وقد اشترك فيها حوالي ٣٥٠،١٠٠ مواطن مغربي متطلع كما قدرت ذلك وكالات الأنباء العالمية التي رافقت الحدث.

وفي الماضي كان الصحراويون الاشاوس يثورون جماعات وقبائل لإنقاذ العاصمة مراكش والسلطان تحاصره في قصره الجيوش الفرنسية، ولكن في هذه المرة انطلقت المسيرة الخضراء من جميع المدن المغربية ومنها مراكش وفاس والرباط والدار البيضاء وغيرها لتحرير الصحراء الغربية. . . لا أقول واحدة بوحدة ولكنني أقول: انه جهاد مستمر يُتَمَّم كفاحه المثالي ويُكمل بعده بعضًا.

ان الغبار الذي علا وجوه ورؤوس وثياب أبطال المسيرة لو جمع لكان بالإمكان ان يقام منه نصب تذكاري أو قوس نصر لتخليد «ذكرى المسيرة الخضراء».

عدد سكان المغرب

ان عدد سكان المغرب مختلف عليه كما هو مختلف على مساحة أراضيه^(١). فقد سجل بدرجت ميكن في كتابه «The Moors» المنشور سنة ١٩٠٢ ان عدد سكان المغرب كما أوردته بعض المؤلفين بالشكل التالي:
جاكسون قدر عدد السكان بـ ١٥ مليوناً، وبونللي ١٠ ملايين،

(١) ان مساحة أراضي المغرب موضوع مختلف عليه. والمساحات التالية تشير بوضوح إلى ذلك الخلاف. فالمؤلف روم لاندو يقدر مساحة المغرب بـ ١٧٠ ألف من الأميال المربعة. ويدرك (وبتقدير) بأن مساحته هي ٢٧٠٢٨٠ ألف ميل مربعًا أما أطلس التاريخ الإسلامي فيقدر مساحته بـ ١٥٠ ألف ميل مربع. وقدرتها (الهيرالد تريبيون) بـ ٦٥٩٧٠ ميلًا مربعًا كما قدرتها موسوعة (La civilisation africaine) بـ ٦٦١٩١ ميلًا مربعًا مربعاً عدا (الصحراء الغربية) التي تبلغ مساحتها ٤٥٨٧٣ كيلو متراً مربعاً. بينما قدرها Robert Laffont في كتابه (Quid) بـ ٧١٠٨٥٠ كيلو متراً مربعاً بالإضافة إلى ١٣٥٠ كيلو متراً مربعاً لا تزال مع الجزائر و ٦٥٠ كيلو متراً مع موريتانيا ١٢,٥ كيلو متراً مربعاً مع إسبانيا (كيلو متراً واحداً لسبة و ١١,٥ كيلو متراً مربعاً مع البرتغال). أما الدليل الأزرق الفرنسي فقدرها بحوالي ٥٢٠٣٩٠ كيلو متراً مربعاً. ولعل أصدقها ما جاء في كتاب (Quid) الفرنسي.

وركوس بين ٨ و ٩ ملايين نسمة، وجراجر بين ٥ و ٨ ملايين ولا نوي بين ٦ و ٧ ملايين وشنبه بـ ستة ملايين.

أما سلطات الحماية الفرنسية فقد ادعت أن عدد السكان قفز من ثلاثة ملايين في عام ١٩١٢ إلى تسعه ملايين عام ١٩٥٠. أما الموسوعة البريطانية عام ١٩١١ فقد قدرت عدد السكان بين ٥ و ٩ ملايين نسمة، أما حولية المغرب التي نشرتها جمعية المغرب وهي الهيئة الرئيسية للمستعمرات الفرنسية فقد قدرت عدد السكان بحوالي تسعه ملايين نسمة وفي شهر كانون الأول - ديسمبر عام ١٩١٢ قال المارشال ليوتوي - شيخ المستعمرات الفرنسية وأول حاكم عام للمغرب أن عدد السكان يتراوح بين خمسة وستة ملايين نسمة. ويصر بعض الفرنسيين على أن عدد السكان بلغ تسعه ملايين نسمة عام ١٩٥٠.

وذكر الأستاذ أحمد عسفة في كتابه «المعجزة المغربية» أن عدد سكان المغرب كان متذبذباً في عهد التخلف ولكنه بلغ حسب التقدير في عام ١٩٣٥ ، إلى ستة ملايين نسمة ثم قفز عددهم إلى ٨,٦٠٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٥٢ ، ويبلغ عام ١٩٦٠ في عهد الاستقلال ١١,١٠٠,٠٠٠ نسمة ليقفز عام ١٩٦٨ إلى ١٤,٣٠٠,٠٠٠ نسمة ثم قفز مجدداً في عام ١٩٧٠ إلى ١٥,٥٣٠,٠٠٠ نسمة، ثم استمر عدد السكان بالارتفاع حتى بلغ ١٧ مليون نسمة في عام ١٩٧٤ . وذلك لأن الشعب المغربي شعب نسول . وبسبب انخفاض معدلات وفيات الأطفال بعد ارتفاع مستوى العناية في الصحة العامة .

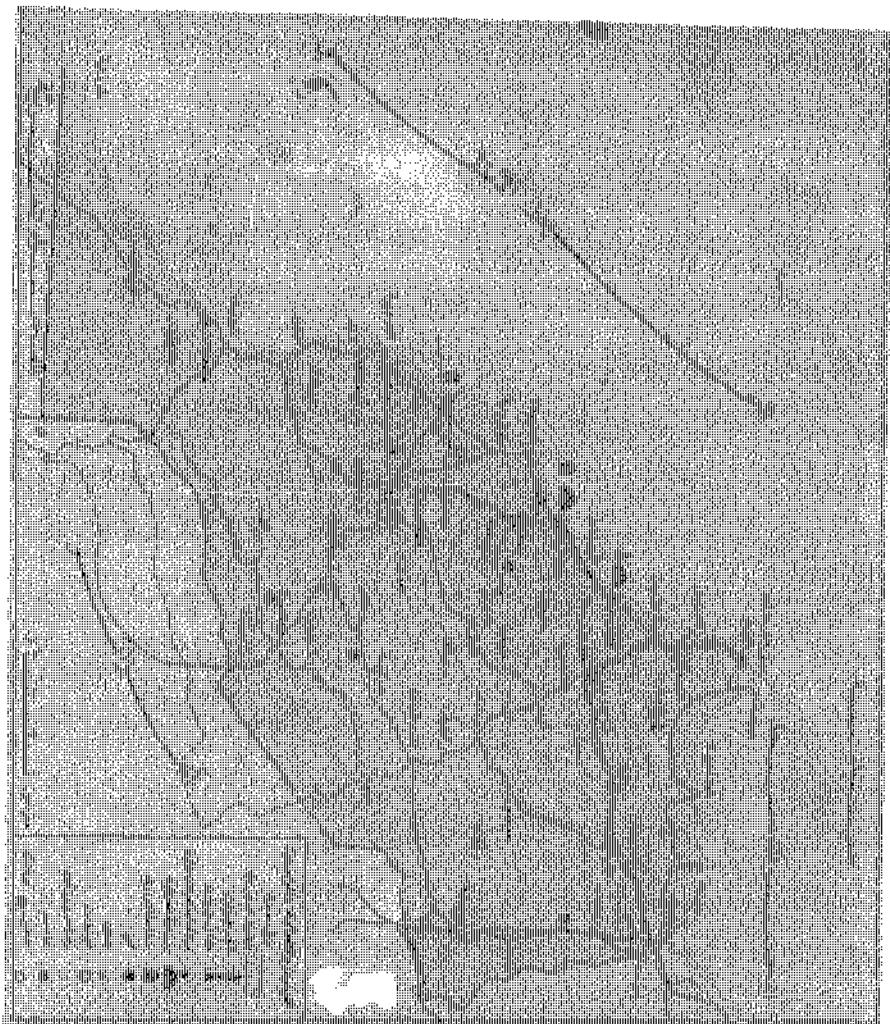
أما السبب الرئيسي في ارتفاع عدد السكان حيث يبلغ الآن في مطلع عام ١٩٨٩ أكثر من ٢٤٤٣٠,٠٠٠ نسمة إلى جلاء القوات الاستعمارية، لأن المذايحة والمجازر قد توقفت في عهد الاستقلال ومع ذلك التوقف انطلق

عدد السكان - في محيط يسوده الأمن والاستقرار السياسي والاقتصادي والطمأنينة وراحة البال - إلى أعداده المرتفعة .

ان عدد سكان المدن المغربية ارتفع بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة فسجل زيادة بلغت نسبتها ٥٠ في المئة، وحتى عام ١٩٧١ كان يحدد سكان كل مدينة من المدن الاحدي عشرة الكبرى ١٠٠ ألف نسمة، لذلك فان التقديرات تشير إلى أن عدد سكان المغرب سيبلغ حوالي ٣٦٢٠٥٠٠ نسمة بحدود العام ٢٠٠٠^(١).

(١) قدّرت نسبة الازدياد (الولادات) في المغرب سنة ١٩٨٨ بـ ٤٣٪ ونسبة الوفيات بـ ١٣،٤٪.

وقد أُجريت إحصاء مُدْنِي في العام ١٩٨٨ كانت نتيجته ما يلي:
عدد سكان الرباط وسلا (١١١٨٠٠٠) - الدار البيضاء (٢٧٨٥٠٠٠) - فاس (٩٦٠٠٠) - وجدة (٥٩٩٠٠٠) - مراكش (٥٥٤٠٠٠) - مكناس (٤٤٤٠٠٠) - تطوان (٤٤٧٠٠٠) - طنجة (٣٧٤٠٠٠) - أغادير (٣٥٢٠٠٠)، علمًا بأنَّه في العام ١٩٢٦ كان عدد سكان كل من: الرباط وسلا (٣٨٠٤٤) الدار البيضاء (١٠٦٦٠٨) فاس (٨١١٧٢) وجدة (١٩٩٧٦) مراكش (١٤٩٢٦٣).



الموسوعة العائمة للتاريخ

والأندلس

المؤلف

الكتاب

طبيعة المغرب

تختلف طبيعة المغرب الخيرة المعطاء باختلافاتها كمملكة كبيرة تتالف أراضيها من سهول خضراء يانعة تطيب فيها الحياة للإنسان المُبِعد لاعتدال مناخها، وخصب أراضيها، ووفرة محاصيلها، ومن جبال شامخة تبارى فوق قممها الشّم النّسور والعقبان وحيث يبلغ ارتفاعها أكثر من ١٢ ألف قدم^(١)، تدرج من الأجواء الأطلسية إلى سفوح شبه استوائية، ومن صحراء جنوبية مغربية تبلغ مساحتها ما بين ثلاثة إلى أربعة أخماس مساحة المغرب بسبب انخفاض معدل الأمطار السنوي الناتج عن إنخفاض معدل الرطوبة، الناجمة عن قلة وجود الغابات التي تجذب بكثافتها السحب والأمطار، وارتفاع معدل تسرب المياه في باطن الأرض لعدم وجود الغابات والأعشاب.

وهذه ظاهرة تستحق الاهتمام والعناية والدرس ومن المعلوم أن أحسن

(١) تمتد جبال الريف بموازاة شاطئ البحر الأبيض المتوسط ويصل ارتفاعها إلى ٢٤٥٦ متراً بينما تحتوي سلسلة جبال أطلس التي تنتهي عند منطقة أغادير على أعلى قم أفريقية الشمالية (طوبقال ٤١٦٥ متراً).

أنواع الشجر الصالح غرسه في الصحاري المجدبة هو النخيل . لأن شجرة النخيل المباركة سخية في انتاجها السنوي ، وهي قليلة التكاليف إذا توافرت لزراعتها المشائط القرية . والمغرب يستطيع ان ينشيء في كل عام غابة نخيل في صحاريه ، إذا خصص للنخيل عيداً مدة سبعة أيام خلال العطلة الشتوية للتلامذة والطلاب وغيرهم من المتخمسين لزراعة النخيل من عشاق الشجر . وعلى مدى سبعة أيام يشرع التلامذة بزراعة اشتال النخيل تحت إشراف الخبراء الزراعيين في الأماكن المعينة ، وبذلك يستطيع المغرب إصابة هدفين بهم واحد .. غابات للنخيل تزرع سنوياً ، ورطوبة في الأجواء ترطب المناخ وتجذب إليها السحب من قمم الأطلس .

وئمة أنواع من الشجر ينبع في الصحاري مثل البطم والسدر والأثل والسلم وأنواع أخرى يعرفها الخبراء ، هذا بالإضافة إلى وجود أنواع عديدة من النباتات المدادة التي يمكن زراعتها على وجه الأرض لتخزين مياه الأمطار تحتها مباشرة بدلاً من تسريرها إلى الأعمق المجهولة . . وتتجدر الإشارة إلى ان أحسن أنواع النباتات المدادة الموجودة حالياً ، هي في اليابان والولايات المتحدة وئمة علماء اختصاصيون في تحسين الأراضي الصحراوية في الولايات المتحدة وروسيا وغيرهما من البلاد .

ومن المعلوم ان أشجار النخيل مشهورة بغزاره انتاجها من البلح والرطب المجفف وبالإمكان ان تكون مصدر ثروة عظيمة للبلاد على المدى الطويل .

ويحكى ان كسرى انشروان رأى رجلاً هرماً عاكفاً على زراعة أشجار النخيل في أرضه البعدية القليلة المياه فقال له : أتؤمل ان تعيش لتجني الشمرات الطيبة من هذا النخيل ؟ فأجاب الرجل الهرم . أيها الملك لقد زرع آبااؤنا وجدوتنا النخيل فأكلنا ونحن نزرعه اليوم ليأكل منه أبناؤنا وأحفادنا .

ان زراعة الغابات في الصحاري تعني اكتساب أراضٍ زراعية جديدة وانتاجاً وافراً، ورطوبة في الأجواء، وأمطاراً غزيرة في مواسم هطول الغيث.

أنهار المغرب وأوديته

وهذا يجُرّنا إلى الحديث عن أنهار المغرب الغنية بمياهها في فصل الأمطار، والشحّيحة نوعاً ما في الصيف أو في الخريف لعدم وجود الرطوبة الكافية التي تهيئها الغابات. فالأنهار في المغرب تسمى «أودية» ومعظمها ينبع من جبال الأطلس عندما ترتدى أثوابها الناصعة البياض في موسم تساقط الثلوج، وانه لمنظر آخاذ لعشاق الرياضة الشتوية التزلج على الثلوج، خصوصاً إذا كانت الجبال الأطلسية مكسوةً بأشجار الأرز - الأرز الذي جاء به الكنعانيون القدماء وغرسوه فوق جبال الأطلس، فساعدتهم أخشابه على بناء مراكبهم ذات الصف والصفين من المجاذيف وأكثر من ذلك، كما ساعدتهم أشجار الأرز على تنشيط أسواقهم التجارية بالأخشاب مع العلم ان شجر التفاح ينمو ويتربع فوق الجبال العالية. وكلما اعلت الجبال اعطت أشجار التفاح انتاجاً وافراً وحبات أكبر حجماً خصوصاً إذا زرعت في «الجلول» على الطريقة اللبنانية، أي المدرجات حيث تحدّر هذه المدرجات من القمم إلى السفوح بشكل هندسي جميل.

وتشهد مياه الثلوج والينابيع إلى أنهار المغرب التي تصب في المحيط الأطلسي، ويعتبر نهر «السبو» من أطول أنهار المغرب إذ يبلغ طوله ٦٦٠ كيلو متراً، ويبلغ متوسط جريانه ١٣٧ متراً مكعباً في الثانية، ولا يقل في أيام (الشحّيحة) عن ١٥ متراً مكعباً. في الثانية. وقد يرتفع معدل جريانه أيام الفيضان إلى ثمانية آلاف متراً مكعب في الثانية، وهو يجري في عدة روافد

منها: وادي جيوجو، ووادي زلول، ووادي فاس، ووادي مكناس، في منطقة الأطلس الأوسط، ونهر الورغة، ووادي البهت، ووادي دوم في سهل الغرب.

ويأتي بعده في الطول نهر (أم الربيع) حيث يبلغ طوله ٥٨٠ كيلو متراً، يجري في حوضه الواسع البالغة مساحته ٣٤٦٩٠ كيلو متراً، ومعدل جريانه ١٠٥ أمتر مكعب في الثانية ثم ينخفض معدله في فصل (الشحاب) إلى ٢١ متراً في الثانية، وينبع هذا النهر من جبال الأطلس الأوسط، فيروي سهل «قادله» وهو منتظم الجريان على مدار فصول السنة.

ومن أهم روافد «أم الربيع» الوادي الأخضر، ووادي العابد ووادي التساون. وهو من أفضل الأنهر لإقامة السدود من أجل أغراض الري وتوليد الكهرباء.

وهناك نهر الملوية الذي يبلغ طوله ٥٥٠ كيلو متراً ويتسع حوضه إلى ٦٥ ألف كيلو متراً مربعاً. ان وجود هذا النهر في مناخ صحراوي لم يساعد على زراعة الغابات في حوضه، وأشجار البن والشاي بعد دراسة ذلك في اليمن بالنسبة للبن، وسيلان بالنسبة للشاي بالإضافة إلى أشجار التحيل، وفي أيام الفيضان يرتفع منسوبه إلى ٥٠٠ متر مكعب واحد في الثانية وهذا يساعد على زراعة قصب السكر والموز والشمندر، لينخفض في أيام (الشحاب) إلى متر مكعب في الثانية ويصب هذا النهر في البحر الأبيض المتوسط.

وينبع وادي **اللوؤوس** من سلسلة جبال الأطلس. وينحدر ببطء إلى المحيط الأطلسي قرب مدينة العريش في الشمال، ويبلغ طوله ١٧٩ كيلو متراً ويتفرع منه عدد من الروافد من بينها وادي (أبي الرقراق) ووادي

«ادقرة» ووادي «كريفلة» .

وليس بكثير على سلسلة جبال الأطلسي ان ينبع منها روافد مثل وادي زيز وربما كان في الأصل «ايزيس» أي عزة مملكة مصر في العصور القديمة، ووادي «كيريس» واعتقد ان الاسم الصحيح هو «يسيريس» ربة حقول القمح في الأساطير الفينيقية - الاغريقية، بدليل انه يهب الخصب والنمو للفردانس المحيطة «بتارودانت» ذات الجدران القرمزية، ونهر داداس، ونهر توكلة، ووادي بولمان - والجنان حول هذين النهرين تكثر فيها بساتين الجوز والتوت .. وهذا يساعد على تربية دود الحرير . . . وأشجار النخيل.

وعندما يتعانق وادي داداس ووادي ورزازات في وادي درعة بعد ان ينضم اليهما في العناق وادي زيز فان هذا اللقاء الجميل يرفع معدل طوفان وادي درعة إلى ٤٠٠٠ متر مكعب في الثانية كما يرفع فيضان وادي زيز إلى ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية.

وقد قدرت مديرية الموارد المائية متوسط هطول الغيث سنوياً فوق أراضي المغرب بـ ١٥٠ مليار متر مكعب، وحيث أنّ قسماً كبيراً منها يت弟兄 لعدم وجود رطوبة الغابات التي تمنع التبخر أو تقلله. أما الفيض الباقي وقدره «٢٥» مليار متر مكعب وهو ثروة المغرب من مياه الأنهر فإنّه ينساب منها ١٧ مليار متر مكعب في الأودية والأنهار، بينما تسيل المياه الباقيه وقدرها ثمانية مليارات متر مكعب في بطن الأرض، تحت الطبقات الجوفية . . وهذه حالة تذهب فيها المياه ضياءً وتحتاج إلى دراسة لمعرفة أسباب تسرب المياه تحت الطبقات الجوفية وليس في أحواض تلك الطبقات، لأن المياه الجوفية يمكن استخراجها بالوسائل الحديثة.

مخزون المياه ومعدل الأمطار في المغرب

إن مخزون المياه في المغرب المتوقع في عام ٢٠٠٠، قد يبلغ ١٦ مليار متر مكعب، يستعمل منها ١٢ مليار متر مكعب فقط.

ويبلغ معدل هطول الأمطار السنوي في طنجة ٨٤٤ ملليمتراً لأنها واقعة على شاطئ البحر المتوسط، بينما يهبط معدل الأمطار في مدينة أغادير المطلة على المحيط الأطلسي ومن خلفها الصحراء المغربية، إلى ٢٣٠ ملليمتراً، كما يقل معدل هطول الأمطار في مدينة مراكش في الداخل إلى ٢٥٦ ملليمتراً في العام، ولكنه يرتفع في مدينة أïفران القرية من فاس إلى ٥٩٠ ملليمتراً لوقوعها في منطقة جبلية ترتفع عن سطح البحر ١٦٣٥ متراً.. ومن المتوقع أن يرتفع هذا المعدل إذا حُرّجت هذه المنطقة الجبلية واكتسحت بالغابات.

ويبلغ معدل نزول الأمطار السنوي في المناطق الأطلنطية بـ ٤١٠ ملليمترات، ثم يزداد المعدل في جبال الأطلس المتوسط حتى يصل إلى ٨٢٠ ملليمتراً. و ١٠٠٠ ملليمتر في جبال الريف المطلة على البحر الأبيض المتوسط.

أما في منطقتي حوز مراكش والسوس وهما منطقتان شبه صحرائيتين فيسودهما مناخ جاف لأن معدل الأمطار سنوياً فيهما يتراوح بين ١٠١ و ٢٠٥ ملليمتر، وهو معدل ضئيل جداً ولكن زراعة الغابات في المستقبل ستعمل على تحسين هذا المعدل.

ومن المعروف أن موسم الأمطار في المغرب يتكاثر في شهري نوفمبر - تشرين الثاني - ومارس - آذار، ويقل في شهر ديسember - كانون الأول ويناير - كانون الثاني، والأيام الممطرة في المغرب لا تتعدي العشرين يوماً في مناطق جنوب الأطلس الجافة، ثم ترتفع إلى ٣٠ يوماً في وادي

الملوية الأوسط لوجود نسبة من الرطوبة في الأشجار، ثم في حوز مراكش ووادي السوس ثم تزداد إلى سبعين يوماً في مناطق الريف الغربي والأطلس المتوسط والسهول الأطلطية الشمالية... ولا تبلغ منه يوم إلا في مناطق الأطلس الأوسط.

المغرب هبة الأطلس

ان المغرب هبة جبال الأطلس لأن الثلوج تغطيها طيلة فصل الأمطار، فتجعل منها خزانات طبيعياً للمياه المتداقة من الينابيع والسيول إلى الأودية والأنهار. وتؤلف المملكة المغربية الزاوية الغربية الممتدة شماليأ على ساحل البحر المتوسط وطولها ٤٥٠ كيلو متراً، في حين ان غربها يمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وطوله ١,٣٠٠ كيلو متراً، على ساحل المحيط الأطلنطي في الطرف المقابل للولايات المتحدة.. وذلك مما يجعل ساحل المغرب المطل على المحيط منطقة استراتيجية بالغة الأهمية.

ومن المعروف جداً ان مضيق جبل طارق وهو أيضاً موقع استراتيجي

هام جداً، لأنه يرتكز مائي يصل غرب البحر المتوسط بشرقي المحيط الاطلنطي، كما يصل شمال أفريقيا بحراً بجنوب أوروبا بعرض يضيق إلى حد 15 كيلومتراً بينما تشكل سهول وجدة والعيون وجرسيف حدود المملكة المغربية حالياً من الشرق. مع الجزائر في حين تمتد حدودها الجنوبية إلى مداخل أواسط أفريقيا لولا اعتراف الحدود الموريتانية المصطنعة.

وكما يقال أن السهول المغربية المطلة على المحيط الاطلنطي تشكل إمتداداً استراتيجياً خطيراً مقابل الولايات المتحدة فإن الجبال والأراضي الواقعة على إمتداد شمالي المغرب تشكل موقع استراتيجية هامة لموقعها في الاتجاه المقابل لأوروبا.

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

الفصل
الثالث

طرق القبائل والقوافل القديمة

حتى القرن التاسع عشر، ظلت طرق القوافل القديمة التي كانت تسلكها القبائل المغربية، عندما كانت تجتاز الصحراء الكبرى إلى إفريقيا الغربية بقصد المتاجرة لغزاً متحيراً. وكانت تلك القبائل تردد وتجيء آمنة مطمئنة حاملة السلع المختلفة، وأهمها الملح والأقمشة والأوعية الفخارية والمعدنية، والحبوب وكانت هذه القبائل وفي مقدمتها «الطوارق» الصنهاجية، وقبائل لمتونة وغيرها تحمل هذه المنتوجات العربية الإسلامية إلى قلب السودان القديم «مالي» والنيجر والسنغال «وغانا وغينيا وغيرها من الأقطار الإفريقية»، ثم تعود محملة بالذهب والفضة والمعادن والأحجار الكريمة والريش والطيور الجميلة والقردة والحيوانات الداجنة والمفترسة أحياناً.

وبالرغم من أن هذه الطرق الصحراوية كانت قديمة جداً تعود إلى زمن الكنعانيين في قطارة والمغرب، فإنها ظلت سراً مغلقاً على الأوروبيين، حتى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

أما الطريق الأول فكان طريق تلمسان ووجده وبركته وتندرارة وبشار وإينغلي وادرار وسالي ووركان وحاسي الحرك وتمنراست وعين كزام وعين غارييت ثم النiger . وكان الطريق الثاني يصل من الشمال المغربي إلى ترنيت وبوزكان وفم الحصن وتندوف وبئر الخزایم والمرععيي وعروان وتمبكتو في السودان القديم «مالي الحالية» أما الطريق الثالث وهو الطريق الساحلي الذي يمتد من البحر الأبيض المتوسط أي من سبتة وطنجة ومليلة ثم يتوجه نحو الجنوب إلى طرفاية والعيون «والداخلة التي بنيت في زمن متأخر» ثم إلى تسلة ويلوه، ونواذيب، والممغرة عند رأس مرك، ونواكشوط ثم المون ودكنا في السنغال .

وكان ثمة مراكز رئيسية سواء كانت هذه المراكز مدنًا أو قرئ أو مواطن مائية للقبائل، تتفرع منها طرق للقوافل عديدة، أو تصل إليها القوافل القادمة من تونس والمغرب الأوسط أو من المناطق الجبلية كالاطلس الصحراوي والأطلس المتوسط، والأطلس الكبير والأطلس الصغير .

وعندما افتحم الفنال والرومان والعرب شمال أفريقيا رحل العديد من القبائل البربرية نحو الجنوب عبر طريق تاوديني - تمبكتو، لنقل السود والذهب والعاج وغيرها إلى أسواق المدن الشاطئية المقابلة للأندلس على المحيط الأطلسي أو المدن المغربية الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط .

وكما ذكرنا من قبل فقد كان الفضل الأعظم بنقل الإسلام إلى إفريقية الغربية وإلى قلب القارة الإفريقية الغربية والشرقية على سواء للقبائل الصنهاجية «الطوارق» .

وكان الطريق الرابع يمتد من سرتة الصغيرة إلى كانوا عن طريق

غدامس عبر قبائل الطوارق، التي كانت قوافلها تكاد تحتكر التجارة مع القارة السوداء عبر أراضيها أو الأراضي التي تسيطر عليها.

وكان الطريق الخامس يأتي من طرابلس الغرب ماراً بحر سوق وبورنو وبحيرة تشاد محتازاً منطقة «التيجو» الخطيرة.

أما الطريق السادس وهي الطريق التي كان يطلق عليها «اسم الأربعين يوماً» فكانت تبدأ من أسيوط المصرية مارة بالفشل إلى بورنو، وكانت تدعى طريق «الإيمان» لانتشار الدين الإسلامي عبر المناطق التي تمر بها والذاهبة إليها في إفريقية كما أن هذه الطريق كانت تمر بها قوافل الحجاج المسلمين في طريقها إلى مكة المكرمة.

وكان ثمة مدن أو مراكز تجارية لا بد للقوافل من المرور بها لأنها تسيطر على العديد من الطرق الممتدة من الشمال إلى الجنوب، فكان في الشرق المغربي القديم مركز «الزاوية الكحلاء» «حصن أما سين فيما بعد» ومدينة «غات» التي تصل إليها القوافل من صفاقس وقباس مروراً بغدامس وغيرها. وكان هناك حاسي الحرك التي تمر فيها القوافل إلى النiger في منطقة أدرار. كذلك بشار وتافيلالت ثم المدن الكبرى مثل تلسمان وفاس ومراكنش.

ولم يكن المرور عبر هذه الطرق ميسوراً لأي كان. حتى القوافل الكبرى ما كانت تجسر على عبور مناطق الطوارق، إلا إذا كانت متعاقدة معها وتدفع الأتاوة. إلا أن الطرق الغربية المحاذية للمحيط الأطلنطي كانت مأمونة المجاز والعبور، لهيمنة الحكومة المغربية عليها بصورة دائمة حتى ان صغار التجار والباعة المتجولين كانوا يمرون بها بحرية تامة.

وكانت الينابيع والآبار تحكم بهذه الطرق للتزويد منها بالمياه،

والتلمس الراحة وتسقط الأخبار قبل عبور المناطق الصحراوية الخطرة . لأنها في الواقع تسيطر على الدروب الصحراوية المفضية إلى قلب القارة الأفريقية .

ويقال بأن قبائل الطوارق تأسّمت اتقاء للحر في المناطق الصحراوية والرياح العاصفة بالأثيرية والرمال . ولم تكن هذه الطرق والدروب تخلو من جمال وسحر صحراويين . خصوصاً في الليل عندما تبرد الأجواء ، وتنخفض حرارة الأجواء الصحراوية إلى درجة مقبولة في الصيف ، ولكن في الشتاء فإن الحرارة تهبط في تلك المناطق إلى درجة الصقيع والتجمد .

ولا شك في أن زحف الرمال قد قضى على كثير من الأودية التي كانت تجتمع فيها مياه الأمطار ، كما طمرت الكثير من الينابيع ، وكذلك الأشجار .. وقد عملت القوافل والسكان المحليون على إتلاف الأشجار الصحراوية بسبب استعمالها وقوداً للتندفعة أو لإنضاج الأطعمة .

هكذا انتقل الإسلام إلى أفريقيا السوداء

مع هذه القوافل التجارية انتقل الإسلام من المغرب الأقصى إلى إفريقيا الغربية بطرقين تجاريَّين : الأولى طريق شنقيط «في موريتانيا حالياً» والثانية من الصحراء المغربية إلى كل من غانا و «مالي» ونيجيريا .

وكانت غانا مملكة عظمى قبل ١٥٠٠ سنة على عهد الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٠ بعد الميلاد ، كما كانت مالي أو السودان القديم إمبراطورية متراصة الأطراف في القرن الرابع عشر ، وقد جلس على عرش الممكلتين غانا ومالي ملوك اشتهروا قديماً و منهم الملك منساموسى حوالي ١٣٣٠ ميلادية ، وهو الذي حجَّ إلى بيت الله الحرام آخذاً معه خمسين ألف أونصة من الذهب «وقية» تصدق بها على المحتاجين في الأراضي المقدسة .

ثم عاد و معه عدد كبير من المسلمين بعضهم من العلماء، والبنائين و ذوي الحرف . وبواسطة هؤلاء شيدت المساجد وأبنية السكن في تمبكتو .

وفي القرن السادس عشر ذهب سلطان «سونفيه» التي كانت تضم شمال نيجيريا والنiger و مالي - إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وبصحبة عدد كبير من أعيان البلاد والسكان الراغبين في زيارة الكعبة المشرفة .

ويعتقد سكان شمال نيجيريا انهم من أصل عربي وما زالوا يتمسكون بالعادات والتقاليد العربية وشجرات أنسابهم ، وما زالوا يفتخرن بها .
وانتشرت في افريقيا الغربية الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية .

وقد استقلت غانا عام ١٩٥٧ بعد ان ضمت إليها ساحل الذهب ،
ويبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة و مساحتها ٩٠٠٠ ميل مربع ،
واستقلت مالي عام ١٩٥٩ ، وعدد سكانها خمسة ملايين و نصف ، و مساحتها ٤٦٤٠٠ ميل مربع .

وظلت القارة الافريقية مجهولة معلومة عند الأوروبيين الذين لم يكن متاحاً لهم عبور تلك الفيافي والغلوات .

متى عرف الأوروبيون افريقيا

يقال ان الغرب عرف للمرة الأولى أسرار القارة الافريقية ، عندما وقع أحد العلماء المغاربة المسلمين أسيراً في عام ١٥٢٠ بيد القرصنة الأوروبيين فأهدوه إلى البابا ليون العاشر . وهناك في روما وضع كتاباً من ثلاثة مجلدات عن قلب القارة الافريقية . فبهر الناس بالمعلومات التي دونها في كتابه ، خصوصاً عندما تحدث عن وجود مملكة عظيمة سكانها من الزنوج المسلمين ، وفيها أمراء عظام يملكون من الذهب أكثر مما كان يملك سكان

المكسيك الأوائل . وبالرغم من ذلك فلم يجسر أحد على القيام بأيّة مغامرة للوصول إلى قلب القارة الأفريقية .

وفي عام ١٧٨٨ تشكّلت في لندن الجمعية الأفريقية لأسباب اقتصادية خصوصاً بعد أن فقدت بريطانيا مستعمراتها الأمريكية «الولايات المتحدة» فراحت تبحث عن مناطق جديدة في العالم لتنعم بها وتمتص دماء سكانها .

ففي ٢٠ يوليو عام ١٧٩٦ أرسلت بعثة استكشافية برئاسة طبيب انكليزي يدعى مونجو بارك إلى غرب إفريقيا ، وبعد رحلة طويلة شاقة بلغ نهر النيجر .

وفي عام ١٨٢٧ خصّصت الجمعية الجغرافية بباريس جائزة لأول رحالة فرنسي يستطيع الوصول إلى تمبوكتو في السوادن القديم «مالي» فقام بالمهمة رينيه كايه الرحالة الفرنسي الذي استطاع الوصول إلى تمبوكتو ، بعد أن تذكر بملابس عربية مصرية وادعى الإسلام ، ثم ختم رحلته عائداً إلى سيراليون على شاطئ المحيط الأطلنطي متوجهاً مع أحد القوافل إلى طنجة وفاس ، وهناك اعتلت صحته ومات .

وفي عام ١٨٥٠ توجهت قافلة انكليزية من طرابلس كان يرأسها جيمس ريتشارد سون بمساعدة رحالة إلماني يدعى هاينريش بارت ، ثم توفي ريتشارد سون في الطريق .

ولكن الألماني بارت استمر في الرحلة باسم الحكومة الانجليزية ، حتى وصل إلى داخل القارة وهناك عقد اتفاقات تجارية مع ملوك وأمراء المقاطعات التي وصل إليها ، ثم تجرأ في أحد المرات فادعى الإسلام وبذلك تمكن من دخول بلدة تمبوكتو ، ومنها انطلق إلى بحيرة تشاد ، ثم راح يتبع مجرى نهر البينو والشاري ، وقد جمع معلومات إفريقية قيمة جعلت

المناطق التي وصل إليها كتاباً مفتوحاً لكل قارئ أوروبي.

وجاء من بعد هؤلاء جيرارد رولف أعظم رواد القارة الأفريقية وهو الماني من بلدة بريمن، وكان في الأصل طالب طب، ثم خدم ست سنوات في الفرقة الأجنبية الفرنسية، والتحق كطبيب عسكري في الجيش في مدينة فاس المغربية، وراح يقود الجمال - بعدها - باسم مصطفى من أغادير، فتوغل في قلب الصحراء، إلى أن وصل طرابلس ومنها اتجه إلى بحيرة تشاد، ثم إلى نهر النجير، ثم انعطف نحو الغرب عائداً إلى شواطئ المغرب على المحيط الأطلسي.

المهم في كل ذلك هو أن هؤلاء الأجانب الذين نكتب عنهم الآن بصفتهم رحالة وأوائل الرواد للقاراء الأفريقية بالنسبة لأبناء جلدتهم الأوروبيين، جاؤوا متاخرين بالنسبة لما قامت به القوافل التجارية المغربية من رحلات إلى أفريقيا، فان هذه الرحلات كانت بالنسبة للمغاربة من عهد القرجايين إلى أن احتل الفرنسيون المغرب، تعتبر رحلات عادمة تقوم بها القوافل المغربية بصورة دائمة صيفاً وشتاءً، ولكن أحداً من الرحالة المغاربة، قبل وبعد ابن بطوطة لم يتحفنا بكتاب عن مشاهداته في أفريقيا الغربية.

عبد الله بن ياسين ينشر الإسلام في أفريقيا

ولقد أقام عبد الله بن ياسين اللمتوني فقيه دولة الطوارق المغربية في زاوية له على نهر السنغال، ونشر الإسلام في السنغال والنيجر وقد حشد جيشاً حارب به في النيجر وغانا قبل تأسيس الدولة الصنهاجية في المغرب.

يوسف بن تاشفين بين أفريقيا والأندلس

ولعل يوسف بن تاشفين وهو من أسرة عبد الله بن ياسين اللمتونية

ارتکب أعظم أخطائه عندما توجه إلى الأندلس ، متخلّياً عن أفريقيا الغربية التي ظهرت فيه دعوته الإسلامية ، وكانت ميدان نشاطه الواسع عندما كانت أفريقيا الغربية أكبر سوق للقبائل الممتونة .

والسؤال المطروح هنا لماذا لم يضم يوسف بن تاشفين السنغال والنيجر وغانا وسائر الدول الأفريقية الأخرى التي كانت واقعة في مجال حملات قبيلته الدينية ونشاطاتها في المجالات التجارية إلى المغرب؟ . . .

سؤال سيبقى بدون جواب .. لأن يوسف بن تاشفين فضل الأندلس على الثروة التي لا حدود لها في أفريقيا ، فأضاع من يده امبراطورية كبيرة لو استطاع تحويل نشاطه العسكري إليها ، لأصبح المغرب أغنى وأكبر دولة على ظهر الأرض إلى يومنا هذا .. لقد كانت القارة الأفريقية كلها تحت أقدام المغرب في الجنوب ولكن سلاطين المغرب المحدودي الأفق والتفكير والعقربة والنبوغ انشغلوا في ذلك الوقت بالمهمّ في الأندلس عن الأهم في إفريقيـة .

الصحراء الكبرى

هذا مع العلم بأن الصحراء الكبرى - كان معظمها يعتبر أرضاً مغربية من المحيط الأطلنطي غرباً إلى حدود السودان شرقاً ، وكان السودان القديم وموريتانيا وببلاد الطوارق هذه الدنيا الصحراوية كانت كلها في متناول أيدي سلاطين المغرب ، ومن المعروف أن السلطان الذهبي تمكّن من فرض سيطرة بلاده إلى حدود مالي وقد لقب بالذهبـي نسبة إلى ذهب «مالي» الذي انعش به الاقتصاد المغربي .

إن مساحة الصحراء الكبرى تبلغ ٣,٥٠٠,٠٠٠ ميل مربع أي حوالي ثلث القارة الأفريقية ولكنها من طول عهد الترك والإهمال أصبحت الصحراء

ذات الرمال الزاحفة التي تزحف على السهول المتاخمة لها - بحركة انتقامية طبيعية - لأنه لو لا إهمال الصحراء الكبرى من الدول المجاورة لها - لما أخذت تزحف رمالها على أراضيها الزراعية . وهذه الرمال زحفت في الماضي ، وما زالت تزحف على سهول تغطي مساحتها ٣٠٠٠ ميل مربع تضم : السنغال وموريانيا ومالي وفولتا العليا - بوركينا فاسو حالياً - والنiger وتشاد والسودان والحبشة والصومال » هذا مع العلم بأن الرمال الزاحفة قد غطت مساحات واسعة من أراضي المغرب وتونس والجزائر ومصر .

والكارثة التي هددت دول جنوب الصحراء الكبرى هي نفسها التي تهدد حالياً الدول الواقعة في شمالها أي المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر - ولا سيما الدلتا في وادي النيل .

خطر زحف الصحاري على البلاد العربية

كيف يمكن ان نضع المبادئ الأساسية لمكافحة الرمال الزاحفة على الوطن العربي قبل فوات الفرصة وضياع الإمكانيات والموارد المالية؟

من المعروف حتى الآن ان الرمال الزاحفة غطت مساحات كبيرة من شبه الجزيرة العربية في اليمن وال سعودية وعمان وحضرموت ودول الامارات العربية .

وإذا استثنينا اليمن وحضرموت حالياً فإن سائر دول شبه الجزيرة العربية قد أمدتها الله وزودتها الطبيعة بموارد بترولية هائلة لكي تساعد نفسها والأجيال القادمة بعد نفاد النفط ، فالنفط حالياً «يزحف» إلى أوروبا ليساعدتها على استمرار حضارتها الصناعية وفي الوقت نفسه تزحف الرمال وتتكددس وترتفع لدرجة أصبحت تشكل نجوداً وتللاً تهدد المناطق الواقعة في شمال شبه الجزيرة العربية .

ولو أردنا ان نسمى «النفط» نعمة من الله وهدية» من طبيعة شبه الجزيرة

العربية لسكنها.. لكان علينا ان نعمد إلى الاستفادة من هذه النعمة، أو الهدية الطبيعية باتفاق مواردها على تحسين الأراضي وإيقاف زحف الرمال من جهة، وتحويل المناطق الرملية إلى مناطق زراعية لكي تستفيد منها الأجيال القادمة من جهة ثانية وهذا ما بدأ فعلاً في المملكة العربية السعودية حيث بدأ بالفعل تحويل الصحاري إلى أراضٍ زراعية خصبة وأصبحت هذه المملكة في السنوات الأخيرة من البلاد المصدرة للخوب وخاصة القمح، ولأنى اثرأ لذلك في غيرها من البلدان.

فالمال كثير ولكن الجهد قليلة.

والنعمة تهدر حالياً في غير مجالاتها! ..

وإذا نصب النفط فماذا يكون قد بقي للأجيال القادمة؟ ..

ويبما ان الأموال التي تهدر لا يمكن ان تعوض، ويبما ان الحياة باقية ومستمرة، وكذلك حركة التناول والولادة. فإن الواجب يفرض على الحكومات العربية النفطية ان تساعد ظهر الأرض من النفط الذي يستخرج من بطنها.

لذلك ينبغي على كل دولة عربية في شبه الجزيرة العربية ان تخصص وزارة مهمتها تحويل المناطق الصحراوية إلى مناطق زراعية ويخصص لها سنوياً موازنة مرتفعة للقيام بواجبها على خير الوجوه وأحسنها.

ويبما ان هذه الدول تستقدم خبراء لمصانعها البيترو كيمائية، فإنها أيضاً قادرة على استقدام خبراء لتحسين الأراضي الصحراوية وتحوilyها إلى أراضٍ زراعية.

فالنفط سينصب خلال الخمسين سنة القادمة كما يتوقع الخبراء .

ولكن الأرضي الصحراوية المحولة إلى أراضٍ زراعية ستبقى ،

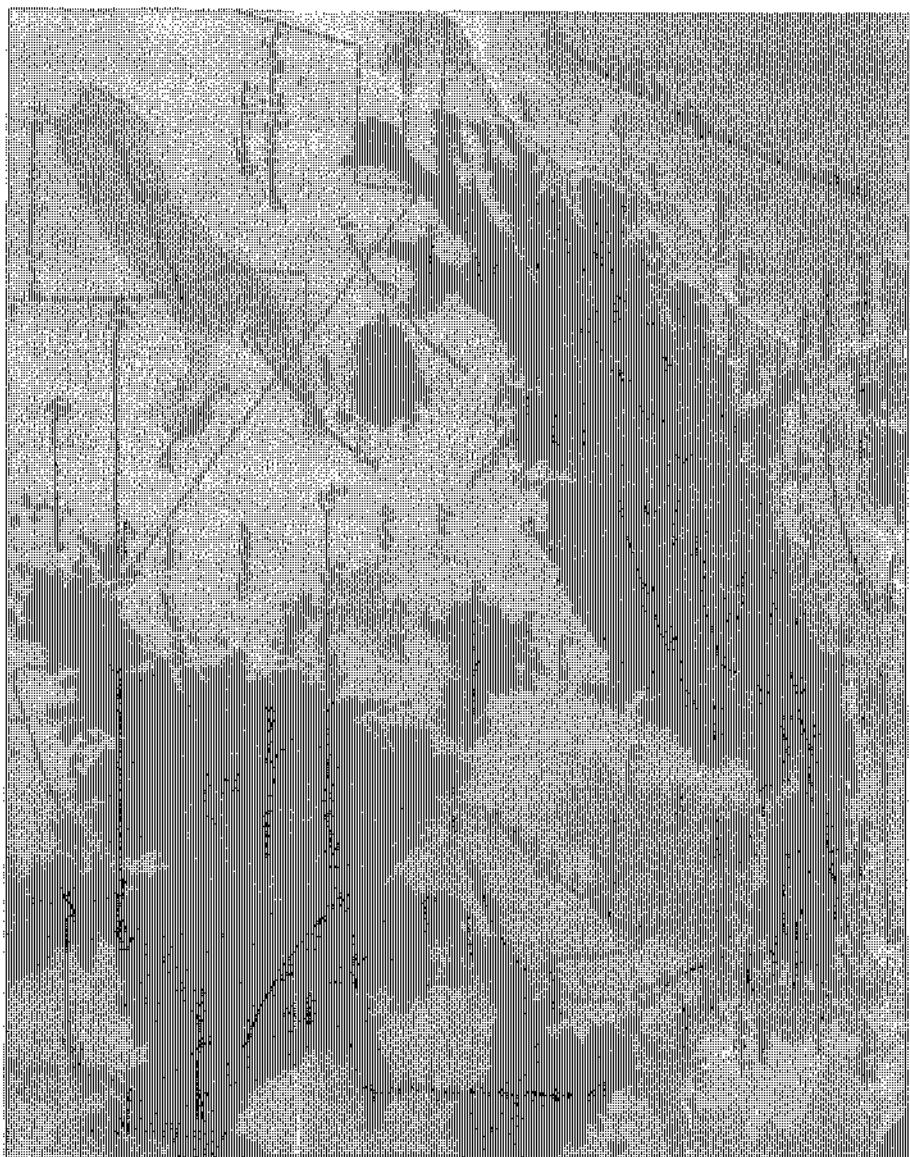
وانتاجها الزراعي والحيواني سيحل محل النفط الناضب، بمعنى ان ثروة زراعية ستحل محل الثروة النفطية الناضبة.

لقد زود الله بلاد العرب بالأنهار العظيمة ولكن معظم مياهها تذهب هدراً إلى البحر ومنها: مياه دجلة والفرات والعاصي والنهر الكبير والليطاني والنيل وغير ذلك على طول امتداد البلاد العربية كلها.

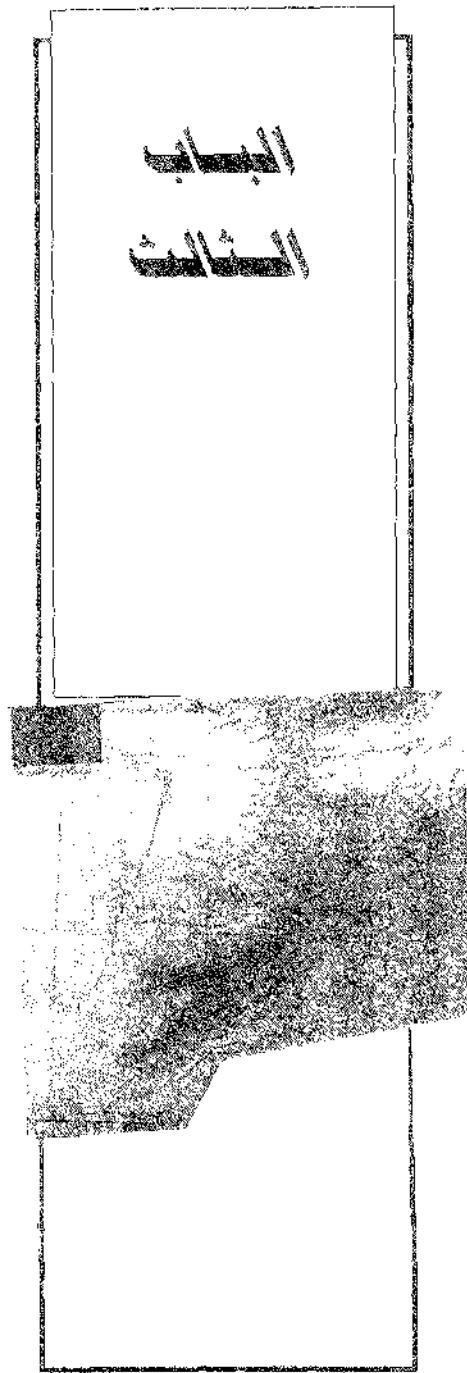
لو حُولت مياه دجلة والفرات إلى شمالي صحراء شبه الجزيرة العربية لخلقت أراضٍ زراعية كافية لتغيير وجه الأرض. ولو طبقت نفس الفكرة على سائر الأنهار العربية، لأنقذنا مساحاتٍ واسعة من الأراضي الصحراوية والببور والبعليّة . . . ولغيّرنا وجه الحياة في العالم العربي، ولأصبح لنا حضارة قيمة قائمة على أسس وقواعد ثابتة، أليس من العار أن نستورد القمح والحبوب من الغرب ومياهنا تذهب هدراً في البحار . . .



الطوارق
كالنوا في فترة من التاريخ
أسياد الصحراء



المغرب العربي الكبير وموقع الصحراء الكبرى فيه



الموسوعة العامة ل التاريخ

والأندلس

الفصل الأول

الجَوْلَةُ الْعُلَوِيَّةُ

أُسْرَةُ الشُّرَفَاءِ

الحسن الداخل بن القائم

يعتبر الشرفاء العلويون الذين انتقلت إليهم خلافة المغرب أبناء عمومة للأدارسة والسعديين الذين سبقوهم في حكم المغرب لأن الأسرة العلوية الجديدة هي من أحفاد الحسن بن القائم وهو من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب.

وقد لُقب الحسن بن القائم، بالحسن الداخل لأنه دخل المغرب بدعوة الحاجاج المغاربة الذين توسموا فيه الصلاح والتقوى، والإيمان الصادق والسمت المهيّب والطلعة المشرقة والعبادة والتهجد. فاستمالوه إليهم، وتحببوا إليه، ورجوه العودة معهم إلى المغرب بلادهم ليقيم بينهم لتزداد بلادهم بركة بحضوره ووجوده، وليزدادوا إيماناً على إيمانهم بعدما انتشرت البدع في المغرب وعمته المذاهب والنحل، ومشايخ الروايا وطبقت أرجاءه الاجتهادات والاقتباسات لدرجة اختلطت معها الأمور في أذهانهم، لذلك

أصبحوا بأمس الحاجة إلى إمام من أحفاد الحسن بن فاطمة بنت الرسول محمد (ص)، لكي يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم ويرشدهم إلى طريق الهدى والصلاح.

وأقام الإمام الحسن في سجلماسة التي شهدت انقلابات كثيرة، وحكاماً ينتمون إلى أنظمة مختلفة، واتسمت حياته بالورع والتقوى، فأحبه السكان وبجلته القبائل المغربية، وتوارث أبناؤه وأحفاده بعده ذلك الحب والتبجيل، وأفعموا قلوبهم بحب وطنهم المغرب حامل الدعوة ورائدها وناشرها في كثير من البلاد.

وبلغ من حب الأحفاد لوطنه المغرب أن المولى علي الشريف أحد أحفاد الحسن القائم اشتراك بحملة «السودان القديم» خلال عهد «المنصور الذهبي» وهي الحملة التي فاضت على المغرب بالذهب والخير العميم.

وكان أبو حسون السملالي الخارج على دولة السعديين، قد فرض سلطته على سجلماسة وببلاد السوس وتمادى في غيه وغطرسته عندما زج بالشريف بن علي في السجن بسبب ولائه للشرعية الممثلة بدولة السعديين، ولم يرع له حرمة ولا مهابة كمال مقدر نسبه وقرباته من الرسول الأعظم (ص).

وأنّى لأبي حسون السملالي أن يدرك بأن خطأه الجسيم الذي ارتكبه سيكون الشرارة الأولى التي ستندلع منها ثورة الشريف محمد نجل الشريف بن علي الذي زجه في السجن انتصاراً لأبيه السجين ظلماً وعدواناً من جهة واستجابة لموجة شعبية ساخطة على الفوضى الضاربة أطابها في جميع أراضي المغرب من جهة ثانية.

فالمغرب كان في تلك الفترة من منتصف القرن السابع عشر الميلادي

يعيش تلك الفوضى الهائلة بسبب قيام امارات عديدة طامحة إلى اقتطاع أجزاء من المغرب ووضعها تحت سلطتها، فكان ثمة زوايا الدلائين الصنهاجيين الذين يحاولون بشق النفس استرداد حكم العرابيطين القدماء الذي عفا عليه الزمن، ولكن طموحاتهم ما زالت حية تعمل في السر والعلن انطلاقاً من تلك الزوايا .

وكان أبو حسون الجزولي في الجنوب ، وكانت حكومات صغيرة تعلن استقلالها في بعض المدن مثل مدineti سلا وتطوان .

يضاف إلى ذلك ثورة العياشي وخليفته غيلان في الشمال وتحركات مشايخ القبائل الهلالية مثل الشبانات في مراكش وتفيلالت . وهكذا كان على محمد بن الشريف أن يشق طريقه بحذر شديد في وسط تلك الفوضى المفتعلة من القبائل والمشايخ والأسر والزوايا .

الموسوعة العامة للتاريخ

والدلائل

**الفصل
الثاني**

الشريف محمد الأول بن علي

وكان الشريف محمد الأول بن علي ١٦٣٥ - ١٦٥٩ أول ما حظي بتأييد سكان سجلماسة الذين تربى وترعرع بين ظهرانيهم، فجمع منهم قوة عكسرية لمناواة أبي حسون، فاضطروا هذا إلى اطلاق سراح الشريف بن علي لقاء فدية مالية .

وكان الشريف محمد قد بايعه سكان سجلماسة وما حولها، على تحرير أراضي المغرب من الخارجيين على النظام، لذلك كان لا بد له من تشكيل جيش كبير قادر على تحقيق تحرير المغرب، ولكن إمكانات الشريف المادية جعلته يكتفي بتأليف جيش صغير، ولكنه معزز بقوة من الفرسان، فزحف على فاس ثم على مراكش فاحتلهما، ولكن الدلائين ورثة المرابطين تصدوا له فاضطر إلى مهاونتهم لأنهم كانوا أقوى منه، فاتفق معهم على أن يستولى على الأراضي المحاذية للصحراء إلى جبل عياش، وما كان إلى ناحية الغرب من المغرب يكون للدلائين .

وبعد أن تم الاتفاق وعقدت المصالحة مع الدلائين توجه إلى مدينة

تلمسان لاحتلالها وكانت في أيدي العثمانيين فراح يشن عليهم الغارة تلو الأخرى، ولكن غاراته لم تتحقق له الهدف المنشود فاكتفى بعقد اتفاق معهم يجعل وادي «تافتا» حداً فاصلاً بينهما.

وبهذا الاتفاق استطاع ان يمد حملته نحو الصحراء ويصل إلى الاغواط وعين ماضي.. وفجأة علم بأن أخيه الرشيد بن الشريف بن علي قد ثار عليه.



المولى الرشيد بن محمد

الموسوعة العامة لتاريخ

والأندلس

**الفصل
الثالث**

الرشيد بن الشريف بن علي

١٦٦٦-١٦٧١ م

قيل عن أسباب ثورة الرشيد، ان الشريف محمد الأول لم يستطع ان يحقق البرنامج الذي بايعه السكان على أساسه، والذي ينص على توحيد المغرب ووضع حد للانقسامات الجارية والقضاء على الدوليات الإنفصالية القائمة وقد اعتبر الرشيد مصالحة أخيه محمد للدلائل ضعفاً ظاهراً للعيان، لذلك تحارب الاخوان وخاصة معركة دامية انتهت بمقتل الشريف محمد، فانضم جيشه إلى جيش الرشيد. وكان هذا أول إنشقاق في الأسرة العلوية.

أما كيف يقتل الاخوان ويقتل الأخ الغالب أخاه المغلوب وكلاهما من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب. فإنه لأمر يثير الكثير من علامات التساؤل والاستفهام عدا عن أنه ترك حزناً بالغاً وامتعاضاً بين صفحات التاريخ.

في هذه الأثناء كانت مقاومة الخارجين سابقاً على حكومة السعديين

قد بدأت بالانهيار خصوصاً الدلائين في سلا، وغيلان في فاس، وذلك بسبب تقلص تجارة السكر وغيرها من المواد التي كانت تستوردها بريطانيا وهو لندة بعد ان انصرفت الدولتان إلى استيراد السكر من البرازيل.

ولما كان لا بد للشريف الرشيد من تنظيم موارده المالية لمجابهة كل الاحتمالات لتحقيق طموحاته التي قتل من أجلها أخيه محمدأً لذلك كله نراه يتوجه بانتظاره نحو فرنسا التي كانت - كما يبدو - تأمل بأن تحل محل بريطانيا وهو لندة، بعقد اتفاقية تجارية مع المغرب، لأنها الدولة الأقرب إلى المياه المغاربية بعد إسبانيا، ولأن الرشيد وضع في حسابه ان التجارة مع فرنسا ستكون خاضعة لمراقبته الشديدة. ويتبين من ذلك ان فرنسا كانت تطمح بأفكارها إلى أبعد من عقد اتفاقية تجارية.

فاتخذ الرشيد مدينة «تازا» قاعدة لعملياته العرية، ولما توسيع العمليات اتخذ «فاس» ومنها انقض على الدلائين فهزمهم هزيمة ساحقة وقضى على زاويتهم قضاء مبرماً، حتى لا يعودوا إلى الانقضاض والثورة من جديد. ثم وجه اهتمامه إلى تدمير الإمارات الداخلية التي كانت تقاسم سيادة المغرب ومنها إمارة أبي حسون في بلاد السوس وأمارات الشبئان الهلالية في مراكش، والإمارات المستقلة في الشمال، وهكذا تمكّن من إعادة وحدة المغرب الأقصى، وراح يستعد بتعزيزه قوة الجيش لتحرير الموانئ المغربية المحتجزة من قبل الأسبان والبرتغاليين. ولكنه قتل عام ١٦٧١، وهو يقوم بترويض جواده إذ اندفع به الجواد الجامح بين أشجار بستانه فاصطدم رأس الرشيد بغضن شجرة كبيرة أدى إلى مصرعه، ولكنه والحق يقال كان قد نجح في توحيد المغرب الأقصى وقضى على الانقسامات والتجزئة.

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

الفصل
الرابع

الشريف إسماعيل الكبير المظفر بالله

١٦٧٢ - ١٧٤٧

تولى الحكم بعد الشريف رشيد الشريف إسماعيل أخوه الثالث من أبناء الشريف بن علي - وقد طالت مدة حكمه أكثر من نصف قرن ولقب باسم المظفر بالله وكان معاصرًا للouis الرابع عشر ملك فرنسا «ولقب بأبي النصر أيضًا».

سطع نجم مولاي إسماعيل في المغرب، وازداد تألقاً وسطوعاً بالإنجازات التي أتمها بعد أن استفاد من النتائج التي حصل عليها أخيه الشريف محمد. ولكن جابه جملة من المشاكل العالقة منها مشكلة تشكيل جيش جديد خاضع لسلطنته المباشرة، ففرض نظام الضرائب الباهظة، وفي الوقت نفسه استبقى الوحدات الهلالية في الجيش كما فعل المربيون من قبل.

وبعد أن باينته مكناس - وكان عمره ٢٦ سنة - اقتدت بها سائر المدن والحواضر الأخرى إلا مدينة مراكش، لأن ابن أخيه أحمد انتقم منها،

وحرضها على العصيان طمعاً بالسلطان.

فسير إسماعيل حملة عسكرية إلى مراكش جعلت ابن أخيه يفر هارباً إلى قبائل السوس مخلياً مدينة مراكش لعمه السلطان إسماعيل، ولما تمردت فاس واستنجد أهلها بابن أخيه أحمد، عدل عن مهاجمة الواحات الصحراوية وانطلق من مراكش لمنزلة أحمد ابن أخيه في «تازا» ومنها انتقل إلى «غيلان» ليقمع الثورة في الشمال. ثم عاد إلى فاس متصرفاً فبايعته على الفور، وهكذا قضى ١٥ سنة من مطلع حكمه في قمع الثورات والانتفاضات. ثم مد نطاق أعمال التحرير إلى أقصى الجنوب وأبعد مما وصلت إليه فتوح المنصور الذهبي.

وبعد أن استتب الأمن وانتظمت أحوال السكان المواطنين واستقر الاقتصاد على قواعد ثابتة، شاع في البلاد الأمن والرخاء وال عمران إلى حد جعل المؤرخ الناصري يقول:

«في هذا العصر استقامت الأمور، وسكنت الرعية، وهدأت البلاد واشتغل السلطان ببناء قصوره في مكناس وغيرها وغرس بساتينه وأصبحت البلاد في أمن وعافية حتى ان المرأة أو الذمي. صار يخرج أحدهما من وجدة إلى وادي نول، فلا يجد من يسأله إلى أين؟ ورافق ذلك رخاء مفرط، إذ لم تعد للقمح قيمة ولا للماشية لكثرة الانتاج وراح العمال يجبون الأموال. والسكان يدفعون بلا كلفة. حتى صار المغاربة كفلاхи مصر يعملون ويدفعون في كل جمعة أو شهر أو سنة ولم يبق سارق ولا قاطع طريق»^(١).

وقد اختلف المؤرخون في عصره وبعد عصره في وصف سجاياه ومزاياه وفيما كان المؤرخون العرب يجمعون على مدحه والتغنى بما فيه راح

(١) راجع كتاب الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى للناصري.

المؤرخون الأوروبيون يكيلون له النعوت الحاقدة فوصفوه بالظلم والقسوة، مستندين إلى روايات قصها الأسرى من الأفرنج والموتورين، أو من حكايات تناقلها السفراء نقلًا عن الأسرى الأفرنج، أو المоторين من العرب والبربر هذا مع العلم بأن الأسرى الأفرنج في المغرب كانت حياتهم أحسن كثيراً من حياة الأسرى المسلمين في أوروبا حيث كانوا يعاملون كمخلوقات أقل مستوى من الحيوانات.

ولكن المؤرخين من الطرفين أجمعوا على أن السلطان إسماعيل كان مهياً يفرض هيبيته على كل من رأه أو تحدث إليه، وكان شجاعاً . لا يهاب الموت، وذكيّاً بين الذكاء وفطناً لا تنطلي عليه مكائد الغربيين وأحابيلهم.

ونجح في اجتثاث شأفة العصياني في الأطلس الأوسط وجرده من أسلحته وجمع من سكانه ٣٠ ألف بندقية و ١٠ آلاف جواد.

وقد انتقده المؤرخون الأوروبيون لأنّه لم يتمكّن من وضع سياسة اجتماعية واقتصادية ثابتة. ونحن نسألهم بدورنا هل كان في فرنسا سياسة اجتماعية على عهد لويس الرابع عشر، أو لويس الخامس عشر وهو القائل قبل وفاته «من بعدي الطوفان» أي الثورة الفرنسية التي قضت على نظام الاقطاع والنبلاء والتجار المحتكرين.

ثم نسألهم بدورنا: «هل كان في بريطانية سياسة اجتماعية خلال حكم اليزابيت الأولى وبنلائها وقراصنتها أو حكم من جاء بعدها من ملوك بريطانية؟ ..

ونكتفي بهذا القدر لأن المؤرخين الأوروبيين في أواخر القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين راحوا يكتبون عن المغرب، وكأنه البلد الوحيد في العالم الذي كان لا يتمتع بنظام اجتماعي أو اقتصادي . أو ضريبي . في

حين كان ملوك فرنسا وبريطانيا يفرضون الضرائب الباهظة على شعوبهم دون ان يقدموا المساعدات المالية ، والاصلاحات الزراعية لتمكنهم من دفع الضرائب . وعندما كان أبناء الشعب يعجزون عن دفع الضرائب كان يزج بهم في السجن بعد مصادرة أملاكهم ، أو يرسلون إلى امريكا والمستعمرات البريطانية للعمل فيها كعبيد بعد ان أسقط القضاء في بريطانيا وفرنسا عنهم حقوقهم المدنية المنشورة .

ويؤخذ على السلطان إسماعيل انه استكثر من عناصر السود «الزنوج» الذين ألقهم بالجيش لدرجة انه جعل للسود نظاماً خاصاً ، فكان يربى أولاد وبنات الزنوج منذ نعومة أظفارهم حتى إذا شب الذكور ألقهم بالجيش وقد تمرنوا واعتادوا على حب السلطان وطاعته . أما الإناث فكان يلحقهن بالخدمة في المنازل بعد ان يكن قد تعلمن كل فنون التدبير المنزلي لتكون المرأة منهن مهيبة للحياة الزوجية وهكذا كان يزوج الإناث المدربات بالجنود السود من أبناء جلدتهن ، لتنشأ العائلة كلها على الطاعة والولاء للسلطان بعد ان يكونوا قد تربوا في رعايته ونعمته .

والحقيقة ان ما كان يسمى بماخذ في ذلك العصر ، كان ينبغي ان يسمى حسناً أما قصة طغيان عناصر السود على العرب والبربر في الجيش فان منشأ هذا الطغيان يعود إلى أبناء السلطان إسماعيل الذين ثاروا وتمردوا وأفسدوا كل مكرمة ومأثره صنعوا والدهم في حياته .

من مآثر السلطان إسماعيل

كان السلطان إسماعيل قد جمع السود الذين جاء بهم المنصور الذهبي من السودان القديم أو من أفريقيا الغربية ، وجندتهم جميعاً على الشكل الذي أوردنا وصفه ، وألحق بهم السود الذين استقدمهم من موريتانيا التي كانت

جزءاً لا يتجزأ من الأراضي المغربية.

واهتم السلطان إسماعيل بتزويد جيشه بأسلحة العصر كالمدافع التي تُحشى حشوأ بالبارود ومثلها البنادق والمنجنيقات وسائر أدوات الحصار، أما المتطوعون من الأجانب فقد أوكل إليهم سلاح المدفعية والهندسة كما كان الحال في عهد المربيين والسعديين - أي أنه ارتكب نفس الأخطاء -.

وأقام السلطان إسماعيل ولأول مرة نظام الشرطة في المدن والمحاميات العسكرية في النقاط الحساسة في داخل البلاد وعلى أطرافها.. وبعد أن دان له الحكم، واستتب الأمن في البلاد التفت إلى المحتلين الأجانب لمراقبة المغرب الحيوية، فحرر مدينة المعمورة «المهدية حالياً» وحلق الوادي عام ١٦٨١ من الأسبان. وكانوا قد احتلواها سنة ١٦١٠، وحرر مدينة العرائش عام ١٦٨٩، ومدينة أصيلا عام ١٦٩١، واسترجع طنجة من الانجليز عام ١٦٨٤ وكان الانجليز قد استلموها من البرتغاليين عام ١٦٦١ قبل أن يتولى أخيه الشريف رشيد الحكم. عندما تزوج شارل الثاني ملك بريطانيا الأميرة كاترين البرتغالية، فكانت طنجة بمثابة صداق لهذا الزواج تقدم به العرش البرتغالي إلى العرش البريطاني.

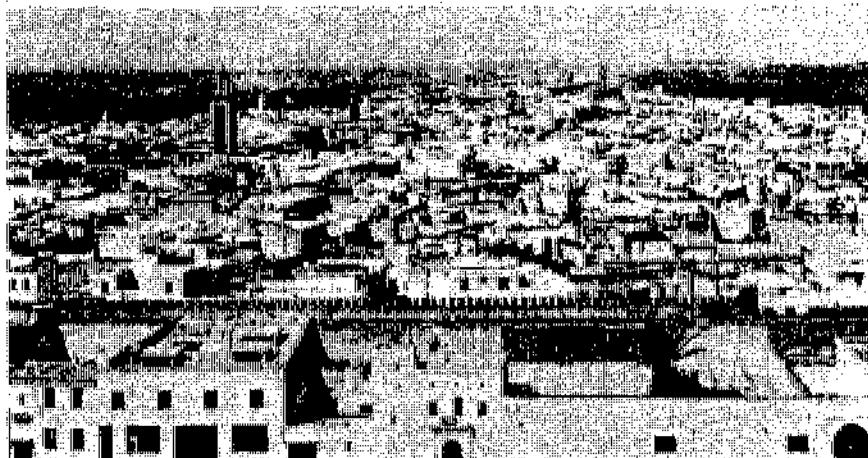
وقد تم تحرير هذه المدن الشاطئية خصوصاً المعمورة - بالقتال الضاري وأسر العديد من الأسبان، ثم حاصر العرائش بضعة أشهر إلى أن فتح ثغرات في أسوارها فانقض عليها جنوده الأبطال وأسروا منها ثلاثة آلاف جندي إسباني ساقهم السلطان إلى مكناس ليبنيوا قصر الرياض، كذلك أصيلا لم تحرر إلا بعد حصار دام سنة، والإنجليز لم يجلوا عن طنجة إلا بعد حصار طويل.

أما الموانئ التي لم يحررها السلطان إسماعيل من أيدي البرتغاليين

فهي سبتة ومليلة والحسيمة وبادس والجديدة وكان الحصار عليها مفروضاً منذ زمن بعيد ولكن السلطان اضطر إلى رفع الحصار لقمع بعض الانتفاضات وأعمال الشغب والتمرد في البلاد وذلك عندما ثار أحمد الدلائي عام ١٦٧٧ بمساعدة عثماني الجزائر.

مكناس في عهد السلطان إسماعيل

وقد آثر السلطان إسماعيل مدينة مكناس على فاس ومراكش العاصمتين القديمتين وقرر أن يجعل منها «فرساي» المغرب، فشيد فيها القصور والمدارس والمساجد. وأقام فيها حصنًا تعلوه أبراج مزودة بالمدافع والمهاريس. وشق في المدينة بحيرة تمخر فيها الزوارق، وجمل المدينة الحدائق الغناء، أما قصره الخاص فقد جعله تحفة الأنظار، تعلوه أربعون قبة وأحاطه بحديقة واسعة روى المؤرخ الناصري أن طولها بلغ فرسخاً، وعرضها ميلان، وشق في المدينة شوارع واسعة وجعل لها أبواباً عديدة فخمة ولكن كل هذه الأبنية هدم معظمها أو دمر في عهد ابنه عبد الله.. وانه



منظر عام لمدينة مكناس العاصمة الاسماعيلية

لمن المحزن حقاً أن يأمر السلطان إسماعيل بتدمير «قصر البدائع» الذي بناه المنصور الذهبي من قبل في مراكش وذلك عندما اعتصم بالمدينة أحمد ابن أخيه في أبان حكمه.

وقد جمع السلطان في خزانة قصره «المكتبة» أربعة عشر ألف مجلد قبل وفاته، وبعد وفاته وزع ابنه ذلك التراث العظيم على مكتبات المساجد المغربية.

وكان السلطان إسماعيل محبًا للعلم ومجالس الأدب، فمن أجله لقضايا الفكر بعث كتاباً إلى الدون كارلوس ملك إسبانيا يطلب منه إرسال ١٠٠ كتاب من ذخائر المكتبة العربية في الأندلس. مقابل عتق كل أسير إسباني وكان عدد الأسرى ١٠٠ أسير فاسترجع خمسة آلاف كتاب باطلاق سراح خمسين إسبانياً. وافتدى الأسرى الخمسين الباقين من الإسبان باطلاق سراح خمسين أسير مغربي.

ومن أعجباته بمجالس العلم والأدب ومرؤنة العقيدة الدينية ما رواه المؤرخ الفرنسي الكونت دي كاستري في كتابه «مولاي إسماعيل» إن السلطان المذكور كان يستقبل سفراء الدول الأجنبية في بلاطه وفي بعض الأحيان كان يستدعي رجال الدين المسيحيين ليناظرهم مستعملاً في مناظرته إياهم العقل والمنطق.

وعندما شكل الجيش من السود الذين اطلق عليهم اسم (عبد البخاري) أمر ذات يوم بحشد الجيش من السود أمامه، وطلب إليهم أن يقسموا يمين الولاء والإخلاص على كتاب «صحيح البخاري» وهو مؤلف يحتوي على «الأحاديث النبوية» ويبلغ عدد الحاميات التي وزع عليها الجنود السود ٧٦ حامية. أما العرب المجندون فقد وزعهم على فاس ومكتناس

وأرسل المتطوعين للجهاد المقدس على خطوط القتال الشمالية.

على خطى العباسين

إلا ان السلطان إسماعيل وقع في نفس الخطأ الذي تورط فيه من قبل الخليفة المعتصم العباسي عندما حلّ ديوان الجيش العربي واستبدل به ديوان الجناد الأتراء الذين جلبهم من بلادهم وسلطهم على سكان بغداد فعاثوا فساداً في المدينة لدرجة أنهم كانوا يسوقون جيادهم خبيباً وحصاراً في شوارعها.

ولما تمادوا في أذيهم للسكان اشتكوا للمعتصم فأمر ببناء مدينة سامراء - على انقاض مدينة «سيميرا» الكنعانية قدماً فعرب العرب اسمها مرتين في الأولى سموها سامراء وفي المرة الثانية سموها «سرّ من رأى».

ويحل الجيش العربي انفرد الأتراء بالحكم بعد موت المعتصم «٨٣٣م - ٨٤٢م» وابنه الواثق «٨٤٢م - ٨٤٧م» وبعد وفاته تقلد الحكم ابنه الثاني المتوكل «٨٤٧م» - الذي قتله «بغا» التركي أحد مماليكه مع ووزيره الفتح بن خاقان.

ومن المعروف ان تدهور الخلافة العباسية بدأ من المتوكل ثم قتل الأتراء معظم الخلفاء العباسيين صبراً.. إلى ان استولت على الحكم أسرةبني بُويه الفارسية وهي من خراسان.

وكذلك تورط السلطان إسماعيل بزواجه وتسرّيه بعدد كبير من الجواري والنساء الأجنبية بالإضافة إلى بنات القبائل كما تورط هارون الرشيد الخليفة العباسي من قبل؛ الذي كان من أشهر زوجاته «زيديدة» أم الأمين وهي هاشمية عباسية من أحفاد الخليفة المنصور «ومراجل» الفارسية أم المؤمنون «ومارية» التركية أم المعتصم «وفاردة» أم صالح [راجع الأغاني لأبي الفرج

الأصبهاني ج ١٦ ص ١٣٧ والمسعودي ج ٨ صفحة ٢٩٩».

وكانت ولاية العهد للمأمون لأنه أكبر سنًا وأوسع علمًا وثقافة من الأمين، ولكن الأسرة العباسية تدخلت في الأمر بإيعاز من زبيدة أم الأمين فتولى بعده الخلافة ولما حاول أن يعزل أخاه المأمون عن ولاية العهد نشب الحرب بين الأخرين فتغلب المأمون واحتل جيشه بغداد وقتل الأمين.

وفي عهد المأمون عادت الدولة إلى صبغتها الفارسية، فلما مات توالي المعتصم ابن التركية أحدث انقلاباً في نظام الدولة فقضى على النفوذ الفارسي وأحل محله النفوذ التركي ومنذ ذلك الحين لم يعد للعرب والقادة العرب والأسرة العباسية كلها أي نفوذ معترض به. إذا استولى الأتراك على مقايد الحكم فكانوا يخلعون الخليفة ويولون غيره دون أن يكون لأي خليفة عباسني أي سلطة أو نفوذ في الحكم سوى الاسم واللقب والدعاء له في خطب المساجد.

وقد تورط السلطان إسماعيل بكل هذه الأخطاء العباسية الآنفة الذكر عندما أخذ الزنج قادة وجندواً وعندما أوجب عدداً كبيراً من الأبناء نكبت الدولة المغربية في عهودهم واحداً بعد الآخر.

فالزنوج كانوا مرتبطين بشخصية الحاكم، ما دام يدفع أجورهم فإذا قصر السلطان عن دفع رواتبهم ثاروا، وقلبوا السلطان وأبدوا استعداداً لخدمة غيره إذا كان قادراً على الدفع.

التوازن السياسي في عهد السلطان إسماعيل

وقد أقام السلطان إسماعيل سياسة متوازنة مع الدول الأوروبية، وعلى الأخص مع بريطانيا وفرنسا وهو لندة ليحصل على مساعدات تساعده على إجلاء القوات الإسبانية والبرتغالية عن المدن المغربية الشاطئية.

ومن أجل تحقيق غاياته فكر بعقد صفقة «مصالحة» مع لويس الرابع عشر، فبعث إليه رسولًا خاصاً ليخطب ابنته الأميرة «دوكين» واشترط أن تقدم له فرنسا المعونات الكافية لتمكنه من طرد الإسبان والبرتغاليين عن شواطئه، ولكن لويس الرابع عشر «المغرور» رفض الطلب مرتين وأجاب قائلًا: «بأن القرصان المغربي لا يحترم الاتفاques التي يوقعها السلطان» وهو رد فيه الكثير من الوقاحة والتعالي.

فكان هذا الجواب سبباً في وقف المبادرات التجارية بين بلديهما لمدة عامين، وتعطيل التمثيل الدبلوماسي بين بلديهما زهاء أربعين عاماً، وتوقفت بالمثل كل الاتفاques الرامية إلى تبادل الأسرى بين المغرب وفرنسا، واغتنم الانجليز الفرصة فحلوا محل الفرنسيين، فعاد المغرب إلى تصدير السكر والمنتجات الزراعية الفائضة إلى لندن، مقابل البارود والأسلحة الحديثة والكريات والآلات الصناعية لصنع الأجراس وكان المغرب بحاجة ماسة إلى كل هذه المواد الاستراتيجية والصناعية.

وكانت الخلافات بين بريطانيا وإسبانيا على أشدّها إلى حد ان بريطانيا احتلت جبل طارق فاستفاد السلطان إسماعيل من ذلك الاحتلال إلى حد ما.. ولكن احتلال جبل طارق كان يعتبر لدى العارفين بخفايا السياسة الدولية في ذلك العصر انه كان يشكل خطراً مباشراً على إسبانيا والمغرب معاً لأن جبل طارق يعد نقطة ارتكاز لمن يريد السيطرة على المضائق المؤدية إلى إسبانيا أو الهجوم لاحتلال طنجة والبلاد المغربية.

تسامح السلطان إسماعيل

ومع ان المؤرخين الأوروبيين لم يكونوا منصفين بحملاتهم الشعواء على السلطان إسماعيل فانهم أمتدحوا سياسة التسامح الديني التي اتبعتها

السلطان باطلاق حرية العبادة لغير المسلمين بسم احه لبعثة الرهبان الفرنسكان الاسبان العناية بأسراهم، كما سمح للمسيحيين بناء كنائس في مكناس العاصمة، وكان فيها كنيستان للبرتغاليين، ودير في فاس وكنائس أخرى في سلا وتطوان.

وبالرغم من الأخطاء العديدة التي ارتكبها السلطان بدون تصميم، وربما كان معظمها ناشئاً عن حسن النية، فإنه كان رجلاً نبيلاً وسلطاناً قوياً فرض إرادته على أعدائه الأوروبيين وغير الأوروبيين فوقع معاهدة عدم اعتداء مع الدولة العثمانية «فلا هو يقوم بأي محاولة لاسترداد الجزائر وضمها إلى دولة المغرب الكبير، ولا العثمانيون يعتدون على بلاده أو يساعدون القبائل على التمرد ضد السلطة العلوية».

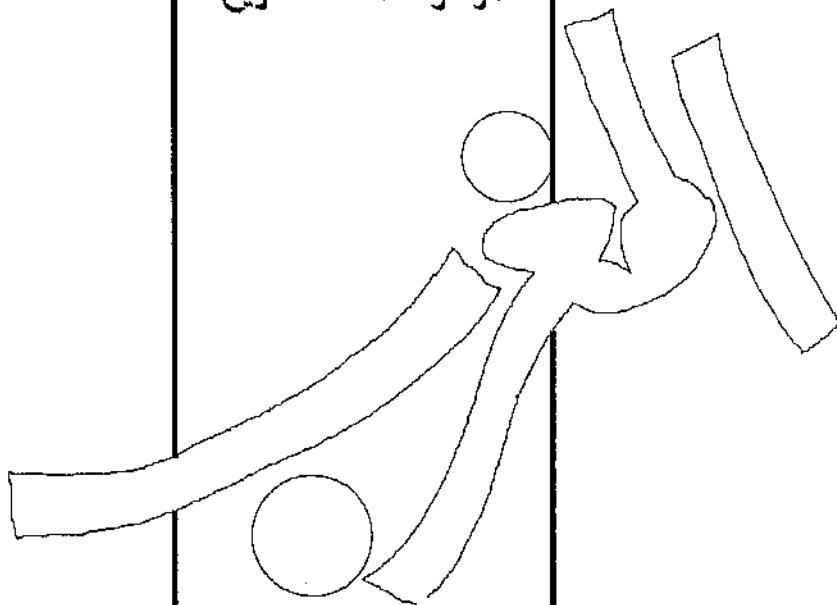
وعاش السلطان إسماعيل ٧٥ سنة، وفي أواخر أيامه بدأ أبناؤه يثورون عليه، كما ان الجيش الأسود راح يتدخل بسياسة الدولة، مما جعل المغرب يعيش ٣٠ عاماً في فوضى ضارية الأطناط بعد وفاته كانت السبب في وقف نمو الحضارة المغربية التي تأخرت في حين تقدمت الحضارة الأوروبية، وكانت الحضارتان تسيران من قبل جنباً إلى جنب كفرسي رهان.



عَنِ الْمُلُوْكِ وَأَفْضَلِ النَّاسِ كِبِيرٌ مُولَانَا
سَمَاعِيلُ بْنُ الْئَمَّ رَعَى بَطْلَ الْحَسَنِي
وَقَبْرُهُ كَنْدَافَةُ أَنْ قَتَوْرَ حَمْدُ اللَّهِ

السلطان اسماعيل

الموسوعة العامة للتاريخ



والأندلس

الفصل الخامس

السلطان أحمد الذهبي بن إسماعيل

١٧٢٧ ميلادية

كان السلطان إسماعيل أثناء حياته قد عين عدداً من أولاده حكامًا على المقاطعات والمدن البارزة، فقعد بذلك إشرافه الكلي على سولوكهم الشخصي، وفي خلال ولايات بعضهم تمادى هذا البعض في الفساد والمجون حتى أنهم ثاروا عليه في أواخر حياته. فعزلهم واحداً بعد الآخر واستبدل بهم حكامًا وولاةً من أهل البلاد والمشهورين منهم بالصلاح والتقوى.

ولما وفاه الأجل، عاد الأبناء إلى التنافس على تولي السلطة.. ويبدو أن الأمر أصبح في أيدي زعماء الجيش من السود. فأذروا ابنه أحمد بعد أن وعدهم ومتّهم بإغراق أموال الدولة عليهم. وهكذا بُويعَ أحمد سلطاناً بعد والده وكان ضعيفاً عاجزاً فأجزل العطاء لرجال الدولة الطماعين والقواد السود الجشعين فناصروه حيناً من الزمن إلى أن خلت خزائنه بعد عام واحد من توليه.. وكان أثناء مدة ولايته المحدودة قد لقب بأحمد الذهبي لكثره ما

أغدق على حاشيته والجيش من أموال الدولة .

ولكن عهده ويا للأسف اتسم بالظلم ، والطغيان وفرض الضرائب المجنحة على السكان والقبائل ، وانصرف في الوقت نفسه إلى حياته الخاصة الحافلة بالفحش والملذات ، وكان كلما أعزه المال فتك بأمراء الأطلس والريف وحكام الغرب والأسر العنوية البارزة لكي يستولي على أموالها . فلما نصبت الأموال من الخزينة ، وعمت الشكوى والتذمر من سوء تصرفه أخذت الحاشية وقواد الجيش يبحثون عن سلطانٍ جديد . لكي يؤمن لهم الرواتب . والهدايا والمنح فاختاروا أخاه السلطان عبد الملك . فأسرعوا إليه وحملوه من ولايته في السوس وعادوا به إلى مكناس ، ونصبوه سلطاناً ، ثم نقلوا السلطان أحمد المخلوع ووضعوه في الاقامة الجبرية في مدينة سجلماسة .

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

**الفصل
السادس**

السلطان عبد الملك - أبو مروان

»١٧٢٧«

وسرعان ما اكتشف عبد الملك السلطان الجديد ان خزائن الدولة خاوية والضربيه مدفوعة ، والشعب ينن ويشكو من سوء الحكم ، وتصرف قادة الجيش الأسود المشين ، فاستعلن عبد الملك بالبرير لكي يساعدوه على «عبد البخاري»^(١) أي السود في الجيش ، فثار السود وقتلوا بعض القادة من وقفوا في وجوههم ، عندئذ هرب السلطان واستجبار بالحرم الأدريسي ولجا إليه ، فاغتنم السلطان المخلوع أحمد الفرصة وعاد من منهان إلى مكناس وأخذ يوزع الأموال يميناً وشمالاً ، فثار سكان مدينة «فاس» وهم المتشريون بالمحصارة والمدنية أكثر من غيرهم ، وتشبثوا ببيعة السلطان عبد الملك ، فزحف عليهم السلطان أحمد المخلوع ، فحاصر مدينة فاس وضربها بالمدافع والمهاريس ، فاستسلمت بعد دفاع مجيد دام خمسة أشهر .. وانتهى الأمر عند هذا الحد ، وبعد بضعة أسابيع عشر على السلطان عبد الملك مختوفاً في مكناس وبعد ثلاثة أيام مات السلطان المخلوع أحمد الذهبي .

(١) إن كلمة عبد معناها المخلوق المستعبد وليس المخلوق الأسود كما يظن الكثيرون.

الموسوعة العامة لقارات

والاندلس

**الفصل
السابع**

المول عبد الله بن إسماعيل

وهكذا امتدت حقبة الفوضى من عام ١٧٢٧ إلى عام ١٧٥٧، وشهدت فيما شهدت من الأحداث والكوارث عزل السلطان الجديد عبد الله خمس مرات.

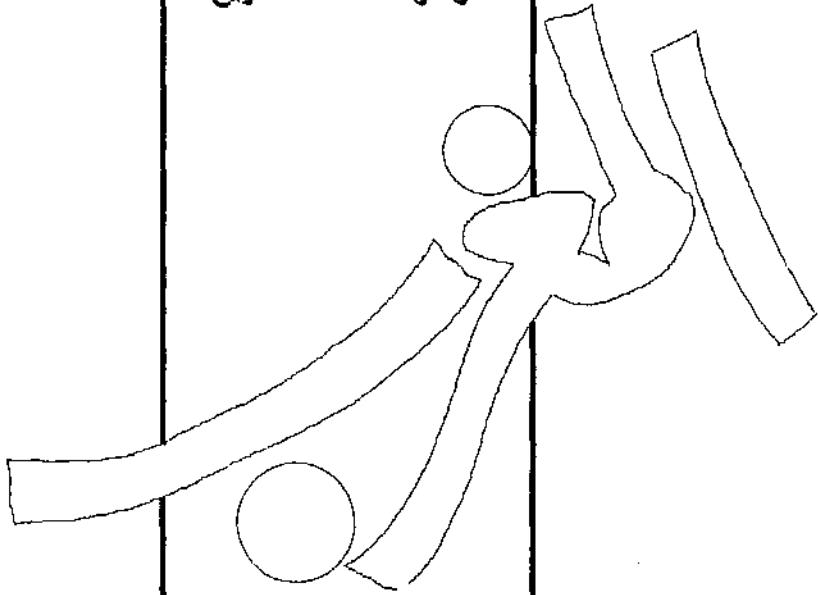
وكان قد جرى تعيين الأمير عبد الله الابن الثالث للسلطان إسماعيل بالاتفاق والتواطؤ مع حاشية القصر وقاد الجيش الأسود، فبادر من فوره إلى مكافأة الذين ناصروه ومعاقبة الذين أساوا وتأمروا.. وعيشوا بنظام الدولة، فبطش بالمخربين حتى أنه أمر بهدم سور فاس، واستخدم الأسرى في تقويض بعض معالم الرياط، قمعاً لفتتین فيهما، كما انتقم من احدى القبائل لأنها قطعت طرق المواصلات. ثم خاض معركة حامية ضد ثوار البربر الذين ثاروا عليه في جبال الأطلس، ولكن كتائب السود هزمت في هذه المعركة حتى لا تتيح للسلطان عبد الله أن يتتصر، على اعتبار أنه بحالة انتصاره سيكتسب قوة جديدة تمكنه من البطش بهم، لذلك انتقم منهم السلطان. فأعدم عشرة آلاف زنجي مرة واحدة، فاشتد تأمرهم عليه وقرروا قتلها أو خلعه فهرب منهم واعتضم بحمى أخيواله عشائر المغافرة ليستعين بهم

على مواصلة الكافح.

وفي أثناء هذه الاضطرابات ساء الوضع الاقتصادي وهبطت معدلات الانتاج الزراعي والصناعي إلى الحضيض، بعد ان كانت قد ارتفعت إلى القمة في عهد المولى إسماعيل لدرجة ان سكان المغرب عاشوا في ترف وبمحبوحة أنساتهم الشدائ드 التي عانوها في عهد الدولة الوطاسية وأواخر العهد السعدي.

وقد دام حكم السلطان عبد الله سبع سنوات قبل هروبه .. ولكن كتاب الزنوج اختتمت الفرصة لإشاعة أكبر قدر من الفساد في عالم عربي إسلامي متحضر، عاش أولئك الزنوج في وسطه بعقلية متخلفة لا يهمهم من الدولة - بقاوها أو زوالها ولا يعنيهم سوى استمرار الإنفاق عليهم وتتأمين رواتبهم . فهم والحالة هذه لم يكونوا يشعرون بأدنى شعور بالمواطنة الصادقة ، ولا يؤمنون بالرعاية الأمينة على مصالح الدولة التي تنشد البقاء والاستمرار.

الموسوعة العامة للتاريخ



والأندلس

**الفصل
الثامن**

السلطان على الأعرج بن إسماعيل - ١٧٣٤

بعد هروب السلطان عبد الله، عمدت كتائب الزنوج إلى تنصيب على الأعرج ابن الرابع للسلطان إسماعيل سنة ١٧٣٤، فبذل هذا جهوداً خارقة لإعادة النظام والأمن، فألغى الضريبة الجائرة التي فرضت على الشعب، وعاد إلى الضريبة الشرعية. ولكن الاقتصاد كان متدهوراً لقلة الانتاج.. فأصبحت الخزينة بالعجز، ولم يعد بين يديه ما يقدمه للزنوج والأصابع الخلفية التي تحركهم.

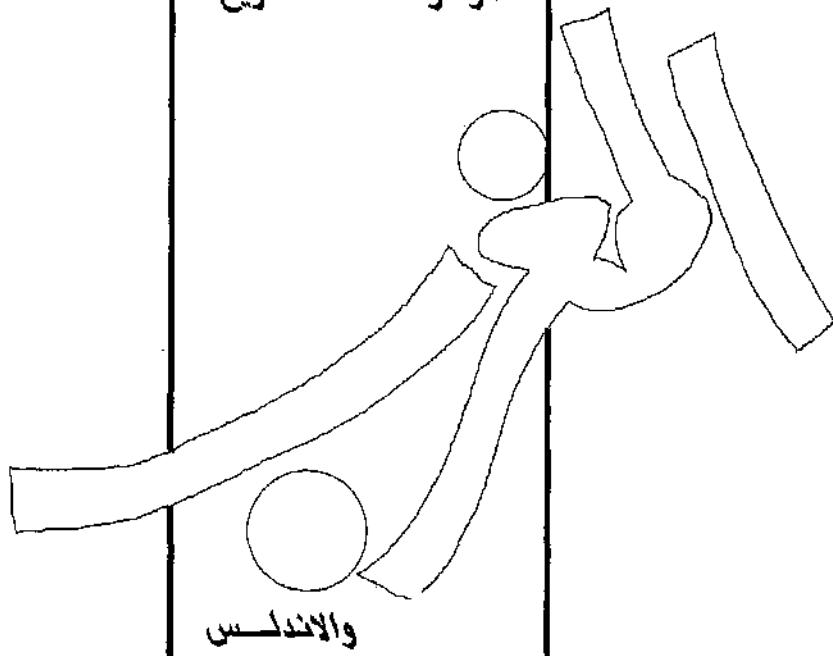
ووقع الشعب المغربي بين ناري السلطان وكتائب الزنوج، فاندلعت الثورة في مدينة فاس موئل العلم والحضارة، بعد أن ضاق ذرع السلطان ولم يعد قادراً على تثبيت الأمن ومنع أعمال السلب والنهب، فوجد سكان فاس أنفسهم مع سكان الأطلس ضد جيش المرتزقة، والتثبت الأجواء في الأطلس، فخاض سكانه معركة حامية مع كتائب الزنوج، فانهزموا ووقع السلطان الأعرج أسيراً بأيديهم، ولكن الثوار ذوي التفوس الأبية والشهامة الإسلامية عز عليهم وقوع السلطان الأعرج أسيراً في أيديهم وهو ابن السلطان إسماعيل الذي بسط أياديه البيضاء على المغرب وحرر الكثير من

مدنه وأراضيه، فعاملوه معاملة حسنة لا تخلي من الإجلال والتعظيم ولم يسمحوا له بالعودة فحسب بل أرسلوا معه كتيبة لتشيعه إلى وادي الربيع ليعود من هناك إلى قصره. بينما استمر الثوار في مطاردة الكتائب السوداء.

وبالرغم من عودة السلطان إلى قصره فإن عبيد البخاري لم يتركوه و شأنه لكي يصرف أمور الدولة، لينفذهم مما أفسدته أياديهم فعادوا يتآمرون عليه من جديد حتى أرغموه على الهرب فرحل إلى شرقى المغرب.

وفي هذه الأثناء ظهر السلطان السابق عبد الله بن إسماعيل مرة أخرى في «تادلا» وكان يحمل معه بعض الأموال. وكما هي العادة تسلط عليه السود. حتى ابتلعوا كل ما لديه. ولما ضايقوه هرب من وجههم واحتضن.

الموسوعة العامة للتاريخ



والأندلس

**الفصل
الناتس**

السلطان محمد الثاني بن إسماعيل

بعد ذلك عينوا سلطاناً جديداً هو محمد الثاني بن إسماعيل وكان يقيم في سجلماسة، فجاء به إلى فاس ونصب سلطاناً عليها. وأيد هذا التنصيب الزنوج على أمل أن يضعوه هو وخزينة الدولة تحت رحمتهم.

وكان السلطان الأسبق عبد الله بن إسماعيل ما يزال لا جنا لدئ قبائل الأطلس، ومن هناك شرع يغير مرة بعد الأخرى على جيش الزنوج المرابط في فاس مقر السلطان الجديد محمد الثاني المقلب «بابن عربي» وكان هذا يخرج على رأس زنوجه لمقابلة السلطان عبد الله. فلما هزم صاحب الزنوج عاد إلى فاس بعد أن قطع رؤوس بعض الأبراء ليزعم بأنه انتصر في المعركة الأخيرة.

ومرة أخرى سادت الفوضى وتفاهمت عندما عجز السلطان محمد الثاني عن دفع رواتب الزنوج فخلعوه ونصبوا مكانه المستضيء بن إسماعيل كسلطان جديد سنة ١٧٣٨ .

ولما لم يجد هذا السلطان ما يقدمه للزنوج سطا على الإهراوات التي

كان يخزن فيها والده إسماعيل الكبيرت وملح البارود، فباعها ودفع رواتب الجنود، ولكنهم عادوا وثاروا مرة أخرى فباع الحديد الموجود في الاهرات وسك نحاس المدافع عملات نحاسية، ولما نفذت العملة النحاسية، هاجم السود مدينة فاس وامعنوا فيها سلباً ونهباً، ثم هاجموا مدينة طوان وفعلوا فيها مثل ما فعلوا في فاس، ومن ذلك التاريخ لم تعد طوان تأمن جانب هؤلاء المسلمين ولا جيوشهم.

ولما انقلب السود على المستضيء لخلعه هرب إلى مراكش ولكن سكانها خذلوه لأنهم كانوا يؤيدون السلطان عبد الله بن إسماعيل ثم عادوا وقبلوا به سلطاناً.

وجدد سكان فاس ومكناس له البيعة. ولكن السلطان عبد الله نقل مقره من وادي زم إلى مكناس تخلصاً من مضائق الزنوج، فانقلبوا على سكان مدينة فاس وشرعوا يعتدون على أملاكهم ويصادرون بضائعهم ويخطفون بناتهم زاعمين بأن ما يقومون به من تلك الأعمال الوحشية إنما هو بأمر من السلطان عبد الله.

وكان الزنوج يشعرون بان السلطان عبد الله يعمل سراً من أجل ان يفتلك بهم، لذلك كانت ثقفهم به ضعيفة فراحوا يبحثون عن سلطان جديد، فحاول باشا طنجة إعادة المستضيء إلى الحكم عندما كان السلطان عبد الله يتصار محاصيل فاس الزراعية، وسنحت الفرصة للزنوج فجاؤوا بزین العابدين وعيشه سلطاناً وهو يدعى زيدان بن إسماعيل ويلقب بزین العابدين. سنة 1741 . وخلعوا السلطان عبد الله فهرب إلى جبال الأطلس.

ولما شع المال بيدي السلطان زيدان، اغتنم السلطان عبد الله الفرصة فدخل مدينة فاس بمساعدة قوات البربر الأطلسية. وكان سكان فاس وجيش

الودايا قد تخلقا عن بيعة السلطان زيدان الذي ما كان يملك سوى القليل من المال، فلما نفد ولی هارياً فاستتب الأمر للسلطان عبد الله.

الزنج يستدعون المستضيء

ولكن الزنج كانوا يخافون منه لذلك استعدوا السلطان المستضيء لاعادته إلى العرش فتشبت القتال بين قوات المستضيء المنسود بقبائل الريف وبشا طنجة وقوات السلطان عبد الله المسنودة بقبائل الأطلس، ومع ان قوات السلطان عبد الله كانت المتغلبة إلا ان القتال عاد وتجدد في وادي لوکوس قرب القصر الكبير، وهناك انتصر السلطان عبد الله انتصاراً حاسماً فدخلت قواته طنجة ظافرة، وفر السلطان المستضيء ليجمع قوات جديدة ليخوض بها معركته الثالثة مع السلطان عبد الله، ولكنه خسرها فولى الأدبار، والسلطان عبد الله في أثره يطارده من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال، ولما استقر المستضيء في طنجة للمرة الأخيرة أعلن بأنه لن يعود إلى القتال.

وعاد السلطان عبد الله إلى قصره، «بأبي فكران» فعين ابنه محمدأ خليفة له في مراكش، وأخاه الأكبر أحمد خليفة له في الرياط.

وهكذا تخضب عهد السلطان عبد الله بحروبه مع إخوته بالدماء - دماء المغاربة التي سالت أنهاراً، فقد كانوا هم ضحايا تلك الحروب التي مزقتهم تمزيقاً وأكلت الأخضر واليابس.

وبالرغم من وقف القتال ظلت خزينة الدولة خاوية، والسلطان خاوي الوفاض، والزنوج وغير الزنج منسائر القوات كانوا يتظرون الرواتب والهبات والعطایا، لذلك بقيت الأجراءات متوردة، ولا بد ان شيطاناً مريداً من شياطين بطانة السوء أوحى للسلطان بأن يضرب الكبش

الأسود»^(١). بالكبش الأبيض^(٢). ولكن هؤلاء اكتشفوا «اللعبة» فتحالفوا مع أخوانهم أهالي فاس، فاتصلوا بالسود وحرضوهم على السلطان - فأسفر الأمر عن وحدة جديدة للصفوف، وعلى أثرها قرروا خلع السلطان عبد الله، بعد ثلثين عاماً من الثورة والمعاناة وتنصيب ابنه محمد سلطاناً على البلاد. ولما عرض قرار الخلع على السلطان عبد الله رفضه، كما رفضه ابنه محمد برأً بآبيه، وقام محمد بمسعى لدى الزوج حملهم به على تجديد البيعة لوالده عبد الله .. فبايعوه، ولكن سكان الأطلس رفضوا المبايعة.. وبعد لأي حسم الموت كل الخلافات فمات السلطان عبد الله عام ١٧٥٧ ويُوَيَّب ابنه محمد بن عبد الله، وهو محمد الثالث بن عبد الله بن إسماعيل.

الحروب الأهلية آخر المغرب وأعاقت تقدمه

إذا القينا نظرة إجمالية على الوضع في المغرب خلال هذه الحقبة الدموية، نجد انه تأخر كثيراً عن أوروبا - بعد ان كان متقدماً عليها بسبب تلك الحروب الأهلية - التي دمرت العديد من مدنه وقراء، وأفسدت مزارعه ومصانعه، وقضت على تجاراته التي كان يستمد منها الدخل القومي كما ان تعدد الحروب واحتياج الكوارث انفدم ما لديه من احتياطي المال والسلاح والذخائر، فلم يعد يغطيه أمام أنظار المراقبين في أوروبا سوى ورقة التوت .
أجل كان عرشه ظاهراً لكل ذي عينين طامعين .

التقدم الصناعي الأوروبي

أما أوروبا التي كانت مغططة لما يجري في المغرب، فقد ظلت تسير قُدُّماً على طريق الحضارة، بعد ان خلت لها الأجواء فانتقلت من عهد

(١) الكيشي الأسود: يعني الزوج .

(٢) الكيش الأبيض أي البربر والعرب .

الاعتماد على الزراعة وال فلاحين الذين كانوا يعملون في مزارع الاقطاعين والملوك والثبلاء - إلى عهد الصناعة والتصنيع - وبذلك تشكلت الطبقة الوسطى في الدول الأوروبية التي نهض منها رجال الصناعة، ورجال الفكر والاختراع .

حيث أصبح جل اعتماد تلك الدولة على المجهودات الخاصة التي شرع يقوم بها المتفقون من أبناء الطبقة الوسطى خير قيام وبذلك أيضاً بدأ في أوروبا عصر التفوق والنهضة في حين ظل المغرب متقهراً مُنتكساً، ومحمدأً في مكانه .

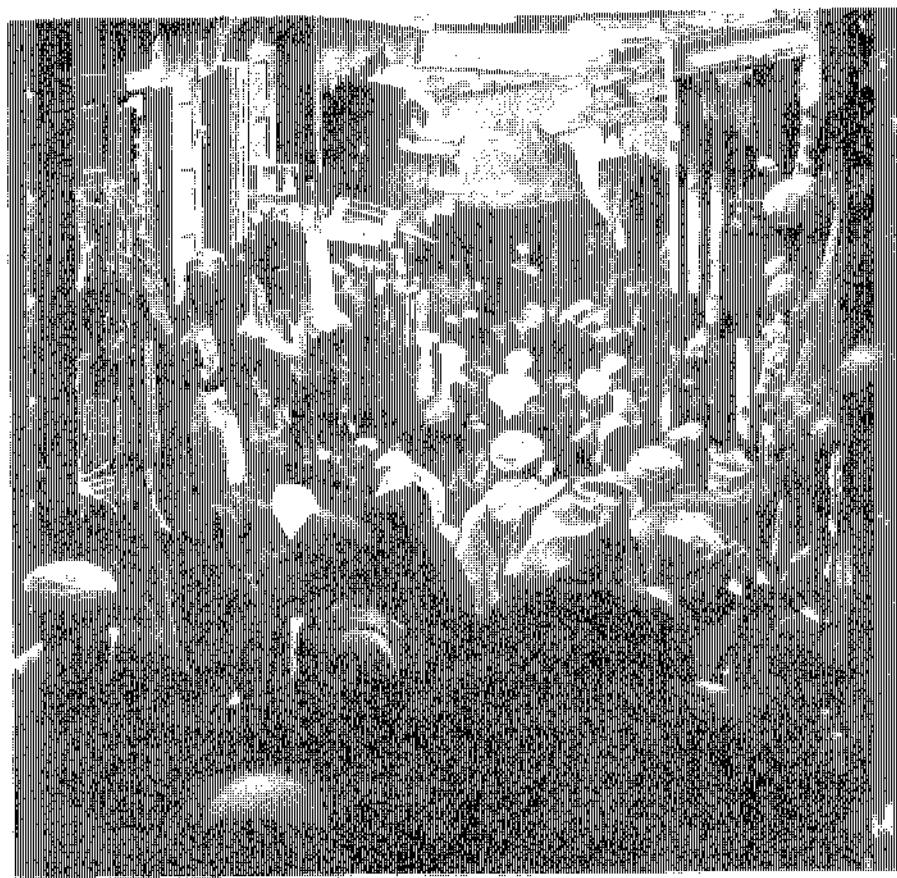
فاكتشفت بريطانيا البخار كمولد للطاقة، والمحرك البخاري الذي يُسیر قطارات سكة الحديد على الأرض والبواخر في البحر . وهكذا حل المحرك البخاري محل الحيوانات والعضلات والأيدي.

ثم صنع المكوك الطائر فعل في صناعة النسيج محل المكوك اليدوي واستخدمت أوروبا المحرك البخاري في أعمالها التجارية والاقتصادية والمواصلات فحلت البخارية محل المركب الشراعي ذي المجاديف . وبذلك أيضاً وأيضاً .. تفوقت السفن البخارية الأوروبية على المراكب المغربية، وبالتالي تفوقت البوارج الحربية التي تسير بالبخار، على المراكب الحربية المغربية التي تسير بالرياح والعضلات .

أما في داخل المدن الأوروبية فقد حل قطار سكة الحديد محل العربات التي تقودها الخيول والبغال، فساعد ذلك بلدان أوروبا على إنعاش طرق المواصلات التجارية وصار نقل البضائع والمتوجبات الصناعية والزراعية يتم بواسطة قطر سكة الحديد، بحيث لا تستغرق عملية النقل سوى بضع دقائق بين القرى والمدن وبضع ساعات بين مدن الشمال ومدن

الجنوب ومدن الشرق والمدن المرفهة على الشاطئ - هذه التسهيلات وطّلت أركان الاقتصاد الأوروبي وصارت أوروبا تستعمل الفحم الحجري وقوداً لتوليد الطاقة بدلاً من الخشب وهكذا خطت أوروبا خطواتاً حاسمة سنة إلى الأمام، في حين ظل المغرب متجمداً خلال هذه الفترة ناهيك عن أنه قضى منها ثلاثة عشر سنة غارقاً في حروب السلاطين.

وفيما كانت أوروبا تتجدد بكل شيء في العلوم والأفكار والفنون وبالثورة الصناعية، ظل المغرب مسلولاً تحت رحمة الحروب الدموية في بلاده.



أحد أحياء مدينة فاس الشعيبة

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

الفصل
العاشر

السلطان محمد الثالث بن عبد الله بن إسماعيل

١٧٥٧

استغرقت عمليات تجديد الجيش واصلاح الادارة وانقضاء مدة سبع سنوات من الثلاث والثلاثين سنة التي قضتها السلطان محمد الثالث في الحكم. وقد استهل اصلاحاته بإبعاد الجيش عن السياسة فراح يطعمه بأبناء العرب حرصاً على إيجاد توازن بين عناصره، ثم حرر الجيش من المشاغبين ومثيري الفتنة، ولكن هؤلاء الزنوج اندسوا بين صفوف السكان في مكناس، فأمر السلطان محمد بتوزيعهم على أقاليم المغرب فنقل ألف عائلة منهم إلى طنجة، وكانت تلك غلطة جديدة منه، لأنهم ثاروا في طنجة بسبب كثرةهم، فأرسل إليهم حملة بقيادة ابنه يزيد، ولكن غلطته تلك سرعان ما انتشرت منها جراثيم الفتنة، لأن الزنوج استمالوا ابنه يزيد إليهم وبایعوه سلطاناً جديداً. فاضطرب السلطان إلى الخروج بنفسه على رأس قوة كبيرة من العرب والبربر لإصلاح غلطته فغادر مراكش حتى إذا وصل إلى مشارف مكناس هرب يزيد واحتمنى بسريره «سيدي إدريس» في حين اعترف الزنوج بخطيبتهم وناشدوا السلطان أن يعفو عنهم. فاشترط عليهم الانصياع إلى

أوامرها، فلما استجابوا ورعنهم على مدن طنجة والعرائش والرباط وبلاط السوس وبقي بعضهم في مراكش أما قادتهم المشاغبون وكان يجب عليه أن يعدمهم ولكنه برأ بوعده فعفا عنهم وبعث بهم إلى مدينة المنصورة.

ويلاحظ أن حركة التهجير اتّبع فيها إرسالهم إلى المدن والمرافئ الشاطئيَّة ولا نعلم ما هو وجه الصواب في هذه الغلطة الفاحشة.

الانفتاح على الغرب

لما انتهى من تهجير الزوج وبعض القبائل البربرية وربما العربية أيضاً التفت إلى تحقيق برنامجه الاصلاحي، مستهلاً إياه بتوثيق علاقاته السياسة والتجارية مع الدول الأوروبيَّة، فعقد سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات التجارية مع الدانمارك عام ١٧٥٧، ومع بريطانيا عام ١٧٦٠، ومع السويد عام ١٧٦٣ ومع البندقية «فينيس» عام ١٧٦٥، ومع فرنسا وأسبانيا عام ١٧٦٧ ومع صقلية والولايات المتحدة عام ١٨٧٦.

المغرب يعترف باستقلال الولايات المتحدة

كان السلطان محمد الثالث أول سلطان مغربي اعترف باستقلال الولايات المتحدة بعد أن تحررت من الاستعمار البريطاني، فأرسل إليه رئيس الولايات المتحدة «جورج واشنطن» كتاب شكر واعترافاً بمبادرة المغرب النبيلة.

المعاهدات تحسن العلاقات

هذه المعاهدات التجارية تضمنت بنوداً تفرض ضرائب على الدول الأجنبية للسماح لبواخرها التجارية بالمرور عبر المياه المغربية، وبعض تلك الضرائب لم تكن أموالاً نقدية بل أسلحة حديثة لشدة حاجة المغرب بعد

حروبه وثارته للسلاح الحديث، فكانت ترسل إليه الدانمارك ٦٠ مدفعةً و٦٥٠٠ ريالاً بينما كانت السويد تدفع ٢٠ ألف ريال.

وبعد أن اطمأن السلطان إلى توثيق علاقاته مع الخارج قرر أن يعمل على تحرير مرافعه المحتلة فطرد البرتغاليين من «المجديدة» عام ١٧٦٩، ولما طلب من إسبانيا الجلاء عن سبتة ومليلة أعلنت عليه الحرب ففرض على المرفأين المحتلين الحصار الذي دام ستين، ولكنه لم ينجح، لأن إسبانيا منعت قافلة بريطانية من تسليم السلاح إلى المغرب، وكان يحتاج إليه لمواصلة الحصار. وكان الغزال كاتب السلطان قد وقع اتفاقية بالخطأ «هكذا قيل في تعليل الخطأ» يقضى برفع الحصار عن سبتة ومليلة فعاقبه السلطان.. ولكن ما الفائدة؟

ولما ارتكب حاكم جبل طارق البريطاني خطأً من أحاطه عدم الكياسة واللياقة أثناء الحصار المفروض على صخرة جبل طارق من عام ١٧٧٩ إلى عام ١٨٧٣ اغتاظ منه السلطان فأمر بطرد القنصل бритاني من طنجة كما طرد الرعايا البريطانيين من طنجة وتطوان.

باكورة النزاع المغربي الفرنسي

ولكن ما لبثت العلاقات بينه وبين فرنسا أن تدهورت لأن الأسطول الفرنسي ضرب مينائي العرائش وسلا انتقاماً لاحتطاف سفينة فرنسية من قبل قرصان قيل بأنه مغربي... وكانت أعمال القرصنة هي السائدة في ذلك العصر، فأجابت مدفعية الشواطئ المغربية على النار بالنار، كما هاجمت القبائل المغربية خمس عشرة سفينة فرنسية كانت تطارد الأسطول المغربي حتى نهر لوکوس، وظفرت القبائل المغربية بإحدى عشرة سفينة منها عندما حاولت الرجوع إلى مدخل الميناء، وقتلت وأسرت ٢٣٠ بحاراً فرنسياً و٣٠

ضابطاً من البحارة.. والباديء أظلم - وهم الفرنسيون.. لهذا كله توترت العلاقات بين الدولتين زهاء عامين، وأخيراً وقع بينهما اتفاق على تنظيم دخول بواخر كل من الدولتين إلى مراقيء الأخرى وافتدي الأسرى الفرنسيون. بعد أن نال المغرب قيمة الفدية معدات لأسطوله.

المغرب رائد التضامن الإسلامي

لما رأى السلطان ان المغرب لا يستطيع وحده الوقوف والصمود أمام الدول الأوروبية. التي كانت تتسابق وتنافس على فرض استعمارها على الدول الضعيفة وغير الضعيفة، قرر لأول مرة في تاريخ المغرب ان يتحقق فكرة التضامن الإسلامي التي خطرت على باله فراح يوقد الوفود تلو الوفود إلى السلطنة العثمانية محملة بالهدايا لتعزيز ذلك التضامن. وثابر على إرسال الوفود بعدها تولى السلطة العثمانية عبد الحميد الأول، فأرسل إليه هدايا نفيسة علىأمل استمرار التضامن بينهما حياً ولو بالظاهر لإخافة الدول الأوروبية الاستعمارية.

وبالفعل فقد نجحت بادرته مع السلطان عبد الحميد الأول لأنه أرسل إليه هدية ثمينة جداً وهي «فرقاطة» أي طراد بحري مجهزة بالمدافع والمهارات بالإضافة إلى ثلاثة رجالاً اختصاً بصناعة البارج الحربية والمدفعية لأن السلطان محمد كان مهتماً بإعادة بناء أسطول مغربي على الطراز الحديث. وهكذا نجح في إقامة توازن شبه معقول في إتجاه المستعمرتين بتحالفه مع الدولة العثمانية التي لم تكن في ذلك الوقت - كما كانت من قبل - أقوى دولة في البر والبحر.

وعزيزاً لذلك التضامن أصهر السلطان محمد إلى شريف مكة وهم من أصل شريف واحد. وقد حمل كريمه هدايا كثيرة لتقديمها إلى أمراء

الدول العربية مثل أمراء طرابلس ومصر وبلاد الشام والحجاز واليمن وال العراق.

هذا الفيض الزاخر من الهدايا ينبع بأن المغرب استرد عافيته من الوجهة الاقتصادية.

بعض مأثر السلطان محمد الثالث

فكر السلطان بأنه قد حان الوقت لتحرير الأسرى المغاربة والمسلمين قاطبة الموجودين لدى إسبانيا. فأجرى مفاوضات بهذا الشأن مع ملك إسبانيا فتلقي^١ بـاستجابة محمودة فأطلق الإسبان سراح الأسرى.

وفي مقابل ذلك المسعى الجميد، كلف ملك إسبانيا ملك المغرب أن يسعى لتحرير الأسرى الإسبان لدى الجزائر فتكللت مساعيه مع الدولة العثمانية وحرر الأسرى من الطرفين وعادت كل فئة إلى بلادها^(١).

ثم بدأ السلطان بتطبيق التعرفة الجمركية على الواردات إلى المغرب بأخذ العشر من أثمان تلك الواردات، وأبدى اهتماماً بتقديم العون إلى الولايات المغربية المتضررة بسبب الجفاف وانحباس الأمطار، كما عمل على تقديم القروض للمزارعين من أجل تحسين وسائلهم الزراعية وتنشيطاً لأعمال تربية الماشية وأمثال ذلك. ولم ينس أن يقدم قروضاً للتجار وأن يسقط الضرائب عن كواهل الغلاحين في سني القحط.

وقام بعملية تطهير في أجهزة الدولة. واهتم بالتعمير فأنشأ مرافيع جديدة على ساحل الأطلسي ومنها ميناء أنفا «الدار البيضاء اليوم» وميناء فضالة «المحمدية اليوم» وميناء الصويرة عام ١٧٦٥ ومن أهميته أنه حل محل ميناء أغادير الذي كان القراءصة يتداولونه ويستخدمونه للتهريب وبذلك أثار

(١) تجدر الإشارة إلى أن الجزائر كانت لا تزال يومها منضمة إلى الدولة العثمانية.

لميناء الصويرة ان يصدر محاصيل وادي نون، ووادي درعة، والواحات الصحراوية، ومحاصيل افريقيبة الغربية، حتى أصبح من اعظم موانئ المغرب، فاجتذب إليه العديد من التجار الانكليز والفرنسيين وغيرهم من الأجانب.

أما في مجال الاستيراد فقد أصبح ميناء الصويرة يستورد الأقشمة والشاي والمصايبع من بريطانيا والسكر والحرير من فرنسا ولكن هذا الميناء بدأ يفقد أهميته بعد ان احتل الفرنسيون افريقيبة الغربية، فانقطع عن المغرب مورده من العاج وريش النعام والتّبر «أي مسحوق الذهب».

ولكن عهد الاستقلال عاد ونهض بهذا الميناء إذ جعل منه المرفا الأول في المغرب لصيد الأسماك وأقام فيه معامل لحفظ الأسماك وتعليبها حتى صار ينافس السمك البرتغالي في الأسواق العالمية.

وأشرف السلطان محمد بن نفسه على تحصين الشغور بالمدافع وكذلك الأبراج.

ولكن السلطان لم يحاول تجديد العلوم والفنون بالاقتباس من العلوم الحديثة وكان كل ما فعله انه نشّط العلوم الماضية أي علوم الدين واللغة والأدب، فظلت الدولة متأخرة في حين كانت أوروبا والعقول الأوروبيّة تقفز قفزاً من اختراع إلى آخر ومن ثورة صناعية خلاقة إلى ثورة صناعية باهرة الانتاج.. ولم تكن هذه غلطة المغرب فحسب بل غلطة الدولة العثمانية والأنظمة التي كانت تحتل معظم دول الشرق الأوسط.

وفي حين كان يجب ان يبني إلى جانب كل زاوية ومسجد، مدرسة أو جامعة لنشر العلوم وتثقيف السكان، كان قصارى جهد سلاطين المسلمين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بناء المساجد والزوايا والتكايا وتعليم

الناشرة ان تكثر من التسبيح والحمد لله والحوقة والتعويذ فقط لكي يدخلوا
«الجنة» من أوسع أبواب الجهل ..

والذين اهتموا بتاريخ هذه الحقبة من حياة السلطان محمد قالوا: بأنه
اهتم بجلب المؤلفات من الغرب وحث على حفظ أشعار العرب مع صحيح
البخاري وغيره وإحياء المذاهب السلفية وانفرد أوروبا بالعلوم والفنون ..
وغرق المشرق والمغرب في ظلام الجهل .. ولكن مآثره الكثيرة ومنها
تحرير مازاغان عام 1769، جعله من أعظم ملوك العلوين في القرن التاسع
عشر بعد إسماعيل.

وبعد موت السلطان محمد خلفه ابنه يزيد وهذه أبغض غلطات هذا
السلطان الكبير الحسنات والفوائد.



أحد شواطئ الدار البيضاء



السلطان سلطان بن محمد الثالث

الموسوعة العالمية ل بتاريخ

والأندلس

الفصل
الحادي
الحادي

السلطان يزيد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل

١٧٨٩

بدأ عهده بإصدار عفو عام عن الزنوج - أصحابه القدماء الذين حرضوه على الثورة ضد والده - فسمح لهم أي الودايا الزنوج بالعودة إلى فاس والزنوج إلى مكناس وعادت بعودتهم الفتنة والحروب.

ومن آثاره القليلة أنه بنى ست عشرة قلعة مزودة بالمدافع لاستعادة سبتة ومليلة ولكنه لم ينجح، وفيما كان يحاصر سبتة والقبائل المغربية تسانده في ذلك العمل الوطني تحركت الفتنة من جديد، وكانت هذه المرة يقودها أخوه هشام. فدارت بين الأخوين معركة ضارية قتل أثناءها يزيد بعد حكم دام ستين فقط.

وبعد مصرعه ثار ثلاثة من أبناء السلطان محمد الثالث بن عبد الله وهم: هشام وأنصاره في الجنوب، «ومسلمة» وأنصاره في الشمال، وثالثهم سليمان وكان يناصره أهل فاس.

وأخيراً فاز بها سليمان بن محمد السلطان المتعلم الراسخ في العلم

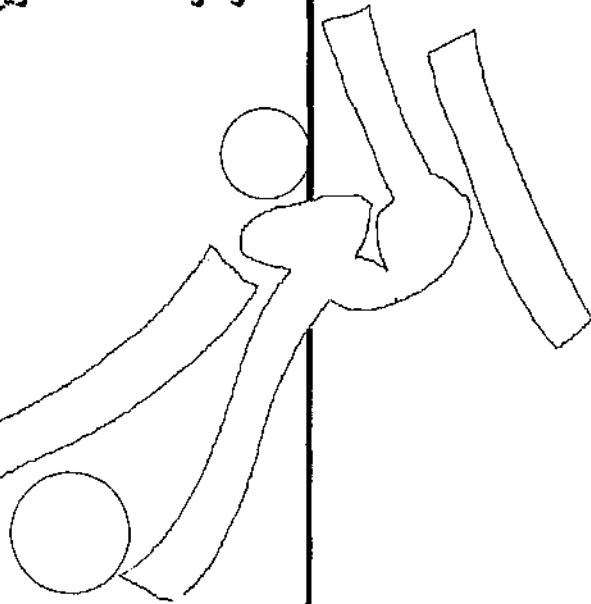
والثقافة - كما قيل -

ولكن قبل ان يفوز بالسلطة نهائياً حكم أخوه هشام بن محمد من عام 1791 إلى عام 1795 ، ولكننا لم نعثر على تفاصيل حكمه وان كان يبدو ان المغرب غرق في منازعات الاخوة الثلاثة أكثر من ثلاث سنوات . ومع ذلك فلم يكن السلطان سليمان رجل الساعة المنشود لتجديده حياة المغرب ، وحمايته والذود عنه .



المولى هشام بن محمد بن عبدالله

الموسوعة العامة ل التاريخ



والأندلس

**الفصل
الثاني**

شهر

السلطان سليمان بن محمد الثالث

١٧٩٢ - ١٨٢٢

حكم السلطان سليمان المغرب ثلاثين سنة، قضى خمس سنوات منها في مطاردة خصومه والإجهاز عليهم. وفي أثناء ذلك استرد مدينة وجدة من يد العثمانيين الذين كانوا يحتلون الجزائر، ومع ذلك فقد عاد وعقد إتفاقاً معهم للحفاظ على التضامن الإسلامي ضد المطامع الأوروبية الاستعمارية، وعندما ثارت مدينة تلمسان التي كانت ما تزال في أيدي العثمانيين أرسلت إلى السلطان المغربي تباعيده وطالبه بأن تسترد لأنها مدينة مغربية، فرفض السلطان الاستجابة إلى سكان المدينة، ولكنه بعث وفداً إلى الجزائر لمصالحة سكان تلمسان مع السلطات العثمانية المحتلة. حفاظاً على اتفاقية التضامن المعقودة بين المغرب والعثمانيين. ولكن العديد من سكان تلمسان هجروا مدینتهم وقصدوا إلى المغرب للعيش أحراراً في ربوعه فاستقبلتهم المغرب وأحسن إليهم وعاملهم معاملة أبنائه.

وتبع السلطان سليمان دعوته إلى التضامن الإسلامي فأوفد ابنه

إبراهيم إلى بلاد المشرق ليوثق علامات المغرب مع مصر والشام والعراق وشبه الجزيرة العربية، مبرهناً على تمسكه بالدين الإسلامي الصحيح مبتعداً عن الطرق الصوفية وشبه الصوفية التي تنادي بالتجسيد والمغالاة في مدح الرسول وشيخ الطرق الصوفية، معتمدة على طقوس قريبة من الطقوس الوثنية، مبتعدة عن العلم والدين السليم وروح العصر.

وفي هذه المرحلة التقى المؤلف المغربي بأتباع محمد بن عبد الوهاب في الحرمين الشَّرِيفين وهو «مؤسس الحركة الوهابية».

أثر سياسة التسامح والارتجال على الوضع في المغرب

قلنا ان السلطان سليمان كان متعلماً ولكنه العلم البدائي المعروف والمحصور في كتب الدين واللغة والفقه والأدب وليس العلم في السياسة الدولية. وستترك للأحداث القادمة ان تختبره لتأخذ الجواب من النتائج التالية :

أولاً : عقد اتفاقاً مع الحكومة الإسبانية فكان أكثر تسامحاً من الاتفاق الذي عقده والده معهم، يعني انه غض النظر عن مدینتي سبتة ومليلة وإيقاهم تحت الاحتلال الإسباني .

ثانياً : آثر انتهاج العزلة عن أوروبا عندما رأى نابليون بونابرت يحقق انتصارات متواتلة على أوروبا، ثم زحف على مصر واحتلها عام ١٧٩٨ . وقد قيل في تعليمه انتهاجه سياسة العزلة عن أوروبا ليحافظ على استقلال المغرب، فمنع التجار المغاربة من التعامل مع البلدان الأوروبية، وحصر إقامة القنواص الأوروبيين في طنجة، والتجار الأوروبيين في المرافئ المغربية، ودفع بالأساطول المغربي إلى عرض البحر بحججه .. حتى لا يصطدم مع الأساطيل الأوروبية .

ثالثاً: أذعن لطلب فرنسا عندما ألحت عليه باستئصال القرصنة من موانئ المغرب.

رابعاً: قابل بالبرود طلب نابليون بونابرت الاعتراف بأخيه جوزيف بونابرت ملكاً على إسبانيا.. وكان جوزيف المذكور قد عرض عليه إعادة سبتة ومليلة إلى المغرب مقابل اعترافه به، لأن اعترافاً كهذا في «ذمة» السلطان سليمان يتنافي مع الاتفاقيات التي عقدها سليمان مع إسبانيا.. «فرصة ضاعت سدى» بتوجيهه من الانكليز أصدقاء السلطان. أما فيما يتعلق بالاتفاقية التي عقدها مع الحكومة الإسبانية فقد برهن على قصور وجهل في المبادرات السياسية وكان ينبغي عليه لا يعقد أي اتفاق مع إسبانيا إلا إذا جلت عن سبتة ومليلة وبذلك يسترد المرفأين الهامين اللذين طال عليهمما الزمن وهما خاضعان لذلك الاحتلال المقيت.

ويبدو أنه وقع الاتفاقية وهو خائف من إسبانيا..

أما السياسة البدائية التي أثر انتهاج العزلة فيها فقد دلت على أنه قليل الطموح، محدود الذكاء، عديم الحيلة، فأوروبا كانت في حالة تقهر واندحار أمام الجيش الفرنسي، وكان ينبغي أن يغتنم الفرصة لتعزيز مكانة بلاده.. وتقويتها.. فالتضامن الإسلامي الذي جرى وراءه لم يحم استقلال مصر من نابليون بونابرت ولم يمكن الدولة العثمانية من التدخل لحماية مصر العربية من الاحتلال الفرنسي، كذلك لم يحم الجزائر من الاحتلال الفرنسي.

والأدهى من ذلك وأمرّ أنه رفض الاعتراف بجوزيف بونابرت ملكاً على إسبانيا وهو يحتلها مقابل استعادة سبتة ومليلة، وماذا كان يتنتظر أكثر من هكذا فرصة عظيمة سانحة لاستردادهما. فيرهن بتصرفه ذاك على أنه

سلطان ضعيف وضعيف جداً ..

أو ليس عجياً، ان تحتل فرنسا اسبانيا مع ان والده وجده ومن ارتقى العرش المغربي من قبلهما عجزوا بالتتابع عن تحرير سبتة ومليلة.. ثم ما هي قيمة الاتفاقية التي عقدها مع ملك اسبانيا وهي لم تحقق أي مكسب لل المغرب.

لقد أتاحت الحروب البونابيرية في أوروبا، للسلطان سليمان كل فرصة ممكنة لتحرير مدineti سبتة ومليلة وتفوية الأسطول المغربي وتعزيز جيشه ولكنه ترك تلك الفرص تفلت من بين أصابعه ..

بعد سقوط نابليون - عقدت الدول الأوروبية على أثر انتهاج المغرب العزلة حيالها عندما كانت منهزمة أمام نابليون - مؤتمراً في عام ١٨١٥ تحت شعار منع القرصنة وتحريم الرق .. ثم تبين ان ذلك المؤتمر إنما كان موجهاً ضد المغرب والمزائير وتونس، لأن هذه الدول الإسلامية هي التي تملك أساطيل لحماية بلادها من غارات القرصنة الأوروبيين. ومن المعلوم ان هذه الأساطيل قويت جداً حتى كانت تفرض وجودها في البحر المتوسط.

فلما أجمعت دول مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ على تحريم القرصنة والرق والدول الأوروبية هي التي خلقت وابتعدت تاريخ القرصنة من أوله إلى آخره - أبلغ القرار إلى أقطار المغرب الثلاثة.

ثم توالي الضغط على السلطان سليمان حتى أرغم على التخلص عن أسطول المغرب وعدد قطعاته ٤٧ قطعة بحرية مجهزة بالمدافع وستة آلاف بحار مدربين.

تُرى لو أن هذا الضغط تعرض له السلطان إسماعيل جد هذه الأسرة فهل كان يرضخ له ..؟

طبعاً لا.. وألف لا.. ولكن السلطان سليمان رضخ لأوامر الغرب فكشف لهم عن مكامن الضعف في دولته والتخاذل في سياساته ولما أرادت الدول الغربية أن تزداد يقيناً من ضعفه وتخاذله فرضت عليه تصدير القمح إلى أوروبا رغم معارضة قبائل الريف، مما جعل السلطان يجرد حملة على تلك القبائل لإخضاعها..

وعندئذ أيقنت أوروبا أن المغرب في عهد سليمان ليس كما كان في عهد جده السلطان إسماعيل القوي الذي كان يفرض إحترامه واحترام بلاده على الدول الأوروبية.

واكتشف الشعب من تنازلات السلطان بأنه ضعيف لا يصلح للسلطة فبدأت الانتفاضات والاضطرابات الدامية فحاول السلطان معالجتها تارة بالعنف وأخرى بالمالينة ولكن الشعب نفر من سلطانه ولم يعد يتحمل بقاءه على عرش المغرب. عندئذ تنازل سليمان لابن أخيه عبد الرحمن بن هشام، مؤثراً إيماناً على أولاده لأنه أدرك بأنه أقدر على تحمل أعباء الملك من أبنائه.. ثم توفي بعد ذلك بأمد قصير.

ترى هل كان سلاطين المغرب في الفترة الأخيرة يجهلون قوة رجال الريف ورجال الأطلس ورجال القبائل في الجنوب؟ وكان من المفترض أن يستخدم السلطان هؤلاء الرجال على شكل تعبئة عامة وبعد منهم جيشاً قوياً لأنهم في الحقيقة عمالقة الحروب وأسياد الجبال بدلاً من استخدام الزنوج وتجنيد أشباه الرجال من أبناء المدن، والمتقطعين القادمين من كل حدب وصوب حتى من قدماء الجيش الإسباني والصقلي والإيطاليين وأمثالهم. ويبدو أن سلاطين المغرب أما انهم كانوا يخافون على عروشهم من ببر الجبال والريف أو الجنوب، أو انهم كانوا لا يميزون بين الأقوياء والضعفاء.

لقد استطاع المرابطون وهم الصنهاجيون سكان الجنوب من احتلال المغرب والأندلس بمنتهى وجية، كما تمكن الموحدون من بعدهم من احتلال المغرب والأندلس وجزر البحر المتوسط، وان يجعلوا هذا البحر بحيرة مغربية كذلك في مدة وجية. ومن بعد ذلك عمت الفوضى وكثرت الانقلابات مما أدى إلى اضعاف الجيش - والقضاء على الأسطول المغربي.

لقد كان عمالقة الجبال والريف والجنوب في المغرب يقدسون سلطنتهم إذا كانوا أقوياء يتحلون بالذكاء والعلم والدهاء السياسي. بالإضافة إلى نسبهم وقربتهم من الرسول الأعظم (ص).

والشاهد على ذلك كثيرة وإننا نذكر القراء الكرام بالحادثة التي جرت مع السلطان علي الأعرج بن إسماعيل قبل اعتزاله الحكم يوم كان هذا السلطان يخوض معركة قاسية مع أبطال الريف فانهزم جيشه ووقع السلطان في أيديهم أسيراً ومع ذلك فقد عامله البربر بصفته أميراً للمؤمنين معاملة إنسانية كريمة تدل على أن البربر من أدنى العناصر البشرية وأكثرها طيبة وإنسانية ولشدة تعلق البربر بالسلطان فقد تجمع نساوهم حوله وجعلن يقبلن أطراف ثوبه بخشوع ومحبة . ثم تقدم رجالهن من بعدهن فقدموا اعتذاراتهم للمولى ، وناشدوه العفو . وهو أسيرهم . وقدموا له كتبية من الفرسان ، واكبت موكبـه حتى عاد إلى عاصمتـه في مكنـاس محاطاً بالحفـاظـة والتـبـجيـل والإـكرـام .

أين مثل هذه الأخلاق في عالمنا الفاجر؟

لقد كان السلطان هو المعتدي بحملته الجائرة على سكان الريف ، فعاملوه بعد أسره وكأنهم هم الأسرى فناشدوه العفو وطيبوا خاطره وأعادوه إلى عاصمتـه معززاً مكرماً سالماً غانـماً . فهل بعد هذا التسامـح فضـل؟

الموسوعة العامة ل بتاريخ

والأندلس

الفصل
الثالث

سبتمبر

السلطان عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله

١٨٥٥ - ١٨٢٢

ورث المولى عبد الرحمن بن هشام تركة مثقلة بالاضطرابات والتخلف والمنازعات القبلية، ومع ذلك فقد كان محتملاً عليه أن يكون شديد الحذر من التحركات الداخلية التي كان يقودها أبناء السلطان سليمان وهو الذي آثره واختاره ليكون وريثه على العرش المغربي، وإن يكن يقطعاً واعياً من الدول الأجنبية وفي مقدمتها فرنسا.

وفي أثناء تجوله في ولايات المغرب اختار عملاً «ولاة» من أبناء الولايات ليكونوا ولاة عليها، واضططر إلى أن يقمع تحركات زاوية «الشرادي» وعصيannya. وحركة الودايا المتطرفة كما كان عليه أن يستعمل الجيش لقمع كل حركة فساد وإفساد في طول البلاد وعرضها بعد أن جرت عملية غريبة في الجيش لتنقيته وتطهيره من العناصر الفاسدة والمتمردة، وبعد أن أصبحت نقاوته مقتصرة على أبناء المغاربة فقط.

أعمال القرصنة وأسبابها

وكان المغرب ما زال يعاني معاناة شديدة من قراصنة البحار، وهم من جنسيات متعددة ومنهم الأندلسيون الناقمون على الإسبان الذين أخرجوهم من بلادهم عنوة في زمان الضعف وانحلال الدولة الأندلسية، ومنهم المغاربة من سكان المدن الشاطئية في الشمال التي يحتلها الأعداء الإسبان وغيرهم وهذه الحركات لا يمكن أن تُسمى هدامه لأنها منبثقة من ثورات نفسية ضد أعداء غربيين أجانب يحتلون الأندلس وعددًا من مدن المغرب، ولذلك لم يمثل الثائرون المغاربة الذين يطلق عليهم الغربيون اسم قراصنة لأوامر السلطان العاجز عن استرداد بلادهم ومدنهم، أما القول بأن الغربيين توافقوا عن أعمال القرصنة في البحر المتوسط فهو قول مردود لأن الغربيين كانوا يستعدون لشن حروب صليبية جديدة ولكنها تستهدف في هذه المرة بلدان شمال إفريقيا كلها، وبمعنى أصبح دولة المغرب الكبير.

لذلك لم يكن في وسع السلطان ولا في طاقته وقوته وقف أعمال القرصنة المضادة، وصادف أن تعرض أحد القرصنة الناقمين إلى سفن النمسا ونابولي، فوجئت هاتان الدولتان حملتين بحريتين إلى شمال المغرب، فقصفتا بأسطوليهما ميناء العرائش المغربي، فرددت عليهما الحاميات الشاطئية بمدافعها المنصوبة فوق القلاع والأبراج.

أما الأسطول المغربي المتختلف في القوة والتجهيز فكان عاجزاً عن مجاهدة الأساطيل الحديثة ذات الأشرعة والمجاذيف لذلك أمر السلطان بتجميده، وصب جل اعتماده على الحاميات في القلاع والأبراج، وابتني أبراجاً جديدة في «الصخيرات» وأبي زينة.

وكانت فرنسا قد خرجت من معركة واتلو مضطضعة واستقر نابليون بونابرت في منفاه بجزيرة سانت هيلانة، في حين راحت حكومة فرنسا

تباحث مع قادتها عن امبراطورية جديدة تحلها محل امبراطورية بونابرت المتقوضة.

وكانت كل من الجزائر وتونس في حماية السلطنة العثمانية التي كانت هي الأخرى في عهد احتضارها ولكنهما لم تصبحا ایالة عثمانية إلا بعد أربعين سنة، حين أخضع سنان باشا العثماني عصياناً اندلع في أحدهما - وكان سنان باشا من أصل الباني، وكان قد أخضع أيضاً اليمن وأضافها إلى السلطنة العثمانية عام ١٥٦٨^(١). وكان ذلك في مصلحةالجزائر وتونس ولو لا الحماية العثمانية لاحتلهم الاسпан وغيرهم منذ زمن طويل.. انها لكلمة حق لا بد من الاعتراف بها شئنا أم أبينا.

وكان أمير البحر التركي المذكور قد احتل من قبل عدن في جنوبي اليمن سنة ١٥٤٧ فأصبحت تركيا تسيطر على بوغاز باب المندب، ثم احتل مسقط في عمان سنة ١٥٥١، حتى رأس الخليج العربي.

وطرد سنان باشا فرسان القديس يوحنا «الاستبارية» من طرابلس الغرب، وهكذا أصبحتالجزائر وتونس وطرابلس دولاً شبه مستقلة أو محكومة ذاتياً، تابعة «للباب العالي» ويحكم كل واحدة منها حاكم من أهل البلاد، ويتنقل الحكم بطريق الوراثة إلى ذريته.

وكان كل حاكم من هؤلاء الديايات والبايات يرسل جزية سنوية على شكل هدية. إلا أن أعمال القرصنة كانت الطابع المميز لهذه الدول الثلاث لأن العصر كان لا يزال عصر القرصنة الأوروبية والقرصنة الإسلامية المضادة.

(١) انظر في ذلك كتاب البرق اليعاني في الفتح العثماني لقطب الدين المكي ترجمة سلفستروفي ساسي.

ولكن ثمة دولة غربية واحدة من ذات الأسطيل الصغيرة، كانت يومها بريئة من تهمة القرصنة وهي الولايات المتحدة، لأنها دولة بعيدة عن شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وناشئة في الوقت ذاته، وكدولة ناشئة حررت نفسها من الاستعمار البريطاني وكانت ما تزال تعتنق مثلاً أخلاقية سامية لا وجود لها في أوروبا قلعة الاستعمار الشاهقة.

لهذا كانت الولايات المتحدة تدفع جزية إلى الجزائر لتحمي سفنها من القرصنة، إلى أن طفح الكيل، فاضطرت إلى مهاجمة الجزائر بالأسطول الأمريكي الناشيء لتضع حدًا للجزية التي كانت تفرض عليها.

وكانت في الوقت نفسه تدفع جزية لحكومة طرابلس الغرب، وكان داي طرابلس وهو من أسرة القرمانلي، قد طلب من الحكومة الأمريكية رفع قيمة الجزية التي تدفعها عادة ومقادرها ٨٣ ألف دولار، على مدى أربع سنوات، لذلك نشب الحرب بين الولايات المتحدة وطرابلس عام ١٧٩٦، ولكنها لم تكن حاسمة إذ اضطرت الولايات المتحدة إلى دفع الجزية مجددًا عام ١٨١٥. وكان دفع الجزية من الأسباب التي جعلت الولايات المتحدة تعمل على تقوية أسطولها في البحار.

بدء الغزو الفرنسي للجزائر

وفي عام ١٨٣٠ غزت فرنسا الجزائر ووهران لأن الحاكم الجزائري الداي حسين أهان القنصل الفرنسي وذلك عندما صفعه على وجهه بالمبذلة ردًا على جواب وقع قذفه القنصل في وجه الداي حسين عندما طالب فرنسا بتسديد ديونها للجزائر ويبدو أن التحرش الفرنسي كان متعمدًا.

لهذا كانت الجزائر أول إيدالية عثمانية انسخلت عن الإمبراطورية العثمانية بعد هجوم الأسطول الفرنسي على أراضيها. وباحتلال الجزائر

انكشف ضعف وتخاذل الدولة العثمانية لكل ذي عينين في الشرق والغرب معاً.

كان السلطان عبد الرحمن ضعيفاً في السياسة محدود الطموح بدا منه التقصير واضحاً عندما عجز عن اللحاق بالركب الحضاري الأوروبي وكان ما يزال في أول الشوط، كما قصر عن مواكبة النهضة الصناعية، لذلك اعتمد أولاً على الأصح صب اعتماده كلياً على الخبراء والمستشارين الانجليز من رجال المخابرات الذين كانوا يتزرون بزي التجار في بلاده أو بزي رجال السياسة النصوحين.

وفي هذه الآونة تحرش الأسطول الفرنسي بالشواطئ المغربية فقصص بعض المواني بحججة تحطيم سفيتلين فرنسيتين على الشاطئ القريب من مرفا سلا. لذلك عمد السلطان عبد الرحمن بن هشام إلى عقد اتفاقية مع بريطانيا عام ١٨٥٦ تعهدت بموجهاً بدعم استقلال المغرب، لقاء حصولها على امتيازات تجارية، بالإضافة إلى إعطاء بريطانيا حقاً بحماية رعاياها الانجليز وبعض المغاربة المتعاونين مع الانجليز - في المغرب، ففتح بذلك أمام الأطماع الأوروبية باباً لا يسد، خصوصاً الاطماع الفرنسية والاسبانية للحصول على امتيازات مماثلة، وكان ممثل بريطانيا في المغرب يقوم بدور المستشار للسلطان الضعيف عبد الرحمن بن هشام.

الجيش الفرنسي يدخل الجزائر

لما تعقدت الأزمة بين الداي في الجزائر والحكومة الفرنسية - على الشكل الذي رسمته فرنسا، هاجمت جيوشها المؤلفة من ٣٧ ألف جندي فرنسي في الجزائر واستطاعت بسهولة التغلب على ستة آلاف من «الأوچاق» الذين كانوا أشباه جنود، مما أضطر الجزائر إلى فتح أبوابها أمام الغزاة

الفرنسيين، بعد ان انسحب الدياي تاركاً المدينة للغازي الفرنسي المنتصر. حدث ذلك والسلطنة العثمانية تتظاهر بأنها لم تسمع ولم تر.. وكذلك ما كان يسمى بالتضامن الإسلامي الذي لم يثبت وجوده في أي موقع. وراح الفرنسيون يبحثون عن زعماء جزائريين يتعاونون معهم ولكنهم في أول الأمر فشلوا.

الزعيم عبد القادر الجزائري

قاد المقاومة الجزائرية زعيمان محليان هما الباي أحمد في قسنطينة، وعبد القادر الجزائري في أورانيا أي منطقة وهران كما كان يطلق عليها. وعيثاً حاولت فرنسا استدراج عبد القادر بن محبي الدين وهو من أسرة صنهاجية كريمة. على قبول مبدأ الاحتلال وأخيراً اتفق معه دي ميشيل القائد الفرنسي الجديد، على توقيع معااهدة تعترف فرنسا بموجيها باستقلال أقاليم وهران تحت زعامة الأمير عبد القادر، وُنسقت المعااهدة في نستختين أحدهما فرنسيّة والثانية بالعربية ويبدو ان فرنسا تركت أصابعها تلعب بالنص الفرنسي إذ كان يفرض على عبد القادر القبول واقعياً بسيادة فرنسا على جزء من التراب الجزائري.. ولكن المعااهدة الغيت من جانب عبد القادر عندما اطلع على محتوى النص الفرنسي المخالف للنص العربي فوقدت الحرب. وفشلت فرنسا في معركتها الأولى في «المقطوع» بفضل مقاومة الأمير عبد القادر. ولكن «بوجو» القائد الفرنسي انتصر بعدها في معركة سيكاك.

فعادت فرنسا وطلبت التفاوض مع الأمير عبد القادر، فعقدت معه معااهدة «تافنا» في ٣٠ مايو - أيار - سنة ١٨٣٧، وكانت واضحة المعالم، ولكنها صعبة التطبيق، لأنها كانت تقضي بأن يعترف الأمير بوجود تعايش على أرض الجزائر بعد ان قسمت إلى قسمين مربوطين بذلك التعايش

والتعاون . ولكن المعاهدة فشلت أيضاً .

ومارست فرنسا لعبة التعاقد نفسها مرتين مع الباي أحمد فلما رفض هوجمت قسنطينة في الحملة الأولى التي حدثت في نوفمبر / تشرين الثاني ١٨٣٦ ففشلت تلك الحملة فشلاً ذريعاً وتحطم على صخرة المقاومة الجزائرية الباسلة ثم أعقبتها الحملة الثانية في أكتوبر - تشرين الأول سنة ١٨٣٧ وكانت أكبر من سابقتها حيث تم للفرنسيين الاستيلاء على قسنطينة . مما اضطر الأمير عبد القادر إلى رفض المعاهدة السابقة .

وتجددت الحرب في تشرين الأول سنة ١٨٣٩ ، بعد أن استعد الفرنسيون وجلبوا قوات إضافية فكانت الحرب سجالاً ، ثم عينت فرنسا القائد الفرنسي بوجو حاكماً عسكرياً عاماً للقسم المحتل من الجزائر في ٢٠ كانون الأول سنة ١٨٤٠ . ووضعت خطة عسكرية لمحاربة ما كانت تسميه فرنسا « بالعصابات الجزائرية » وكان ذلك أول المعزوفة الاستعمارية .

وفي عام ١٨٤٦ بلغ عدد القوات الفرنسية في الجزائر ١٠٨ الآف جندي فرنسي مستعمر جيء بهم لتحطيم مقاومة الامير عبد القادر الجزائري في دولته الجزائرية . وتخلت فرنسا عن فكرة الاحتلال الجزائري للجزائر فصارت تريد احتلال الجزائر كلها .

وراح الامير عبد القادر الجزائري يحارب على جبهتين . في ميدان القتال ، وميدان الاصلاح الاجتماعي لتقويم وتقدير ما كان أفسده العثمانيون والدaiيات والبaiيات في البلاد من الأنظمة المتعلقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية ، فأبطل نظام الضرائب العثمانية الذي كان يمتص دماء الشعب ، دون أن يقدم له أي عمل اصلاحي لتطويره في مجالات الحضارة والاقتصاد ، واستبدل ذلك النظام ، بجباية العُشر على المحاصيل ، وأثار



الأمير عبد القادر الجزائري

النورة الدينية والنورة القومية في البلاد ، وحث رجال الدين على الدعوة للجهاد المقدس ضد الغزاة ووجه ضربة قاسمة لمخلفات العصور التركية ممن كانوا يتعاونون مع العثمانيين . و فعل كل ما يسعه أن يفعله لاعداد

البلاد للمقاومة .

الفرنسيون يعلنون حرب الدعاية ضد عبد القادر الجزائري

وشرع المستعمر الصليبي يجاهه اصلاحات عبد القادر بالدعاية الاستعمارية التقليدية ، مثل الطعن بالقومية الجزائرية ، ومحاكمة عبد القادر شخصياً على حد قولهم بأنه ليس زعيماً قومياً لكل البلاد ، وأنه لا يمثل إلا قبيلته . وفي بعض الأحيان ، لا يمثل إلا نفسه ، وهل يوجد حقاً شعب جزائري؟ وان نظام عبد القادر لا يمكن تطبيقه على القبائل ، وامثال ذلك من الأكاذيب التي كانت تروجها فرنسا في صحفها ومجتمعاتها التي كانت ما تزال تلوث وتتجتر هزيمة واترلو .

وقد اصطدم عبد القادر بعقبات كثيرة اغترضت عمليات الجهاد والاصلاح وجمع الشبل ، وتوحيد الصفوف والقبائل لمنازلة العدو العاثم على أرض الوطن . وكان من أهم تلك العقبات عدم توافر الأموال لشراء الاسلحة والمؤمن ودفع الرواتب ، والعدو الفرنسي الذي احتل اجزاء واسعة من البلاد التي خرجت سلطتها من يد عبد القادر .

وقوف المغرب إلى جانب الثورة الجزائرية على الفرنسيين

وراح الحاكم العام وكأنه يقرأ خواطر عبد القادر يعمل على إنشال واحباط مساعيه فأصدر أوامره بمنع العرب من الزرع والمحصاد والرعى وهذه الضربة تعتبر قاصمة للظهور . وحاول بالدس أن يوقع بين عبد القادر وضياباته ، وبينه وبين القبائل الجزائرية .

وأدرك الحاكم الفرنسي بوجو أن عبد القادر يوجه كل اعتماده على المغرب حيث كان السلطان عبد الرحمن يزود الثورة الجزائرية بالسلاح والعتاد والمؤمن عن طريق تلمسان وهي في المنطقة الشرقية التي وضعها

السلطان عبد الرحمن تحت تصرف الامير القائد عبد القادر الجزائري .

ولما فشل الحاكم بوجو بانجاح دسائسه شن هجوماً عاماً على تلمسان ضمن خطة حربية لمنع وصول الامدادات لقوات عبد القادر فاحتل المدينة . والمنطقة ثم معسكر عبد القادر نفسه في ١٦ أيار عام ١٨٤٣ ، وفي نوفمبر تشرين الثاني نجح الفرنسيون بقتل عدد كبير من ضباط عبد القادر ومعاونيه .

ولم يعد أمام عبد القادر إلا أن يعود إلى التاريخ يستنجد بالمغرب الكبير الذي كان يضم في الماضي الجزائر وتونس وطرابلس فاعترف بالسيادة المراكشية لمواصلة الحرب على مستوى دولة المغرب القائمة .

معركة إيلي وفشل ثورة عبد القادر

وتشجع السلطان عبد الرحمن فحشد جنوده على عجل وبدون اعداد وتنظيم مسبق ودفع بجيشه المرتجل إلى معركة إيلي قرب وجده في ١٤ أغسطس - آب - سنة ١٨٤٤ . فسحقه الجيش الفرنسي ، وكانت هزيمة شنيعة للجيش المغربي والقوات الجزائرية معاً .

وبمعاهدة طنجة في ١٠ سبتمبر - ايلول - سنة ١٨٤٤ ، نالت فرنسا اعترافاً شبه قانوني بوجودها في الجزائر وأصبحت المقاومة الجزائرية تُحارب بالمنشورات والدعائية الفرنسية حيث يطلق عليها اسم تمرد وعصيان وعلى رجالها نعوت من امثال متمردين وعصاة . . والآتي أعظم . .

وكان استسلام الامير عبد القادر الجزائري في ٢٣ ديسمبر - كانون الأول - سنة ١٨٤٧ كارثة وطنية عمت شمال افريقيا والعالم العربي بأسره . نقول العالم العربي ونحن نقصد الشعوب العربية الرازحة تحت الاحتلال العثماني - الذي كان لا يزال يباري أهل الكهف بالنوم والجمود .

وهكذا اعطي مؤتمر فينا عام ١٨١٥ بعد هزيمة واترلو اولى ثمراته . فالدول الاوروبية عقدت مؤتمر فينا ، بقصد تحريرم القرصنة . والمقصود بذلك أن يكون التحرير على نطاق واسع وبدون استثناءات . وطنطنت الدول الاوروبية بقرار تحريرم القرصنة وبلغته رسمياً إلى السلطنة العثمانية والمغرب والجزائر وتونس وطرابلس ، وطالبت الدول المذكورة بالتقيد بحرفية قرار التحرير ولكن الدول الاوروبية المخادعة احتفظت لنفسها بحق انتهاء قرار تحريرم القرصنة متى شاءت .

وكانت فرنسا وهي واحدة من الدول التي وقعت على قرار مؤتمر فينا أول دولة سمح لجنودها بأن يدوسوا بنعالهم الغليظة على قرار فينا العتيد عام ١٨٣٠ ، أي بعد ١٥ سنة فقط من توقيعها هذا القرار . وذلك عندما غزت الجزائر باسطولها وجيشها واحتلتها وفرضت استعمارها على البلاد . وبعملها الشائن هذا قضت على قرار مؤتمر فينا وجعلته مجرد كلام تافه لا قيمة له مطبوع على ورق اوروبي فرنسي أكثر تفاهة .

أوروبا تروج بضاعة الاستعمار

من سخرية القدر أن أوروبا التي تمثلها الدول الاستعمارية كانت تحشو كتبها - المطبوعة قبل استعمار الجزائر وتونس والاقطاع العربية الأخرى بعد حرب الغدر والأكاذيب في عام ١٩١٤ - بتمجيد مؤتمر فينا والقرار الصادر عنه بتحريرم القرصنة في البحار . وكانت تحشو بهذه الأكاذيب وامثالها رؤوس طلاب المدارس ، وكان غزو الجزائر وتونس وطرابلس والمغرب والدول العربية في المشرق ليس عملاً من أعمال القرصنة . وهكذا وبهذه التلفيقات كانت أوروبا تروج بضاعة الاستعمار وتجعل العرب والمسلمين يستوعبونها على أنها حقائق وأعمال أوروبية

المغرب في حداد على خسائره الفادحة في إيلي

في عهد السلطان عبد الرحمن أصبح المغرب تحت رحمة مخالب الاستعمار الغربي ، وبين أشداقه .

فقد خسر جيشه الذي جمعه من القبائل المتقطعة ومعنى ذلك أن تلك القبائل كانت قد غرفت في حزن طويل على رجالها الذين قتلهم المستعمرون في معركة «إيلي» وقد لف هذا الحزن جميع مدن المغرب وقراء وسهوله وجبله وصحراريه ولم يقتصر الحزن على ما فقد من الرجال والمال والعتاد بل وعلى ما يتوقع أن يقوم به الجيش الفرنسي المستعمر من هجوم على المغرب لتجزئته أو لتفقيعه وتشريحه لضم اجزاء منه إلى قطاع «الصيد» الفرنسي الجديد في الجزائر .

ولكن سرعان ما غُطيت الهزيمة في معركة إيلي بانتفاضة في معاقل المغرب الجبلية التي هبت للذود عن حياضها والاستعداد لتلقيين المستعمرين درساً لا ينسى . ولكن الجيش الفرنسي قنع بالغنية الآتية ، وصار بحاجة إلى وقت حتى يهضمها ويبتلعها في راحة وهدوء .

بريطانيا تتحرك

ولكن بريطانيا تحركت بسرعة لا حباً بالمغرب بل للدفاع عن مصالحها ومستقبلها في جبل طارق . وامتيازاتها التجارية في المغرب ، ومع ذلك فقد اتفقت الدولتان البريطانية والفرنسية على قص مخالب المغرب حتى لا يتتسنى له الوثوب مرة أخرى فأرغم السلطان عبد الرحمن على قبول اتفاقين ، يمنع أولهما المغرب من ألواء الأمير عبد القادر الجزائري ومن معه من فلول الثورة الجزائرية ، ويقضى ثانيهما بجعل الحدود بين المغرب

والجزائر تمتد من البحر إلى ثنية «ساسي» فالاطلس الصحراوي ومع أن القبائل لم تُحصن بدقة ولكن اكتفي مبدئياً باحصاء القبائل التابعة لكل بلد على حده .

وانتهى التوسيع الفرنسي شرقاً سنة 1881 باحتلال تونس حيث طبقت السياسة نفسها إلى حد كبير . وكان يُعين لتونس مقيم عام فرنسي يحكم مع الباي . .

الدول الأوروبية المنتصرة تتوزع الغنائم

لقد بدأ الانهيار في المغرب في عهد السلاطين من أبناء اسماعيل وكانوا أبناء فاسدين فجعلوه مسرحاً لفسادهم واحتلوا قبائلهم وشقوا البلد وقسموه على نفسه واشركوا القبائل في السهول والجبال في صراعهم المستمر . . فلما تولى الحكم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله ، لم يتح له المستعمرون الفرنسيون وقتاً للشعب وجمع الشمل ورصف الصدوف وتوحيد الكلمة ، واغتنمت فرنسا فرصة تضييع الدولة فاتلت قواتها في الجزائر مما أضطر السلطان إلى مذید المساعدة إلى الثورة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر فخسر جيشه وفازت فرنسا - إلى حين - بالغنية الجزائرية كما فازت بريطانيا بالامتيازات التجارية والتحرك السياسي بفضل الممثل البريطاني الذي كان يقوم بدور المستشار للسلطان المغربي الساذج .

وجاءت كل هذه الأحداث بسبب خلافات أبناء اسماعيل ، فأوقفوا عجلة التقدم في البلاد ، وجمدو الحضارة وقطعوا عليها مسيرتها ، فساعدوا من حيث لا يعلمون على تقدم أوروبا أشواطاً على المغرب في سباق التصنيع واختراع البخار ، والمدافع والبارود والبواخر الحربية التي تسير بالبخار فقد المغرب اسطوله الشراعي كما فقد ميدان التنافس حيث

كان له في الماضي قصب السبق .

المغاربة يزيلون من نشاطهم الزراعي

ولكن جهود المغاربة لم تفتر ولم تهدأ فظلوا يمارسون اعمالهم الزراعية بالوسائل البدائية ، واعمالهم الصناعية التقليدية كالحرف الوطنية وامثالها ، واحتفظ المغرب بثروته الحيوانية وبشجاعة ابناءه خصوصاً ابناء الجبال الذين سيلعبون في ميادين القتال دوراً مميزاً ضد الفرنسيين والاسبان ، واستطاع المغرب أن يحرك نشاطه الاقتصادي قليلاً بعد أن اوقفت روسيا تصدير حبوبها لأوروبا فحلت محلها الحبوب المغربية مما ساعد على حماية الاقتصاد وميزان المدفوعات ، وان يكن قد غرقت أسواق المغرب - بواسطة بريطانيا - بالمصنوعات البريطانية وغيرها .

نهاية الرجل المريض - تركيا

لقد جرت هذه الأحداث كلها في المغرب والجزائر وتونس دون أن تحرك «الدولة العلية العثمانية» ساكناً ، وكان على عرشها في ذلك الحين السلطان محمد الثاني وهو السلطان الثلاثون في سلسلة سلاطينبني عثمان . وقد حكم من سنة ١٨٠٨ إلى سنة ١٨٣٩ . حيث تولى بعده في نفس السنة السلطان عبد المجيد لغاية سنة ١٨٦١ ، ثم جاء بعده في السنة نفسها السلطان عبد العزيز ثم السلطان مراد الخامس سنة ١٨٧٦ ، فالسلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٧٦ - السنة ذاتها - فالسلطان محمد رشاد سنة ١٩٠٩ ، فالسلطان وحيد الدين من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٢٢ .

ولكن للحقيقة نقول أن الإنهاي العثماني البطيء بدأ في وقت مبكر منذ عهد خلفاء السلطان سليمان والسلطان سليم وتفاقم في عهد السلطان محمود الثاني وكان السلطان العثماني يلقب «بالرجل المريض» وهذا اللقب

كان يطلق على السلطنة العثمانية كلها التي عاشت بضع مئات من السنين خصوصاً في السنوات الأخيرة منها وهي في حال نزع وحشرجة إلى أن لفظت انفاسها الأخيرة ، فلم يأسف على موتها أحد ، وإن كان سكان الشرق الأوسط و منهم العرب بصورة خاصة قد تقرحت عيونهم من البكاء على مدار أربع مائة عام أو يزيد على ابناهم الذين كانت الدولة العثمانية تسوقهم كالخراف للقتل والذبح في حروفيها في البلقان وغير البلقان من البلاد حيث كان الذاهب مفقوداً «وهم يشكلون الأكثريّة، والعائد مولوداً وهذا فيما ندر . . .

أسباب أخرى أدت إلى انهيار الرجل المريض

من المعروف أنه لم ينقض وقت طويل على موت السلطان سليمان القانوني حتى أصبت الدولة العثمانية بأولى نكساتها ، عندما فشل الجيش العثماني الذي لا يقهرون في حصار مدينة فينا والاستيلاء عليها عام ١٦٨٣ .

وقد اعتبر بعض المؤرخين من غير المسلمين أن ذلك الفشل كان بدء الانحطاط العثماني وأول النهاية خصوصاً بعد أن توقفت اعمال التوسيع الحربي في أوروبا الشرقية ، واقتصر الحكم العثماني على الاحتفاظ بفتحاته في البلقان وآسيا .

وقد حاول السلطان سليم الثالث - ١٧٨٩ - وهو السلطان المفكير المجد أن يعيد تنظيم جيشه ، بدخول الاسلحة الجديدة التي ابتكرتها أوروبا ، فتصدى لمحاولته ويا للاسف رجال الدين المسلمين وعلى رأسهم المفتى العثماني «اعطا الله افندى» فأصدر فتوى «بأن كل سلطان يدخل انظمة الافرنج وعوايدهم ، ويجب الرعية على اتباعها لا يكون صالحًا للملك» على اعتبار أن الاسلحة الجديدة وثواب الجندي الحديثة تعد في حكم التشبه

بالنصارى . كما أن استعمال البنادق ذات الحراب من قبيل استعمال أسلحة الكفار وهذا إنتم عظيم^(١) .

وتوقفت على الفور جهود السلطان سليم الثالث . بعد أن كان قد استقدم خبراء من أنحاء أوروبا لبناء الجيش العثماني الجديد ، وكان ذلك قبل أكثر من مئة سنة على حصار فيينا وفشل الجيش العثماني بأسلحته القديمة - باحتلالها .

وقد عزل السلطان سليم الثالث بسبب محاولته هذه سنة ١٨٠٧ ، وكان الانكشارية قد بدأوا بالتمرد على طريقة الجيش الامبراطوري الروسي ولم ينجح بالقضاء عليه إلا السلطان محمود الثاني « ١٨٠٨ » في سنة ١٨٢٦ .

وهذا يعطينا فكره قيمة جديرة بالتأمل إذ لو لا المفتى عطا الله افendi في الاستانة الذي تدخل باسم الدين الاسلامي لمنع تطوير الجيش العثماني ، والاستعانة بالخبراء الأجانب لبناء مصانع حديثة لانتاج الاسلحة - لما انهارت تدريجياً السلطنة العثمانية ولو لا السفراء والقناصل الانجليز والفرنسيين الذين كانوا يسيطرون على شيخوخة الاسلام في الاستانة واحداً بعد الآخر لاغراض استعمارية لما تنازلت الدولة العثمانية عن الاقطاع التي افتتحتها في عهد الممجد العثماني . ولما تمكّن الفرنسيون من احتلال الجزائر وتونس .

فالعوامل الخارجية التي اخذت تظهر وتأثير على الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر هي التي تسببت باضعاف السلاطين من بنى عثمان . وكانت هذه العوامل الخارجية ممثلة بفرنسا وإنكلترا والنمسا وروسيا ، وهي

(١) من مقال للأستاذ فهمي هويدي نشر في مجلة العربي عدد ٢٢٩ سنة ١٩٧٧ م .

التي كانت تطالب الدولة العثمانية في عهد انحطاطها بمناطق نفوذ لها في «الممتلكات» العثمانية ، فراحت كل دولة من هذه الدول تستغل ضعف الجيش العثماني وضعف أسلحته ، للاستيلاء على بعض ممتلكات «الرجل المريض» غير أن التحاسد فيما بين الدول الاوروبية المتنافسة وعدم اتفاقها على عمل موحد أفسح في أجل «الرجل المريض» .

الغرب يفرض هيأته الدولية على الشرق

ان المعاهدات التي كان المستعمرون يروجون لها لا قيمة لها من الناحية القانونية الحقيقة ، لأنها معاهدات فرضها القوي على الضعيف . مستغلاً ضعفه ، فالقانون المدني كما هو معروف يحمي الضعيف عندما يدافع عن نفسه ويرؤه ، ويدين المعتدي في الوقت نفسه ، ولكن الغربيين المستعمرين كانوا يستغلون الشعوب الضعيفة ويفرضون عليها معاهدات بقوّة الجيوش والأسلحة الفتاك ، وكانوا هم الخصم والحكم لذلك فإن كل تلك المعاهدات تعتبر لاغية لا قيمة لها من الوجهة القانونية الصحيحة .

والشعوب العربية والاسلامية ما كانت تدرك ألاعيب المستعمرين من وجهاً عملياً لأنها كانت تفتقر إلى وجود هيئات عربية اسلامية ضليعة بالقوانين الدولية .

والغرب ما يزال إلى يومنا هذا يخدع الشعوب العربية والاسلامية بالمنظمات والجمعيات الدولية التي يقيمهها في بلاده مثل جمعية الأمم ، أو عصبة الأمم - التي اقامتها الدول المستعمرة عقب الحرب العالمية الأولى ، لتكريس الاحتلال الانجليزي والفرنسي للبلدان العربية ، وفرض الاحتلال أو الانتداب عليها ، أو المحماية في أحسن الظروف .

كذلك هيئة الأمم المتحدة التي انشئت بعد الحرب العالمية الثانية ،

من أجل تقسيم فلسطين وإقامة دولة إسرائيل . لأن قراراتها لا تحمل طابع الإلزام للتقيد بها لأنها أي قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن ذات طابع غربي استعماري بحت وحسب العرب - لو كانوا متصلعين بالقوانين أن يعلموا أن مجلس الأمن قد انشيء لتكون قراراته كلها في صالح الغرب . وعندما يضع ممثلو الدول العربية ، أو دول عدم الانحياز أو دول العالم الثالث قرارات تعارض مع مصالح الدول الكبرى فإنها تنقض «الفيفتو» . أضف إلى ذلك عشرات القرارات التي جاء فيها بعض الحق للعرب أو غيرهم من الشعوب الضعيفة فقد ظلت دون تنفيذ مهملاً في ادراج مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة . كما هي حال القرار رقم ٤٢٥ القاضي بالانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان حيث لا يزال منذ صدوره في عام ١٩٧٨ إلى يومنا هذا دون تنفيذ .

وقد تعود العرب والمسلمون أن يكونوا منقادين يقودهم الغربيون بالأنظمة التي يضعونها ومنها محكمة العدل الدولية وهيئة الأمم المتحدة ومتفرغاتها .

وهكذا فإن كل قرار يتخذ في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة لا ينفذ ولكنه مفید للدعاية فقط أما القرارات التي تنفذ فهي تلك التي يصدرها مجلس الأمن . وهذا المجلس تسيطر عليه الدول الكبرى ، الولايات المتحدة ، وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي سابقاً وروسيا حالياً والصين الشيوعية «الفيفتو» سيف قوي مصلحت على رؤوس الدول الضعيفة عندما يُصدر مجلس الأمن قرارات بصالحها .

لماذا لم تقم هيئة دولية عربية - إسلامية؟ ...

انه لمستغرب جداً أن نرى الدول العربية والاسلامية ترفض رفضاً أحكام العقل والقوانين السليمة . . وذلك لأن معظمها دول مؤيدة للغرب

أو مواليه له .

وكان من المفروض أن يكون للدول العربية والاسلامية هيئة دولية أو جمعية عوممية ، كذلك محكمة عدل دولية عربية - اسلامية .

وعندما تصل هذه الدول إلى هذا الحد من الادراك والوعي القومي والقانوني ومن القوة أيضاً ، فانها ستنسحب فوراً من هيئة الأمم المتحدة وعندئذ ، لا تصبح القرارات التي تصدرها المؤسسات الغربية المتواطئة ملزمة للعرب . . وحسبنا أن نعلم أن اسرائيل التي انشئت بقرار صادر عن مجلس الأمن ، ترفض التقييد بقبول أي قرار يصدر عن مجلس الأمن أو الجمعية العمومية ، إذا كان يتعارض مع مصالحها وقوانينها الاستعمارية التي تصدرها وتطبّقها في فلسطين المحتلة . وذلك لسبب واحد هو انها تعرف وتدرك بأن المؤسسات الدولية ، انشئت لخدمة مصالح الغربيين المستعمرين القدماء وهي ريبة الاستعمار الغربي ومحسوبيه عليه . . وعندما تمتنع الدول الغربية عن التصويت أو تعارض القرارات التي تصدر ضد اسرائيل ، فانها أي اسرائيل تعلم بأن الدول الغربية التي تساندها لا تقر ولا تعترف بتلك القرارات ، لذلك فهي تعتبرها قرارات شكلية وغير ملزمة وغير قابلة للتنفيذ والتطبيق ولكنها قرارات حتمية «للعبة السياسية» التي يمارسها الغرب فعندما تكون القرارات في صالحه أو في خدمة مصالحه فإنه يعترف بها ويدلي باصواته إلى جانبها ، وإذا كانت ضد صالحه أو مصالحه فإنه يكتفي بالامتناع عن التصويت وهذا معناه انها قرارات شكلية غير نافذة .

والدول العربية والاسلامية معاً ما زالت تتخبّط بالدوامة الغربية وتدور معها في حلقة مفرغة لسبب واحد هو أن هذه الدول لا يوجد فيها رجال قانون متضلعون بالقوانين «والألاعب السياسة» التي يمارسها الغرب ، وأن معظم الدول العربية والاسلامية ذات انظمة مفروضة على شعوبها فرضاً أما

بالانقلابات العسكرية أو بالتقايلد التي تسمى انظمة .

ولنضرب مثلاً أن لصاً هاجم متزلاً لا ليسرق متابعه فحسب بل ليحتله ويقيم فيه ، فصاحب المنزل يرفع دعوى للقضاء وعندئذ يصدر القاضي حكماً - بموجب القانون - يقضي بالقبض ، على اللص والحكم عليه بعقوبة السجن القانونية ، ويعيد المنزل المغتصب لصاحبه .

هذا المثل ينطبق كل الانطباق على أية دولة تهاجم بلداً وتحتلته بالقوة وتقيم فيه وعملها هذا بنظر القضاء والقوانين السليمة يشكل جرماً ، وعندما تعمد الدولة إلى فرض معاهدة على سكان البلد المغتصب لتنتزع منهم اعترافاً باحتلال بلدتهم ، فإن هذا العمل المستند إلى القوة الغاشمة يشكل جرماً ثانياً بحق الدولة المغتصبة :

وعندما يكون ثمة محكمة أو هيئة دولية موجودة ، فإن القانون الدولي يحاكم الدولة المغتصبة على الجرم الأول والثاني بالأدانة . وكما أدين اللص الذي هاجم المتزلاً واحتله كذلك فإن من واجب المحكمة الدولية أن تدين الدولة المعتدية التي استعملت سلاحاً غير مشروع لاحتلال البلد المغتصب ، وفرض ارادتها ومعاهدها على سكانه فالدولة المغتصبة تعتبر في نظر القانون دولة معادية .

وعندما ينعدم وجود محاكم دولية لمحاكمة الدولة المعدية فإن الأمر يصبح منوطاً بسكان البلد المحتل لتحريره من اللص المغتصب ، وذلك حق مكتسب لكل الشعوب المستعبدة التي تحتل بلادها دولة مغتصبة وهكذا فإن المقاومة تصبح عند هذا حقاً مشروعأً للدفاع عن الوطن ولطرد المحتل بقوة السلاح .

فرنسا تطبق القوانين الرومانية على مستعمراتها

لما ثبتت فرنسا أقدامها فوق الأراضي الجزائرية وراحت تمارس سياسة انتزاع الأراضي من أصحابها لاعطائها للمستعمرين الذين جيء بهم من فرنسا أصدرت وبقوة السلاح قرارات في عام ١٨٤٤ وفي عام ١٨٤٦ ، بالإضافة إلى قرارات اصدرها مجلس الشيوخ الفرنسي في ٢٢ ابريل - نisan - سنة ١٨٦٣ تقضي بانتزاع الاراضي من أصحابها الجزائريين . استندت فيها إلى قوانين رومانية قديمة ، فسرت « بالحق الروماني » لانتزاع الأرضي ، والرومان كانوا مستعمرين وقوانينهم استعمارية . وكلمة قوانين المستعملة افتات وتعدي على الشرائع والقوانين السليمة ، لأن ما كان يصدره الرومان من اجراءات جائرة في عصورهم المظلمة ، إنما كانت قرارات جائرة تطبق بواسطة الفيالق الرومانية ، لذلك فهي ليست قوانين حتى ولا شبه قوانين انها قرارات استعمارية تطبق بالقمع والبطش والقتل والقوة القاهرة مثل البلاغات العسكرية الغربية ، انها قرارات جائرة وضعفت لتطبيق المثل الروماني الاستعماري القائل : « الويل للملعون » ومن المؤسف حقاً أن معظم الجامعات في الدول العربية تشمل فيما تشمل مدارس للحقوق لا تزال حتى يومنا هذا تدرس القوانين الرومانية ، على اعتبار انها قوانين سليمة صالحة للدرس . في حين أنها قرارات صادرة عن إرادة غلابة مسلطة أرادت أن تفرض إرادتها بالقوة على شعوب البلدان التي احتلها الرومان بالجيوش الرومانية والأسلحة الرومانية هذا مع العلم بأن تلك الشعوب قاومت بارادتها المشروعة وقوانينها المشروعة ارادة الرومان المسلحة بالقوة الغاشمة ، ودافعت دفاع الأبطال عن بلادها ووجودها لذلك لا تعتبر هزيمة المقاومين المدافعين عن بلادهم إسلاماً وقبولاً وخصوصاً للاحتلال كما لا يمكن على الاطلاق الاعتراف بارادة الرومان المغتصبين التي تحولت إلى قرارات يزعم بأنها قوانين شرعية .

لقد كان في بيروت مدرسة رومانية تدرس فيها ما كان يسمى «بالحقوق والتشريعات الرومانية» مع التأكيد على أن كلمة حقوق هنا وضعت في غير موضعها ، لأنه لا يمكن الاعتراف بأي شكل من الاشكال ، بأن الاحتلال بلد ما بالقوة والاغتصاب يعتبر «حقوقاً» وإلا فقد مسخ العدل ومسخت القوانين ، فالمدرسة الرومانية كانت تدرس قرارات الاغتصاب وتسميتها «حقوقاً» والجهال كانوا يقبلون بهذه التسمية لأنهم كانوا عمياً . . والاعور في بلد العميان كان امبراطوراً رومانياً . .

إن مصائب الشرق منذ عهود الاحتلال بلدانه تنحصر في أبنائه الذين تربوا ونشأوا تحت ظلّ المستعمرين ، امبراطورية الاسكندر المقدوني والأمبراطورية الفارسية ومن بعدها الأمبراطورية الرومانية «والأمبراطورية البيزنطية والأمبراطورية العثمانية . ومن خلال هذه العهود لم يتح للشعوب العربية والاسلامية وبلدان الشرق قاطبة ان تحكم نفسها بموجب قوانين وتشريعات منبثقة من صميم الحياة الاجتماعية فيها ، فالإغارة والروماني كانوا يصدرون قرارات لتبسيط الاحتلال ويطلقون عليها اسم قوانين وتشريعات وذلك خلافاً لحقوق السكان المحتلة بلادهم وخلافاً لتشريعات سابقة كانت موجودة مثل شريعة الكنعانيين . التي لا نعرف عنها إلا القليل ، باستثناء شرائع حمورابي .



شائع حمورابي أقدم الشرائع الباقية (٢١٠٠ ق.م) اسطوانة من حجر الديوريت طولها ثمانية أقدام تقريباً م نقشة عليها الشرائع في ثلاثة الآف وست مئة سطر. وعلى رأسها صورة مجسمة للملك حمورابي وهو واقف الى اليسار يتناول الشرائع من الاله الشمس الجالس الى اليمين.

و شرائع حمورابي يمكن الاعتماد عليها كنصوص قانونية تاريخية بأنها كانت شرائع في صالح السكان . شريعة حقوق الإنسان ، شريعة الاحتلال الأرض ، شريعة الزواج ، شريعة الأسرة ، شريعة الزراعة والعمل و أمثالها كلها وضعت في صالح المجتمع العموري الكنعاني في شمال سوريا والعراق وهي شرائع نزيهة لا يوجد فيها تعدي على حقوق السكان ، لأنها أساساً وضعت لتقرير حياة السكان ، ومصادرهم فلا يوجد فيها اغتصاب ولا قمع ولا تهديد أو وعيد ولا تسلط في غير موضعه . . وكذلك الشرائع الإسلامية المستمدة من أحكام القرآن الكريم التي لم تطبق تطبيقاً صارماً وإنما

أخصبت للاجتهدات والممالة والتحيز وغض النظر في معظم الأحيان فالشاعر أبو دلامة الذي كان مدمناً على شرب الخمر المحرام حسب الشريعة الإسلامية طلب من الخليفة العباسى بصراحة أن (يحتال له) بمعنى أن يسوغ له شرب الخمر فأصدر الخليفة أمراً جاء فيه «من يقبض على أبي دلامة متهمًا بشرب الخمر يحكم عليه بمئة جلدة». في حين يحكم على أبي دلامة نفسه بثمانين جلدة فصار رجال الشرطة يقولون من يشتري مئة جلدة بثمانين؟ وقس على ذلك لأن الخلفاء بعد المنصور من العباسيين وقبله من الأمويين كانوا يتعاطون شرب الخمر وبيدون أموال الدولة على ملذاتهم وأهوائهم غير المشروعة .

حاجتنا إلى القوانين

إن افتقار الأمة العربية إلى رجال متخصصين بالتشريع أمر معروف ومشهور ، فالقوانين العربية حتى في عهود الاستقلال لا تزال مستمدة من القوانين الانجليزية والفرنسية وربما الإيطالية والسويسرية وغيرها .

إذن ، لا يوجد قوانين عصرية مستمدة من الحياة الاجتماعية والتطور الاجتماعي والبيئة والوسط والاعراف السليمة ، والتقاليد الصحيحة ، والحركات الثورية إلى آخر ما هنالك .

والقوانين المقتبسة من القوانين الاوروبية اخللت القشور ولم تخصل إلى اللباب ، هذه القشور لحقها تحوير وتدوير وتغيير . فمثلاً: القوانين الانجليزية الثابتة المتعلقة بنظام الحكم ، تعرف بوجود الملك والملك على رأس الحكم ولكنها لا يحكمان .

وهذه القوانين تسرى على الأحزاب وعلى مستوى المساواة ، فحزب المحافظين أو العمال يحكم في نطاق القوانين المشروعة ولا تغيير ولا

تبديل . وإذا ما أراد أحد الأحزاب أن يغير أو يبدل فإن ذلك يعرض على مجلس العموم «البرلمان» لا قراره .

أي أن الحزب الواحد لا يستطيع أن يفرض نفسه على جميع الأحزاب ولكن الأمور في الأقطار العربية تجري على عكس ذلك تماماً . فحرية تعدد الأحزاب تكاد تكون مفقودة في دولة ما ولكنها موجودة في دولة أخرى .

والقوانين في الولايات المتحدة تفرض على الشعب حقوق انتخاب رئيس الجمهورية الأمريكية لمدة أربع سنوات وقد يجدد للمرة الثانية والشعب هو الذي ينتخب رئيس الجمهورية ، أما في الأقطار العربية فلا وجود لهذه الأشياء كلها وكم نحن في البلاد العربية بحاجة بعد كل هذا إلى وضع قوانين تتبع من ديننا وطبيعتنا وعاداتنا وتقاليتنا دون أي اقتباس أو ترجمة أو تبنّ لأفكار غريبة مستوردة أليس من العار أن يعيش العرب في نهاية القرن العشرين وهم مجرذون وليس لديهم قوانين تشريعية ثابتة لا تُحَوَّر ولا تُدَوَّر وفقاً لمصالح هذا أو ذاك؟ .. ذلك أنه لا يمكن لأمة أيّاً كانت أن تعيش دون قوانين وشرائع ثابتة ولا يمكن لها بالتالي أن تحافظ على بقائها واستمرارها .

لقد خساعت الأندلس وفلسطين بسبب التجزئة والضعف وضاعت الاسكندرية وانطاكية وعما قريب سيحتاج الزحف الصهيوني المؤيد بدول الغرب المستظهر بها أقطاراً عربية أخرى والله أعلم ونسأله أن يجيرنا من الأعظم .

لماذا تميّز الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن؟

ونعود إلى مجلس الأمن . المفترض فيه أنه هيئة تشريعية مخولة المصادقة على القرارات التي تقدمها الشعوب المظلومة والمؤيدون لها أو

رفضها . إن مجلس الأمن هذا لا يؤمن بالمساواة ولا بحقوق الإنسان ولا بحقوق الضعفاء المغلوبين .

والدليل على ذلك كما اشرنا سابقاً أن الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن يتمتع أعضاؤها بالبقاء السرمدي الدائم في حين تتبادل سائر الدول العالمية ما تبقى من مقاعد مجلس الأمن بالدور ولا تزال هذا المقعد إلا للدولة التي تدور في فلك هذه الدول الخمس ، وقد أعطت هذه الدول الخمس نفسها حق الاعتراض على كل قرار لا يتفق مع أغراض ومقاصد ونوايا أي دولة من الدول الخمس الكبرى . هذا التمييز بين الدول في نظر الشائع السليم يعتبر مخالفًا للشرع ، لأنه لا يؤمن بالمساواة بين الدول والشعوب وعندما لا تكون مساواة بين الدول والشعوب في مجلس الأمن فهو يصبح والحالة هذه هيئية سياسية عنصرية خاصة تتمتع بفرض إرادتها على الدول والشعوب الأضعف شأنًا . ومن المعلوم أن بين الدول الخمس المذكورة دولتان شيوعيتان اشتراكيان ، واقتاتا على تلك الاجراءات والامتيازات العنصرية بمحض إرادتهما وهذا يعني أن الدول الشيوعية تلتقي مع الدول الامبرالية في كثير من وجهات النظر عندما تكون المواقف متطابقة ومتفاهماً عليها . فإذا كانت حقوق الشعوب ضائعة في مجلس الأمن ، فإن الحق المنفرد الباقي والمعروف باسم حقوق الإنسان يصبح «العبة سياسية» في يد الدول الكبرى . مثل جائزة نوبل التي منحت منذ سنوات للارهابي القاتل بيغن رئيس حكومة العدو اليهودي المغتصب .

والولايات المتحدة تطنطن بحقوق الانسان وهي من جهة أخرى تقدم أسلحتها الحديثة الفتاكة للدولة اليهودية المغتصبة وتمدُّها بالهبات والعطايا . وعندما كان الرئيس الأمريكي كارتر يطالب الاتحاد السوفيتي^(١)

(١) كان الاتحاد السوفيتي يومها دولة عظمى قبل ان يفكك .

بتطبيق شريعة حقوق الإنسان في بلاده كانت الأسلحة الاميريكية تلعب دور القمع والقتل في جنوب لبنان وفي فلسطين وفي عدد من دول أمريكا اللاتينية . . ولعل هذه المهرولة الأمريكية ينطبق عليها قول أبي العلاء المعري :

هذا كلام له خبيءٌ معناه ليس لساعته سؤول
ألم تكن وجهات النظر متطابقة بين الاتحاد السوفيaticي والدول
الأوروبية كبيرة وصغرتها على تقسيم فلسطين وطرد سكانها من بلادهم
لحساب اليهود؟

الجواب على هذا السؤال تقدمه فلسطين نفسها منذ عام ١٩٤٧ إلى
يومنا هذا . . هل بقي شيء من فلسطين بأيدي سكانها لقد أصبحت فلسطين
مستعمرة يحتلها اليهود الأوروبيون بعد أن طردتهم الدول الأوروبية من
بلادها ، واليهود الروس يشكلون نسبة مرتفعة في فلسطين المحتلة ورحم
الله الشاعر الذي قال :

وكل أبناء بالذى فيه ينضح



المولى يزيد بن محمد بن عبدالله

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

الفصل
الرابع
عشر

السلطان محمد الرابع

١٨٥٩ - ١٨٧٣ م

بعد سقوط الجزائر في أيدي الفرنسيين وضع سكان تلمسان مدحبيهم تحت حماية السلطان عبد الرحمن وبعد وفاته تولى الحكم ابنه محمد باسم محمد الرابع . وكان متعلماً يحسن التحدث باللغة الفرنسية متزناً العقل راجحه ، ملماً باحوال بلاده مطلعاً على السياسات الأوروبية المختلفة . وقد استقبل الشعب المغربي عهده الجديد بأمل كبير لكي يحفظ استقلال البلاد ويصونها من التوسيع الأوروبي - الذي تحول من قرصنة بحرية لمهاجمة السفن التجارية والبحرية - إلى قرصنة استعمارية توسعية ترمي إلى احتلال شمال إفريقية على الرغم من أن مؤتمر فيينا قد حظر القرصنة ولكنه لم يحدد في ذلك «الحظر» نوع القرصنة المطلوب فرض الحظر عليها .

دول الغرب ومؤتمر فيينا

ومن البديهي أن مؤتمر فيينا لحظر القرصنة وتحريم الرق إنما حضره ووضع بنوده الأوروبيون ، لذلك فهو من وجهة قانونية لا يسري مفعوله إلا

على الدول غير الأوروبية . ولكن هذه الدول أباحت لنفسها القرصنة على الشواطئ الأمريكية والجزر الواقعة قبالة خليج تكساس ، وعلى شواطئ كندا ، كما أباحت لها حق خطف العبيد من القارة الأفريقية وبيعهم في الولايات المتحدة للمزارعين الأمريكيين البيض . هذا بالإضافة إلى أن بريطانيا كانت تستعبد سكان المستعمرات التي تحتلها وكانت كل مزرعة يملكها انكليزي تستخدم سوداً مستعبدين إلى الأبد كمستعمرة جامايكا وغيرها من المستعمرات .

ولكن الدول الأوروبية اتخذت من مقرارات مؤتمر فيينا وسيلة للتحرش بالمغرب والجزائر وتونس وطرابلس ، مع أن قرارات المؤتمر لا تسرى إلا على الدول الأوروبية فقط على اعتبار أن أحداً من ممثلي دول شمال إفريقية لم يدع لحضور مؤتمر فيينا . لذلك قرر المؤتمرون أن يفرضوا قراراتهم على الدول الإسلامية فقط ولو أدى ذلك إلى استعمال القوة . ولو كانت الجزائر وتونس وطرابلس دولًا قوية في البر والبحر لما تجرأت الدول الأوروبية على فرض مقرراتها عليهما . . ويقال مثل هذا بالنسبة لكل مؤتمر أوروبي أو أمريكي يعقد ولا يحضره مندوبون أو ممثلون عن الدول العربية ، فإن مقرراته تكون ملزمة للدول الغربية فحسب ويوسع كل دولة لم تدع إلى المؤتمر ولم تحضره أن لا تعترف به ولا بمقرراته .

ويبدو أنها أصبحت بداعية تتخذ طابع العرف أو التقليد عند موت السلطان القديم واعتلاء السلطان الجديد عرشه أن يشور عليه واحد من أفراد الأسرة الملكية ، فالسلطان محمد الرابع واجه انتفاضة من هذا القبيل قادها عبد الرحمن بن السلطان سليمان الأسبق ، وبما أن الانتفاضة سويفت بالتي هي أحسن أو بالتي هي أسوأ إن صبح التعبير فقد واجه السلطان تحركاً إسبانياً جديداً هدفه التوسيع . . بعد ما أدركت إسبانيا أن فرنسا التي استولت على

جزء من الجزائر تستعد - مع الوقت - وبعد أن تصنفي حساباتها مع الأمير عبد القادر الجزائري ، أن تصنفي كذلك حساباتها مع المغرب ، أما مسألة انخفاض سعر النقد المغربي بالنسبة للعملة الأوروبية فكان حادثاً طارئاً من تدبير الدول الأوروبية لإضعاف الاقتصاد المغربي حتى لا يتمنى له إعادة تشكيل جيش جديد ليحل محل الجيش الذي أفناه الفرنسيون في معركة «إيلي» المذكورة آنفاً .

تحقق كل التوفعات دفعة واحدة إذ ما لبست أن شنت إسبانيا هجومها على زفارين واحتلت الجزر الجعفرية في الشمال ثم استبدلت الأكواخ الخشبية التي بنوها على حدود مدينة سبتة بمبانٍ عالية ومحصنة تحديداً للسلطان . وتذرع الأسبان بحادثة بسيطة لاحتلال مدينة طوان وهي أن قبيلة «أنجرة» المغربية بصقت على العلم الإسباني ومزقته فأرسل الأسبان إنذاراً إلى الملك بوجوب تسليم زعماء تلك القبيلة وإلا زحفوا على طوان .

وراح السلطان محمد الرابع يهيب بالقبائل الجبلية وغيرها لمساعدته على جهاد العدو الذي يهدد بتوسيع جديد على حساب أراضي المغرب ، وبيدو أنه تمكّن من حشد ٦٥٠٠ مقاتل نظامي في حين أخذت قبائل أخرى تهاجم الإسبانيين وتعيق تقدمهم .

وكان الانجليز ما يزالون محتفظين بمقاعدتهم في قصر السلطان كمستشارين . لذلك نصحوه لا بل غشوه على الأصح . بأن يلتجأ إلى التفاوض والمساومة ، وازاء هذا العجز من جانب «المخزن» ثار السكان بممثليه . وهاجموا مدينة طوان^(١) فأسرعت هذه وفتحت أبوابها للأسبان عام ١٨٦٠ الذين أخذوا يستعدون للزحف منها على طنجة .

(١) راجع في هذا تاريخ طوان لمحمد داود ١٩٦٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

شروط الصلح مع إسبانيا

ولكن بريطانيا الماكرة - التي كانت تتخلّى عن السلطان في الأزمات ثم تبادر إلى مساعدته عند انتهائها لصالح الأسبان - لكي تضعه تحت رحمة الشروط التي ستفرضها عليه - فتدخلت بحجّة أن وجود قوات إسبانية قرية من جبل طارق يضر بمصالحها ، وعرضت على السلطان أن تقوم بمبادرة للمصالحة ، فتم الصلح بين الذئب والحمل بشروط وافق عليها الثعلب الانكليزي وهي تقضي : بأن يتعهد المغرب بدفع عشرين مليون ريال لإسبانيا تعويضاً لها عن خسائرها في حرب طوان . . وتوسيع المنطقة المحتلة حول سبته مع تعهد المغرب باعطاء إسبانيا قاعدة لصيد الأسماك على شاطئ الأطلنطي تعويضاً لها عن مصيدة للأسماك ادعت أنها كانت تملكها في القرن الخامس عشر الميلادي . كما تعهد المغرب باعطاء امتيازات للرعايا الإسبان على غرار الإمكانيات التي منحها المغرب للبريطانيين .

إن فرض مثل هذا المبلغ الكبير على المغرب باتفاق إسبانيا وبريطانيا كان أكثر من أن تحمله المالية المغربية وأنّى لها مبلغ العشرين مليون ريال لتدفعها إلى إسبانيا التي تحرشت بها وهاجمتها واحتلت أجزاء من أراضيها .

وأصرت المغرب على أنها ستظل مالكة لمدينتها طوان وتعهدت بالدفع . . وهنا تقدمت بريطانيا باقتراح لاقراض الدولة المغربية نصف الغرامة المذكورة - ويا لها من كارثة - لأن السلطان بقبوله الدفع والاقتراض من الانكليز يعني أنه قد فتح أول دفتر للاقراض من المستعمرات . ثم اضطر إلى القبول بمراقبة مندوبيين إسبان في الموانئ المغربية لاستيفاء باقي الغرامة من مداخيل المغرب على البضائع المستوردة وهذه كارثة أخرى جعلت الجلاء عن طوان يتأخر ١٧ شهراً .

وبعد مضي ستين ونصف استوفى الذئب الاسپاني ديونه وقبض الغرامة المزعومة . ولكن مسألة انشاء قاعدة لصيد الأسماك تأجلت ثمانين عاماً ، ولم تتحقق إلا عام ١٩٣٤ وهي التي أصبحت فيما بعد مسمار جحاح الاسپاني . أي بعد أن استولت أسبانيا على «إفني» التي حررها فيما بعد الملك الحسن الثاني على أثر عقد اتفاقية مع الجزائر فرانكو .

السلطان محمد الرابع يشيء جيشاً نظامياً

بعد هذه العاصفة الاسپانية انطلق السلطان محمد في مسيرته الاصلاحية فأنشأ جيشاً نظامياً تمثل فيه كل قبيلة بفيلق يتراوح تعداده بين ٥٠٠ و ٣٠٠٠ مقاتل وفقاً لعدد نفوس القبيلة . وربطت الفيلق بقيادة عامة - السلطان على رأسها - هذا في البوادي . أما في المدن والشغور فقد قسمت الوحدات ، والفيالق إلى مشاة وسلاح فرسان ، وزوّز الفرسان على القلاع والبروج ، كما خصص لكل قلعة ٤٠٠ فارس لمساعدة سلاح المدفعية الذي عزّ بمدافع جديدة وبأسلحة تقليدية مثل المنجنيقات والمهايريس .

كما استحدث السلطان فيلقين نظاميين متحركين زودهما بالأسلحة الحديثة وطعمهما بضباط من رفاق الأمر عبد القادر الجزائري الذين اكتسبوا خبرة قيادية في الحرب ضد الفرنسيين واجزوا انتصارات باهرة على القوات الفرنسية .

انطلاق عجلة التعلم

أما في الحقل الزراعي فقد اهتم السلطان محمد بزيادة مساحة الأراضي الزراعية المروية عن طريق تجديد قنوات الري واستغلال المياه الجوفية . كما عني بدخول ما أمكن من الماكينات الزراعية واستعمال بخاخير فرنسي في الزراعة بعد أن تقرر ادخال زراعة القطن حتى أصبحت «دكالة»

تنتج من القطن ما تبلغ قيمته مئة الف فرنك ذهبي كما جلب معملاً أو أكثر لتكثير السكر خصوصاً وأن معمل «اكدا» في مراكش كان يعمل بصورة منتظمة في تكثير السكر .

كما اهتم بناحية العلم وتدريس اللغات الأجنبية واستقدم علماء من بلجيكا لهذه الغاية ، وأقام مراصد فلكية في فاس ومراكش ، كما انصب اهتمامه على تخصيص دروس للعلوم والرياضيات وفقاً للمناهج الأوروبية .

وبالرغم من كل هذا فإن مسألة إقامة مصانع حريرية لم تتوفر . فلم يذكر أن ميكانيكيياً تمكّن من صناعة مدفع أو بندقية أو أي أداة من أدوات الحرب المتطرفة .

وكل ما تمكّنا من صنعه وعمله لخصه المؤرخ الناصري بقوله: «تأنقوا في البنيان وطعموه بالزليج والرخام ، والنقوش البديع لاسيما في فاس ، ورباط الفتح ، ولاحت على الناس سمات الحضارة الأجنبية» كما هي الحال الآن ، في بلدان الشرق الأوسط ، حيث يوجد تأنيق بالملابس الأفرونجي وشقشقة لسان باللغات الأجنبية ، والدول العربية تنفق المليارات على شراء الأسلحة من أوروبا والولايات المتحدة .

في ذلك العصر من أواخر القرن الثامن عشر كانت العلوم في مختلف مدارس وجامعات البلاد العربية مقتصرة على دراسة القرآن وعلوم الحديث والفقه والاجتهادات المذهبية وعلوم اللغة المعقدة . . . وبهذه العلوم كانوا ينهكون عقول الطلبة ويميتون مواهبهم فلا يتخرج منهم سوى المقرئين ومشايخ المساجد وكتاب الدولة وهذا كل شيء . وهذا هو أساس العلل والتأخر والانحطاط لأن التعليم العصري المتتطور والحضاري الذي يقود إلى الاختراقات والتقدّم والتجدد كان معذوماً والأكثر من ذلك هو أن التلامذة

كانوا منذ الصغر يتعودون على الكسل والتواكل وعدم البحث والتحصيل .

رفع التمثيل الدبلوماسي مع المغرب

وبعد حرب تطوان رفعت الدول الأجنبية تمثيلها في المغرب من درجة قنصالية إلى درجة مفوضية ومعنى ذلك مضاعفة عدد الجواسيس والعملاء وشراء الضمائر والذمم . وعهد بالشؤون الخارجية إلى وزير البحر وهو باشا طنجة .

واعطى السلطان امتيازاً دولياً لإقامة برج المنار في طنجة . عام ١٨٦٥ ليرشد السفن في عرض البحر ، ولستا ندرى لماذا أعطى ذلك الامتياز للدول ، بينما كان في وسع البنائين الذين يشيدون منارات المساجد أن يشيدوا منارة لارشاد السفن .

كما أقر في عام ١٨٧٢ إنشاء مجلس صحبي تمثل فيهبعثات الدبلوماسية للعناية بالحالة الصحية العامة ، ولا ندرى أيضاً ما هو الدور الذي سيلعبه الدبلوماسيون في هذا المجال غير أننا عرفنا أنه بعد مرور حوالي ٣٢ سنة على ذلك التدبير غدت تلك الامتيازات نواة لنظام الدولي الذي فرض على طنجة في عهد الحماية على المغرب .

وهكذا كان السلطان محمد الرابع يقع في المطبّات والاشراك التي ينصبها له الدبلوماسيون الأجانب لإيقاعه في حبائلها . . ومع ذلك فقد قال أحد المؤرخين عنه بأنه أي السلطان : «كان معروفاً منذ أيام أبيه برجاحة العقل وسعة الاطلاع . . »

وفي أثناء عملية الاستغلال هذه واصلت الحكومة الفرنسية ضغطها على المغرب - حتى أقر للمؤسسات والمحلات التجارية الفرنسية بتأسيس فروع لها في الأراضي المغربية ، لقتل الصناعة الوطنية وللحيلولة دون إقامة

صناعة حديثة تغنى البلاد عن المستورادات الأجنبية ، وما أن اقيمت تلك الفروع الاقتصادية والتجارية واستخدم فيها موظفون مغاربة - حتى منح كل هؤلاء حصانة دبلوماسية . وبذلك صار محظوراً على دوائر العدل والقضاء التحقيق مع أي منهم أو محاكمته دون الحصول على موافقة مسبقة من المفوضية الفرنسية في طنجة .

وهكذا استغفل السلطان ومنح الحصانة الاجنبية لكل شخص فرنسي أو عميل لفرنسا .

وقيل في تعليل إعطاء كل تلك التنازلات للأجانب - لكي يحول السلطان دون احتلال المغرب . . مع العلم بأن فرنسا كانت تنتهج سياسة بطيئة للسيطرة على مراقب الدولة في المغرب بدون حرب أو قتال حتى لا تثير الرأي العام العالمي ضدها .

ترى هل كان في ذلك العصر رأي عام عالمي له أهميته وأحترامه؟ . . وأنه وفي السلطان في عام ١٨٧٣ دون أن يحقق شيئاً يذكر - بعد أن حكم أكثر من ١٣ عاماً .

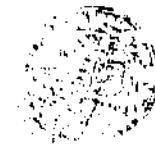
حذار التقليد

تجدر الإشارة هنا إلى أن كتابة التاريخ في عصرنا الحديث تتطلب المزيد من الوعي والفهم والإدراك والإحاطة بالأحداث حتى لا يقع المؤرخ الحديث في حبائل المؤرخين الماضيين وتمويهاتهم وإباس الباطل ثوب الحق ، والحق ثوب الباطل . . فالمؤرخ الذي يلجأ إلى التمويه والخداع والتضليل بغية نوال الأجر ، يضر بالدولة التي يكتب تاريخها ويضلل القراء الذين سيقرأون كتابه ويبعدهم عن الحقائق بالتزوير والتزييف والخداع ويكون في عمله هذا يستر على الأخطاء والعيوب بينما الهدف الاسمي من

كتابه التاريخ هو تحديد العيوب والأنخطاء والإشارة إليها بوضوح وصراحة
لمنع تكرارها في المستقبل .

لِشَفَاعَةِ الْمُحَمَّدِ لِمَنْ حُقِّقَ لِفَوْلَةِ الْكَبِيرِ بِاللَّهِ الظَّلِيمِ

**وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْيَزِيدُ الْمَهْبُطُ
الْحَسِينُ لِهِبَّةِ اللَّهِ بَهَّ اَمِينٍ**



كتابنا هذه الرسالة للله ولعزيزه له يستقر بيد العامليه
الباشدور لزاره هر من عند سخيم اصحابيه للروي كالروس
لحضورتنا العالية بالله تعالى يتعرف منه يعوال الله
وفوقه لانه ومرفقه معه هم يوجههم الروي كالروس
عندهنا انه امر واشارته فدوهم ومفاصيلهم عندهنا
ورجوهم وكما يرون هنا الدليل على ذلك في الرابع
والعشرين من شهر شتمم عام ستة وهايئر والفال

LAM. V. — Reproducción del salvoconducto expedido por Mawliy al-Yazid a favor
del embajador de España (núm. 19).

عن مقابل الصفحة ۱۳۴ من كتاب :

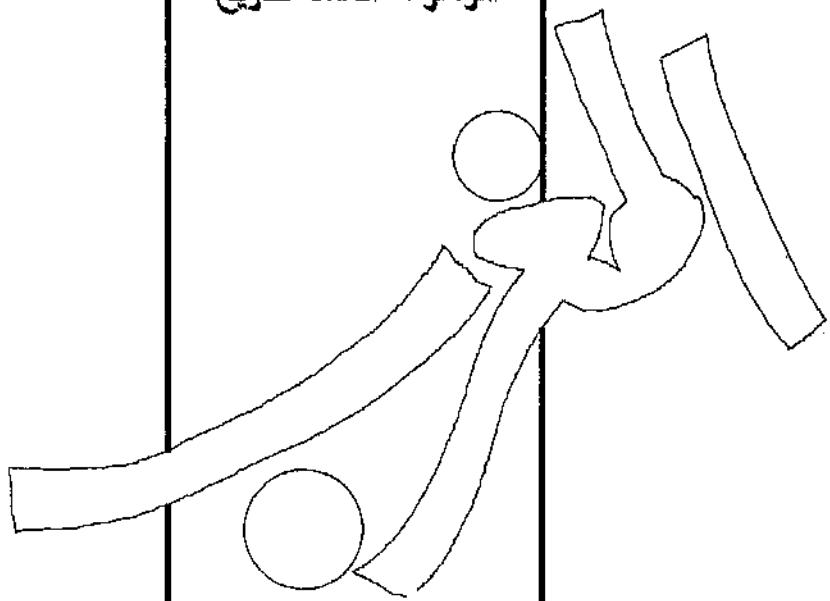
“ Cartas Arabes de marruecos ”

المطبوع في طروان سنة ۱۹۶۱



مُؤتمر المأذون بالتجنيد لعام ١٩٩١ ويعرى جلالة السلطان محمد الخامس في الوسط والتي يحيى
ولي التاج جلالة الحسن والي بسلامة الرئيس محمد عبد الناصر

الموسوعة العامة ل تاريخ



والأندلس

**الفصل
الخامس
عشر**

السلطان الحسن الأول

بن محمد الرابع بن عبد الرحمن

١٨٩٤ - ١٨٧٣

في ذلك الوقت كان العمل السياسي شبه معدوم في شمال افريقيا وبدائياً في الدولة العثمانية وببلاد العرب «مصر وسوريا وفلسطين» لأن علم السياسة لم يكن يلقن في الأزهر ولا في جامعة القرويين ولا في المدارس الأميرية أو في الكتاتيب وبفقدان رجال السياسة المحظkin في الشرق وشمال افريقيا ، راح المستعمرون يرسمون خرائطهم على الطبيعة للاجهاز على دولة «الرجل المريض» في دولة بني عثمان .

وكانت بريطانيا بالرغم من تظاهرها بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية في أكثر من مناسبة ، تعمل من وراء الستار على تحقيق خارطتها التي رسمتها لحماية طريق الهند ، ابتداءً من مصر . التي كان يحكمها الخديوي اسماعيل باشا من اسرة محمد علي الألبانية ١٨٦٣ - ١٨٧٩ .

إنشاء قناة السويس

بدأت اعمال الحفر في قناة السويس في عهد محمد سعيد اصغر أبناء محمد علي باشا والي مصر . وقد حظي مشروع الحفر بموافقة الدولة العثمانية وقام مهندس هذا المشروع قنصل فرنسا في مصر الكونت فردینان دی لسپس (De Lesseps) بعد أن نال امتيازاً لشق القناة مدتة ٩٩ عاماً بدءاً من تدشين الملاحة فيها على أن تكون حصة مصر من أرباحه ١٥٪ فقط . افتتح دی لسپس اكتتاباً في أسهم الشركة التي ستتولى الأعمال وبدأت اعمال الحفر عام ١٨٥٩ واستمر العمل في شق القناة حتى عام ١٨٦٩ ولما توفي محمد سعيد عام ١٨٦٢ خلفه الخديوي اسماعيل وكان مسرفاً مبذراً أغراق البلاد بضائقة مالية كبيرة . وتضخمت ديونه فرأى بريطانياً أن الفرصة سانحة للتدخل وأخذت تمدد الخديوي اسماعيل بالمال . وكانت الجمعية العامة لحملة أسهم القناة المنعقدة عام ١٨٧١ قد أقرت حرمان مصر من حق التصويت لأن أرباح الأسهم المصرية قد خصصت لدفع التعويضات المستحقة للشركة بموجب التعديلات التي طرأت على الامتياز عام ١٨٦٤ وكانت بريطانيا هي المسؤولة عن هذا التعديل وبالتالي عن فقدان مصر حق التصويت فصوت دلسبس عنها .

واشتد الضغط على مصر فباع الخديوي حصته عام ١٨٧٥ إلى بريطانيا بمبلغ أربعة ملايين جنيه فاستلمت دسraelili رئيس الوزارة البريطانية آنذاك في الحصول عليها وكان الانجليز والفرنسيون معاً قد زينوا لإسماعيل باشا بأن شق القناة سوف يدر عليه أموالاً كثيرة تساعده على تسديد ديون مصر والحصول على مداخيل طائلة ستكون له خير معين على اكمال برنامجه التغييري الإصلاحي هذا مع العلم بأن الخديوي لم يتوقف عن الافتراض خلال السنوات الخمس عشرة التي استغرق العمل فيها بشق القناة . . كان

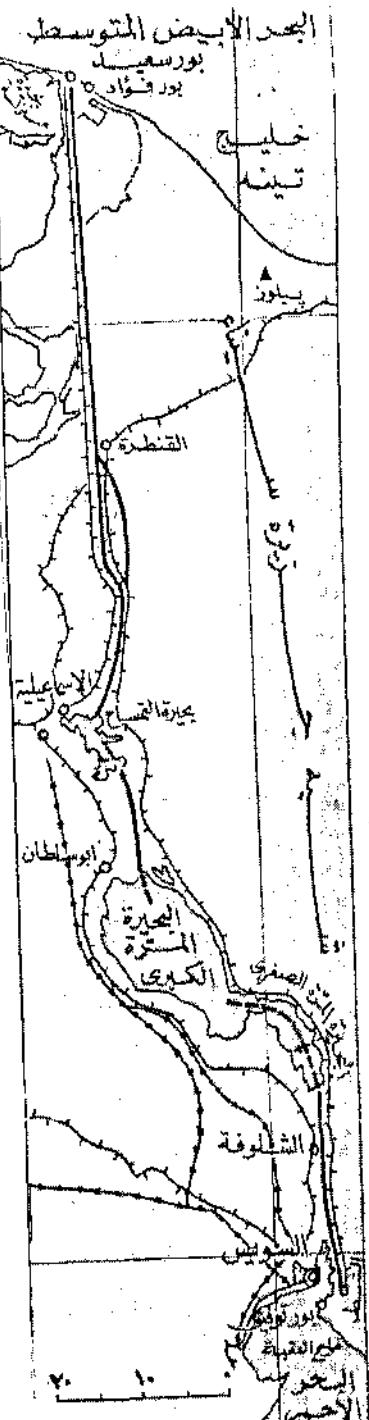
يفترض ليني القصور الفخمة ويشق الطرق والشوارع في القاهرة والاسكندرية .

ولكن حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر لأن مداخليل قناة السويس لم تتمكنه من تسديد ديونه وبذلك تكون المؤامرة البريطانية - الفرنسية قد نجحت في القسم الأول منها .

ثم بوش في تنفيذ القسم الثاني من المؤامرة عندما أخذ الدائتون يطالبون باموالهم المستحقة - حتى الآن فإن الخديوي يدفع قيمة الفوائد السنوية - ثم بدأ الضغط على مصر يأخذ طابعه الدبلوماسي ، وهنا ستحت الفرصة لبريطانيا لكي تقوم بدور المنقذ ، فعرضت على الخديوي أن يبيع القناة وأبدت استعدادها لشرائها بأربعة ملايين جنيه استرليني - .
«يا أمّةٌ ضحكت من جهلها الأمم» .

وعلى هذا تم الاتفاق فافتراضت الحكومة البريطانية ، الأموال المتفق عليها من اسرة روتشيلد اليهودية ودفعتها للخديوي .

وبهذه الحيلة السياسية تمكنت من السيطرة على قناة السويس ومن أجل إحكام تلك السيطرة لم تكتف عن التدخل في السياسة المصرية حتى يوم الجلاء سنة ١٩٥٦ .



الثورة العرابية في مصر

في عام ١٨٧٩ خلع اسماعيل باشا وتولى بعده ابنه الخديوي توفيق الضعيف الواهن - فأغار أذنه الاشترين للفتصل البريطاني «هالت» فاندلعت الثورة العرابية بقيادة أحمد عرابي باشا وصحبه فرسان الجيش . وبذلك تكون بريطانيا قد باشرت في تنفيذ القسم الثالث من المؤامرة ، وهو الخاص باحتلال مصر عام ١٨٨٢ أي بعد أن تولى الحسن الأول سلطان المغرب مقاليد الحكم في بلاده بتسعة سنوات . وبذلك ضمنت بريطانيا لنفسها احتلال القواعد الاستراتيجية الهامة للجهاز على السلطنة العثمانية في عام ١٩١٧ وذلك هو القسم الرابع من المؤامرة البريطانية على مصر ودولةبني عثمان معاً .

اسپانيا تراحم فرنسا وبريطانيا على احتلال المغرب

أما في اسبانيا ، فإن هذه الدولة كانت قد فقدت امبراطوريتها في العالم الجديد منذ عهد فرناندو السابع ملك اسبانيا ١٨١٤ - ١٨٣٢ وهذا ما حملها على التكالب على احتلال الثغور المغربية ، حتى لا تستأثر فرنسا بالدجاجة المغربية كلّها .

وكما هي العادة فقد ورث السلطان الحسن الأول تركه مقلة بالمتاعب الداخلية والخارجية فصار حتماً عليه أن يعمل ليلاً ونهاراً لإنقاذ البلاد من التدخل الاجنبي الباسط جناحيه على الثغور المغربية .

وكان قد تولى العرش المغربي بعد وفاة والده محمد الرابع وتمت بيته في عام ١٨٧٣ عندما كانت بريطانيا تلعب الأعيابها في مصر . وبعد ثلاثين سنة من الاجهاز على مقاومة الامير عبد القادر الجزائري في وهران .

في ١٦ أيار «مايو» عام ١٨٤٣ ، والقضاء على الجيش المغربي في معركة «إيللي» في ١٤ آب سنة ١٨٤٤ ، وأبرام معاهدة طنجة في ١٠ أيلول «سبتمبر» عام ١٨٤٤ أي في العام نفسه وهي المعاهدة التي قبضت بوضوح طنجة تحت رعاية بريطانيا . وفي الوقت ذاته نالت فرنسا اعترافاً قانونياً بوجودها في الجزائر ، ولكن مقاومة عبد القادر الجزائري ظلت مستمرة . وظل الفرنسيون يطلقون على مقاومته الكلمات الاستعمارية التقليدية «العصاة والمتمردون - وآخرأ استسلم الأمير عبد القادر في كانون الأول عام ١٨٤٧ . بعد أن سجل اسمه في قائمة ابطال الاسلام كمحارب ضليع وقاد عظيم انتصر على الفرنسيين في كثير من المعارك . وبعد استسلامه بدأت فرنسا بتحطيم المجتمع الجزائري لتقيم على انقاضه مجتمعاً فرنسياً مؤلفاً من المستوطنين الفرنسيين الذي سنحوا الأراضي والممتلكات الواسعة في الجزائر حتى بلغ تعداد الفرنسيين المستوطنين ٢٥٠ الف فرنسي في عام ١٨٧٠ احتلوا واستولوا على كل مرافق الجزائر الاقتصادية وال عمرانية والسياسية وكل شيء غدا في أيديهم بعد ضمها رسمياً إليهم .

الحسن الأول يعيد تنظيم الجيش المغربي

وفيما كانت فرنسا تكتّش عن أنيابها استعداداً للإنقضاض على المغرب لتميزقه قبل أن تبتلعه بريطانيا بواسطة مستشاريها وامتيازاتها وتجارتها المسيطرة على البلاد ، بدأ السلطان الحسن الأول العمل على تجديد الجيش المبعثر ولم شمله بعد أن حُرم المغرب من اسطوله القديم . فأدخل نظام التجنيد الاجباري على المدن ريثما يتسع له جمع المتطوعين من القبائل الريفية والجبلية التي لم تستسغ بعد نظام التجنيد الاجباري .

ولكنه وقع في خطأ مدبّر: عندما لم يشكل قيادة مغربية عليا للإشراف على تنظيم الجيش ، وبدلأ من ذلك اختار ضابطاً انجليزياً وسلمه قيادة

كتائب الجيش النظامي تماماً كما فعل الملك عبد الله عندما اختار كلوب باشا لقيادة الجيش الاردني^(١) واستقدم بعثة عسكرية فرنسية لتدريب الجيش ، ثم انشأ مصنعاً للأسلحة في مدينة فاس أناظ إدارته بضابط إيطالي ، لصنع خمس بنادق في اليوم الواحد فقط ، وقيل في تبرير هذه العملية التي وضعت الجيش النظامي المغربي ومصنعة بين مخالب المستعمرين ، أنها تهدف إلى إيجاد توازن تعافي مع الدول الاوروبية لمنع وجود فضل التفضيل بينها وبين الدول الأخرى ، لئلا ينقلب ذلك التفضيل إلى نفوذ يدخل بالاستقلال .

[يا أمّةٌ ضحكت من جهلها الأمّ]

خيال واهن وتدبير عاجز لافتقاره إلى الذكاء والوعي السياسي الناضج والتفكير السليم وراح السلطان يشرف على استعراضات الجيش فشخصه لذلك يوماً في الأسبوع هو يوم الاثنين - للاشراف على التدريبات يوم الأربعاء لاستعراض واشتراك السلطان شخصياً بالدروس النظرية وقيل التطبيقية أيضاً في سلاح المدفعية ، كما دأب على تفقد الحصون والقلاع والمخافر .

وزوّد القبائل المحاربة بما تحتاج إليه من أسلحة وأعتدّه عسكرياً وأظهر اهتماماً يحمد عليه بالاشراف على مصنع البارود الذي أنشأه والده في مراكش .

وقام بـ ١٩ رحلة تفقدية في جميع أنحاء المغرب لمعالجة أسباب التمرد والفتنة السابقة ، فزار منطقة السوس في الجنوب لأن الأسباب كانوا يطمرون باحتلال «افني» بمقتضى معاهدة الصلح التي عقدها والده مع الأسبان بعد هزيمة «تطوان» وبهذه الرحلة جعل مدينة «تيزنيت» عاصمة

(١) كان يومها السرهاري ماكلين الإيكوسي .

للسوس . وبذلك أصبحت مقرًا لجيش الجنوب .

ثم زار تافيلالت عام ١٨٩٣ ، والواحات الصحراوية ووطلد الأمن في «الملوية» العليا ، والأطلس الأوسط ، وقصر السوق ، ووادي زير وقضى على حركة عصيان صغيرة هناك ثم عاد عن طريق جبال الأطلس إلى سهوله الواسعة .

وكان مستشاروه الأوروبيون قد أشاروا عليه بدخول نظام السكك الحديدية ليحل محل الجمال والبغال واحداث نظام الهاتف والبرق لتحل محل الحمام الراجل . ثم اعنى بالبحث عن المعادن واستثمار ما يكتشف منها .

وكان من البديهي أن كل تلك الاصلاحات كانت تجد من يعترض سبيلها ، ويحتاج عليها من قبل المتدلين والمتزمتين ، بسبب إنماطها « بالأ جانب المكرهين في المغرب ، من اصحاب الامتيازات الذين كانوا يعتبرون المواطن المغربي في وطنه مخلوقاً ثانوياً ، وينظرون إليه على أنه من درجة أدنى بالنسبة للأوروبيين .

البعثات الطلابية في عهد الحسن الأول

أرسل السلطان الحسن الأول بعثات طلابية إلى إسبانيا وفرنسا وإيطاليا والمانيا والولايات المتحدة . فدرس بعضهم الهندسة في معاهد بريطانيا والمانيا وإيطاليا ، وتخرج قسم منهم كمعاونين من مدرسة الهندسة العسكرية في مونبلييه الفرنسية . وبعد كل هذا الجهد فإن الحكومة المغربية لم تستفيد من علوم بعثاتها الطلابية بعد عودتهم إلى الوطن ، فعينوا في دوائر الدولة برواتب ضئيلة ولم يمكنوا من ممارسة اختصاصاتهم الأمر الذي جعل كل تلك الجهود تضيع . ولا تأتي بثمارها .

اصلاح المخزن

ويباشر السلطان بتطبيق الاصلاح الآخر الذي كان يُراود مخيّلته وهو اصلاح «المخزن» أي جهاز الحكم . ويتألف من دوائر مركبة تابعة للسلطان ، واخرى محلية يوزعها السلطان على المدن والقبائل . وتتجذر الاشارة هنا إلى أن دولة الموحدين هي التي أنشأت نظام «المخزن» بعد أن اقتبست اسمه ومهامه من الاندلسيين ، ولكن السلطان الحسن الأول طوره وجعله يتتألف من خمسة وزراء : الوزير الصدر مكلف بممارسة الشؤون الداخلية والاشراف على الباشوات والقواد ، ووزير البحر مسؤول عن العلاقات الخارجية ، والعلاف الأكبر مسؤول عن تأمين لوازم الجيش ومرتباته وتمويله ، وامين الأمان المراقب لمداخيل بيت المال ونفقاته ، ووزير الشكایات مسؤول عن استلام شکایات القبائل والافراد ضد موظفي الدولة والمخزن .

اصلاحات الحسن الأول

من جملة الاصلاحات التي أدخلها السلطان الحسن الأول على البلاد منع الاسترفاق وتحريم الرقيق ، وتنظيم الجمارك ، وكانت تسمى «الديوانة» وتنظيم البريد ، وإنشاء مصنع في فاس لسك النقود وإنشاء مصنع آخر لصناعة الاسلحة الحقيقة .

وانتهت الحسن الأول سياسة المرونة ضد المستعمررين لأنها بنظره تجنب البلاد الكثير من الازمات والحروب ومن الأمثلة على ذلك أن فرنسا التي تحتل الجزائر طلبت من السلطان الحسن إقامة بعثة لها في وجدة القرية من الحدود الجزائرية لمعالجة حوادث الحدود بين المغرب والجزائر فوافق على طلبها حتى لا تقوم فرنسا باحتلال وجدة .

وفي عام ١٨٩٣ ارغم على دفع اربعة ملايين ريال إلى اسبانيا تعويضاً عن الخسائر التي لحقت بها من جراء قبائل الريف العاصية التي كانت تهاجم التحصينات الاسبانية في ميناءي مليلة وبسبته المحتلين من قبل الاسпан ، فدفع السلطان التعويض بعد أن انزلت اسبانيا قواتها على الشاطئ المغربي المحاذي للبحر المتوسط وبذلك انتهت الأزمة مؤقتاً . ولكن عملية الدفع كانت اعترافاً ضمنياً باحتلال المدينتين البائستين .

الحسن الأول يرفع الغطاء عن الامتيازات الاجنبية

وفي عهد الحسن الأول رُفع الغطاء عن الامتيازات السرية والعلنية التي اعطتها من سبقوه من السلاطين . ومنها نظام الحماية الفردية التي خصص بها بعض رعايا تلك الدول الاجنبية ، بالإضافة إلى الامتيازات التي كانت معطاة لليهود «بضغط من الحكومة الانجليزية» كل هذه الامتيازات حصلت عليها الدول الغربية في فترات تمتد من القرون الوسطى إلى أواخر القرن التاسع عشر . ومن الامتيازات الصغيرة المعطاة على أساس معاهدات تنص على تخويل القنصل الاجنب حق الفصل في المنازعات بين رعاياهم بقضايا الاحوال الشخصية وبعض المعاملات المدنية ما عدا الفصل في القضايا الجنائية مهما كانت جنسية الجاني أو المجنى عليه .

تضاف إلى ذلك الامتيازات الكبيرة التي منحها السلاطين الضعفاء إلى بريطانيا عام ١٨٥٦ ، وإلى اسبانيا عام ١٨٦١ وإلى فرنسا عام ١٨٦٣ ، ومنها الامتيازات القضائية التي تعرف للاجنبي من رعايا الدول المذكورة اعلاه وغيرها بجنسيته ، وحقوقه المدنية والسياسية ، كما لو أنه مقيم في بلده الذي نزح عنه ، بمعنى أنه لا يخضع بأي حال من الاحوال للقوانين والأنظمة المغربية ولا تسري عليه سوى قوانين بلده التي يطبقها القنصل

التابع له وفي ذلك ما فيه من انتقاص لسيادة المغرب باعتباره بذلك مضيفاً .

ومنها الامتيازات التشريعية والامتيازات الضريبية التي تعفي الاجنبي من دفع الضرائب والرسوم للمغرب وقد حصلت بريطانيا على هذا الامتياز المجنح بموجب معاهدة عام ١٨٥٦ وحصلت عليه إسبانيا بمعاهدة مماثلة عام ١٨٦١ .

ومنها أيضاً الامتيازات الادارية وهي التي اعطيت للقنصلين فصاروا يمتلكون بمحضها مطلقاً ، فلا يدفعون الرسوم الجمركية لقاء مستور داتهم كما صارت تخول القنصل الاجنبي حق ممارسة البوليس القضائي والاداري بالنسبة لرعاياه ، كما تخوله أيضاً حق إنشاء قوة بوليس مصغرة تابعة له ، وسجن خاص يسجن به من أصدر عليهم «أحكاماً قضائية» كما اعطي الحق بابعاد من يشاء من رعاياه .

واخيراً امتيازات الحماية وهي تخول الدول الاجنبية حماية مواطنها وعملائها من المغاربة سواء كانوا من التجار أو من رجال السياسة وسماسرة الاسواق والبواقي والمغاربة الخونة المتعاملين مع القنصلين ودولهم في المدن والقبائل حتى أصبح ما لا يقل على مثلي شيخ ووجيه بارز مع عدد من القبائل تحت الحماية الأجنبية .

وقد اعطت معاهدة عام ١٨٦٣ مع فرنسا الفلاحين المغاربة . حق «التميُّز» بامتيازات الحماية مما أحدث خللاً في النظام المغربي ، لأن الحماية تحولت إلى شبه مستعمرات أجنبية داخل الوطن . . حتى أن الحماية الفردية كانت تشمل بعض الكبراء والاغنياء في المدن والبواقي والأسواق بالإضافة إلى بعض الفلاحين . فلما احتلت إسبانيا الصحراء المغربية طبقت على العديد من سكانها نظام الحماية ومن هذه الحماية نشأت

بعض العصابات الخارجة على النظام فيما بعد .

هذه الامتيازات المخزية المدمرة لسلطة الدولة المغربية وسيادتها كانت من جملة الشركه التي ورثها السلطان الحسن الأول عن أبيه وجدوه ..

الحسن الأول ومؤتمر مدرید لعام ١٨٨٠

لذلك قرر السلطان الحسن الأول أن يخلص منها جملة وتفصيلاً فإذا تعذر عليه الخلاص منها عمل على تخفيف مساوئها . لذلك سعى إلى عقد مؤتمر دولي في مدرید عام ١٨٨٠ حضره مندوب السلطان وممثلو دول الامتيازات الأجنبية التي تطبق في المغرب وهم : ممثلو بريطانيا واسبانيا وفرنسا ، كما حضره ممثلو المانيا وایطاليا والنمسا وبلجيكا وهو لنده والدنمارك والسويد والنرويج البرتغال والولايات المتحدة .

وعرض المغرب في هذا المؤتمر مساويء الامتيازات التي تفرضها عليه بريطانيا واسبانيا وفرنسا بالتهديد وقوة السلاح ، وطالب بإلغائها جميعها أو التخفيف من مساوئها وقيودها . ولكن النتيجة جاءت في غير صالح المغرب ، لأن الدول الغربية تآمرت وتواطأت على المغرب ، عندما قررت تلك الدول الظالمة الابقاء على الامتيازات والحميات لا بالنسبة للدول الثلاث فحسب بل لجميع الدول التي حضر ممثلوها مؤتمر مدرید .

وكان المطلب الايجابي الوحيد الذي اعطي للمغرب هو الاعتراف بالمغرب دولة حرة تحت سيادة السلطان .

عندئذ طوى السلطان الحسن الأول جوانحه على ذلك الظلم الفاحش وقرر العمل وفقاً لما يوحيه اليه واجبه الوطني المقدس ، فأصدر أوامره سراً إلى القبائل الشرقية المتاخمة لحدود الجزائر بوقف التسلل الفرنسي إلى

المغرب .

الحسن الأول يستنجد بالعثمانيين

واهتدى السلطان الحسن الأول إلى فكرة رأى أنها قد تساعدة على الخلاص من تعنت الدولة الغربية واستبدادها ، فقرر أن يستنجد بالدول العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني «١٨٧٦» . وكان هذا السلطان ويا للأسف خاصعاً لشيخ الإسلام «أبو الهدى» عميل الانجليز الأول في الاستانة «القسطنطينية» كما اشرنا قبلأ .

فأوفد السلطان وفداً مغرياً يرأسه وزير إلى عبد الحميد المذكور فاستقبل بالحفاوه ثم اسفرت المفاوضات بين الجانبين على أن تدعم الدولة العثمانية استقلال المغرب وتُناوِيَ خصومه . وان يقام تبادل دبلوماسي بين البلدين المسلمين .

ولكن هذا الانفاق لم تطلع عليه شمس التنفيذ لتحقيقه لأن أسبانيا وبتحريض من العدو فرنسا ابلغت الحسن الأول اعتراضها على تسرب دعوة الجامعة الاسلامية إلى المغرب وقالت : انها تنظر بعين القلق إلى ما يقوم به المغرب من توثيق علاقاته مع الدولة العثمانية . وهكذا جرت الأمور .

الفرنسيون يحتلون تونس

ولكن الموت انفذ الحسن الأول من آلامه فتوفي في «تادلا» عام ١٨٩٤ عندما كان بطريقه إلى الريف لقمع قتنة استجده هناك بعد أن حكم احدى وثلاثين سنة .

ولكنه قبل وفاته بمدة طويلة اعلم بأن الفرنسيين شنوا حملة عسكرية

على ميناء بنزرت التونسي سنة ١٨٨١ ، فاحتلته ثم تابعت الحملة هجومها فاحتلت مدينة تونس وحاصرت قصر «الباي» ثم قدمت له نصوص معاهدة فرنسية - تونسية لكي يوقعها في خلال خمس ساعات . وهكذا احتل الفرنسيون دولة تونس بعد أن كان البريطانيون قد احتلوا جزيرة قبرص .

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

**الفصل
السادس**

عشر

السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول

١٨٩٤ - ١٩١٠

كان في مطلع الربيع الثالث عشر ، عندما ورث العرش المغربي عن والده الحسن الأول ، فتى طري العود لم تنضجه التجارب ، ولم تعجم عوده الشدائد ، رغم أنه ورث عن والده مسؤوليات جسام وتركته مثقلة بالمتاعب وظروفاً حرجه ، وتهديبات مباشرة من فرنسا بالاحتلال – بعد أن فرضت عدوانها على الجزائر وانتزعتها من براثن الدولة العثمانية ، وسلطانها الملقب بالرجل المريض ، كما عززت وصايتها على تونس ، وراحت تستعد للانقضاض على المغرب .

وكان السلطان عبد العزيز يتلقى النصح والارشاد من أمه التركية وهي من الآستانة وكانت تتمتع بذكاء ظاهر ، وشخصية قوية ، بينما انيطت مسؤوليات الحكم بحاجب السلطان القوي أبو أحمد ، الذي كان يقوم بدور المستشار للسلطان الفاصل ، وهو ابن خادم أسود ، استطاع بمكره ودهائه أن يتسلط على «المخزن» والحكام المغاربة ، متخدلاً من سيده المولى

عبد العزيز ستاراً يحكم من خلفه البلاد ومن عليها .

وبلغ من استبداد الحاجب المستشار أبو أحمد المذكور أنه أوغر قلب السلطان على وزرائه والكثير من الشخصيات المغربية المخلصة للعرش العلوي ، ومن هؤلاء عائلة الجامعي الفاسيه ، إذ كان من رجالاتها الكبار البارزين وزيران في «المخزن» «وهو اسم يطلق على حكومة البلاد» فاقصاهما السلطان المخدوع عن منصبيهما نزولاً عند اغراء وتحريض حاجبه أبو أحمد ، الذي اتهمهما بالتأمر على العرش لخلع السلطان عبد العزيز ، وتنصيب أمير علوي آخر مكانه - ثم تمادي أبو أحمد في طغيانه فأمر باعتقال الوزيرين ، ومصادرة قصرهما في فاس .

السلطان عبد العزيز يقع في قبضة المنحرفين

وبوفاة أبي أحمد عام ١٩٠٢ كان السلطان عبد العزيز قد بلغ الواحدة والعشرين من عمره ، وهو السن الذي يسمح له به أن يتقلد مهام الدولة ، كشاب بدأت تتفتح في رأسه بوادر الفهم والإدراك والمعرفة والرغبة في اصلاح شؤون البلاد . ولكن حاشيته تصدىت له عندما شعرت بأن مناصبها ومركزاً لها في الدولة صارت مهددة بخطر الاصلاح ، لخوفهم من أن يكون السلطان عازماً حقاً على اجراء اصلاحات جذرية في المراكز الإدارية والاجتماعية قد تؤدي بهم وبنفوذهم ومصادر ثرواتهم إلى الضياع والدمار . ولكن السلطان سرعان ما تناهى ذلك ثم تخلى عنه وراح يركض وراء الملذات والأفراح والليلي الملاحم . ترى هل كان الوزراء وأفراد الحاشية هم وحدهم الذين زينوا للسلطان الشاب أن يقصر اهتمامه على ادخال السرور إلى قلبه بالعكوف والانكباب على متع الدنيا الجالية للسرور ، بحيث تستأثر بكل اهتمامه دون شؤون الدولة ؟ وهل هم الذين نصحوه بأن يقبل بوجهه على مدنية أوروبا المزيفه والتتمتع بقشورها المزخرفة البراقة

والتلهي بها عن الاصلاحات المنشودة؟

أسئلة مطروحة سوف نشرع على اجوبتها فيما يلي :

منذ عام ١٩٠٠ بدأ العالم يشاهد فضول المأساة الجديدة ، وهي تعمل على تحطيم شخصية السلطان الشاب الذي لم يستطع أن يثبت أمام عوامل الاغراء ودفافعه ، وبائرغم مما قبل عن ذكائه وقوته عارضته فقد زين له الناصحون والمستشارون الانجليز وغيرهم من الاجانب الملتفين حوله أن يصرف عن سعة وألا يحرم نفسه مما تسوق إليه وتشتهيه ، وحشوه على الاستدانة حتى تكتمل فضول المأساة التي لا بد وأن تكون خاتمتها مفجعة .

وراح السلطان الغرير يزداد اقبالاً على مصاحبة رفقاء السوء من الأوروبيين على أمل أن يتمكن من ادخال أساليب الحياة الأوروبية إلى بلاده ولكن الأوروبيين أدخلوا إلى قصره زخارف المدنية وقصورها التافهة كالدراجات وألات قص الاعشاب ، والتصوير وولايات السجائر ، وصناديق الموسيقى والمشدات والثياب الحريرية لنسائه ، والقبعات الباريسية لمحظياته^(١) هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المغامرين والمحتالين الأوروبيين الذين كانوا يقدون تباعاً إلى القصر ومعظمهم من الدول التي تتمتع بامتيازات خاصة في المغرب . وكل واحد منهم يحمل معه بضاعة جديدة مشوقة ، وهدايا رخيصة مزخرفة ، طمعاً بالحصول على أموال السلطان وهذا ياه ، ناهيك عن الافكار المبتذلة التي كانت تعرض على مسامعه .

أما محظيات السلطان فقد ركضن وراء كل تلك المغربات برعونة وطيش فرحن يتبرجن بالثياب المنقشة ، ويتمتنين الدراجات ، ويتسابقن في

(١) راجع روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين ترجمة نقولا زيادة .

حدائق القصر لإدخال السرور على قلوب المتفرجين من ضيوف السلطان .
وكان يقال للسلطان المندesh ، بأن تلك الاساليب هي من مظاهر الرقي في
الحياة الاوروبية .

ولكن هذه المفاسد ما لبثت أن أحدثت هوة عميقة بين السلطان
وشعبه . بين سلطان لاه عابث وشعب متدين يتخلّى بالوقار والرزانة ، وبعد
وفاة خادمه أبو أحمد عين مكانه المولى شريف فجاء تعينه ضغطاً على إباهه .

إذ راح يزین له - كالشيطان - الفوائد المرجوة من الاقتراض ويحثه
على طلب المزيد منه من اموال الدول الغربية . في حين كان أبو أحمد ينهاه
عن الاقتراض .

ولكن السلطان في هذه الغمرة التي كان يظنها «اصلاحاً» ويحسبها
تحديشاً وتمديناً ، حاول اصلاح حالة بلاده المالية فاستبدل الضرائب
المتنوعة بضربيّة زراعية واحدة هي «الترتيب» ومع أن هذا الاجراء كان سليماً
في المبدأ غير أن نتائجه عادت وبالاً على السلطان ، إذ أثار بعمله هذا غضب
الاغنياء والفقرا على السواء وهكذا أخذت مكانة السلطان تتدحرج .

وسيطرت الفوضى على الشؤون الداخلية والخارجية في البلاد مما
حمله على التمادي بالاستدانة من الدول الأوروبية ، فصار الشعب يردد:
«ان السلطان يبيع بلاده إلى الكفرة» .

اضطراب الوضع الداخلي واحتجاف الاجانب (الريسوني)

وهكذا أخذت سمعة السلطان تتشوه بين ابناء الشعب ، وفي هذا
الوقت جاء من المنطقة الاسبانية أحمد بن محمد الريسوني وهو شريف حسباً
ونسبة ولكن مل مل صغره حياة الوقار والاستقامة فانضم إلى جماعة من
لصوص الماشية - الذين قبلوا زعامتهم معجبين بشبابه الغض ، ولم يلبث أن

اتقن أساليب الشر على نطاق واسع فراح يخطف ويقتل ، وكان كلما ازدادت قوته وثراؤه ، كثر اتباعه وعمت مصايبه ، حتى وقع في قبضته كل من فولتر هاريس مراسل التايمز اللندنية ، وصديق السلطان الحميم السرهاي مكلين الإيكوسي الذي كان قائداً للجيوش الشريفية - «الإنجليزي» .

وكان مكلين المذكور شخصية مرموقة في بلاطات السلاطين الثلاثة مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ ، وكان في الأصل ضابطاً صغيراً في الفرقة البريطانية المرابطة في جبل طارق ثم انتدب لمساعدة السلطان الحسن الأول فعينه قائداً للجيش المغربي .

فكان لحادث اختطاف هذين الأجنبيين أثر بالغ في نفوس السكان المغاربة كما أحدث ضجةً عالمية في الصحف وبلاطات ملوك أوروبا .

ولما خطف الريسوني برديكارس الشري الأمريكي . في طنجة عام ١٩٠٤ ارسلت الحكومة الأمريكية اسطولها إلى طنجة وقد عبر الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت عن سخطه في عبارته المشهورة «برديكارس حياً أو الريسوني ميتاً» .

وبعد خمسة اسابيع استعاد الرجال المخطوفان حریتهم بعد أن ابتز الريسوني من الولايات المتحدة فدية قيمتها ٧٠ الف دولار ، كما انتزع من السلطان عبد العزيز قراراً بتعيينه حاكماً للمنطقة المحيطة بطنجة وهكذا أصبح الريسوني يتمتع بنفوذ أقوى مما كان عليه ، فضلاً عن أنه أصبح بطلاً بنظر بعض الناس من المغاربة .

وتمادى الريسوني باقتراف الجرائم واعمال السلب والنهب حتى ضاق صدر السلطان فأصدر في عام ١٩٠٧ بلاغاً اعتبر فيه الريسوني خارجاً على القانون ، ولكن حياة الريسوني استمرت حتى بعد انتهاء حكم عبد العزيز

وكان وجوده من الاسباب التي عجلت بخلع ذلك السلطان العديم الحيلة .

أبو حمارة

ثم قام أبو «حمارة» وهو الجيلاني بن ادريس الزرهوني فادعى أنه الأمير الشريف محمد الأخ الأكبر للمولى عبد العزيز ، ثم راح يزعم بأنه من اصحاب الكرامات واجترار المعجزات ، مستعيناً بأساليب السحر السخيفة التي تدل على مهارة يدي الساحر ، دون أن يكون لهذه المهارة أي خلفية من نبوغ أو عبرية وهكذا وبهذه الاساليب السحرية راح يطوف بين القبائل ويسطير على عقول البسطاء وينغريهم بالالتفاف حوله . . حتى تمكّن أخيراً من قيادة جماعة أعلنوا العصيان المسلّح . . ولم يكتف بذلك بل احتل امساكة صغيرة جعل عاصمتها مدينة «تازا» وراح يهدّد مدينة فاس بالاحتلال . وكتب الوطني الجزائري المرحوم مصطفى بشير في كتابه «تقارير عن الوحدة العربية» الذي نشر في القاهرة عام ١٩٥٤ يقول : ان الفرنسيين هم الذين ايدوا «أبو حماره» وحرضوه على الثورة وأمدوه بالمال في منطقة الحدود بين الجزائر ومراکش » .

ثم ثبت بعد احتلال فرنسا للجزائر بأن الجنرال ليوتى كان يتحدث بصراحة تامة في رسائله عن القائدة المرجوة من استغلال «بو حماره» ويقال له أيضاً أبو حمراء ويقول (يجب مساعدته مالياً) .

وثمة إشارة طريفة إلى بو حمراء في الوثائق الدبلوماسية الألمانية التي تعود إلى هذه الفترة . عندما كان القيصر وليم الثاني يستعد لزيارة طنجة إذ زوده المستشار فون بلوف - وهو الرجل المسؤول عن هذه الزيارة - بتعليمات مفصلة بما يجب أن يقوله القيصر لممثلي السلطان عند تبادل التحيّات . وعلى سبيل المثال «تقول لو سألتم جلالتكم : من أين لبو حمراء

العون الذي يُمكّنه من المقاومة طويلاً؟ وإذا جاء الجواب من المندوب: لعله من فرنسا ، فإن التعليق الصحيح لجلالتكم يكون: أنه من الصعب أن تُرمي فرنسا بمثل هذه التهمة الشائنة»^(١) .

وهكذا يتضح أن فرنسا كانت تساند بو حمرة في اعتبار الدوائر الدبلوماسية الأوروبية . وقد ورد مثل هذا التأكيد في بعض رسائل المارشال ليوتى شيخ المستعمرات الفرنسيين .

ويختلف بو حمرة عن الرئيسونى بأنه بدأ اعماله كاتباً في مكناس ، ولما كان ضليعاً بالاجرام فقد راح يزور توقيع السلطان ، واستخدم السحر وراح يؤثر في البسطاء عن طريق معرفته بالقرآن والمسائل الشرعية .

وقد تمكّن بو حمرة من فرض سلطاته على شرقى المغرب ، وأما جنود السلطان الذين كانت رواتبهم دون ما يستحقون ، والذين لم يكونوا متخصصين لخدمة السلطان ، فقد انهزموا عدة مرات أمام قوات الرئيسونى وهذا سبب وجيه له قيمة من جملة الأسباب التي جعلت السلطان عبد العزيز عاجزاً عن توفير الأمان في البلاد .

كيف احتالت بيوت المال الأوروبية على السلطان عبد العزيز

في عام ١٩٠٣ زين السياسيون الفرنسيون للسلطان عبد العزيز محاسن الاقتراض من البيوت المالية لفك ضائقته المالية ، وأبدلت بيوت مالية فرنسية وبريطانية وأسبانية استعدادها لاقراضه ٨٠٠ ألف جنيه استرليني . ثم أقنعه الفرنسيون في السنة التالية أن يقترض مبلغاً جديداً أكبر من القرض السابق ليتمكن من تسديده . فاستدان مبلغ ٦٢ مليون و٥٠٠ ألف فرنك

(١) البرنس فون بيلوف في كتاب Deutschland Und die Macht carl Reissner Verlag . 1930 P249

وكانت فائده خمسة في المائة وهذه فائدة مرتفعة جداً في زمن كانت فيه بيوت المال تعطي قروضاً عادية بفائدة اثنين في المائة وأحياناً بواحد ونصف في المائة حسبما كان متبعاً في انظمة القروض الدولية . ولكنهم استغفلاوا السلطان الذي يجهل مثل هذه الأمور ، هذا مع العلم بأن «الربا» محروم في الشريعة الإسلامية . والمصارف الفرنسية التي افترضت السلطان يملكونها يهود وفرنسيون .

ولنقرأ الأن بيان لجان جوريش الاشتراكي المشهور القاه في ١٤ أذار «مارس» سنة ١٩١١ في مجلس النواب الفرنسي وجاء فيه :

إن أصحاب البنوك الفرنسيين احتفظوا باثني عشر مليوناً ونصف على أنها عمولة على القرض البالغ ٦٢ مليون و٥٠٠ ألف فرنك المشار إليها آنفاً وهذه العمولة هي غير الفائدة ، وكان كل ما قبضه السلطان من المبلغ المقترض ٤٨ مليون فرنك فقط .

ومن أجل ضمان دفع الفائدة على المبلغ بكامله أرغم السلطان على تخصيص ٦٠ في المائة من جميع الواردات الجمركية ووضعها تحت الاشراف الفرنسي . وفي سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٦ أغري السلطان بوجوب استدانة مبالغ صغيرة متعددة من فرنسا لشراء أسلحة وذخيرة ، وقد اشترطت فرنسا أن يتبع المغرب هذه الأسلحة من الشركة الفرنسية «كروزو» لا من السوق العالمية .

فرنسا تحرض القبائل على السلطان عبد العزيز

وتشير المعلومات التي نشرت في ذلك العصر أن فرنسا لم يكن باستطاعتها أن تصرف تصرفاً كهذا دون أن تستعمل وسائل الرياء ، ولكن حسبما يرى أحد المؤرخين: «أن هناك صلة وثيقة بين رغبة فرنسا بتزويد

السلطان عبد العزيز بالمال وارضاء شركة كروزو من جهة ، واستعداد القبائل المجاورة تماماً للحدود الجزائرية المغربية أن تلعب اللعبة التي كانت تديرها المالية الفرنسية وشركة كروزو معاً» وليس غريباً في مثل هذه الاحوال أن يكثر عدد المدعين للعرش المغربي . وبذلك تتضعضع سلطة العرش وتنهار ، ويضيف المؤلف نفسه قائلاً: لقد ثبت غير مرة من مصادر بريطانية حقيقة بالثقة ان إثارة القبائل على الحدود الجزائرية كان آخذاً بالتمادي وقد استمر إلى حين ، وكان ذلك جزءاً من سياسة السلطات الفرنسية في الجزائر^(١) .

مخاوف السلطان وتواطئه لدى بريطانيا

في عام ١٩٠٠ كتب السلطان عبد العزيز رسالة شخصية إلى الملكة فكتوريا وطلب من الوزير البريطاني المفوض أن يسلّمها شخصياً إلى الملكة العجوز . وقد اقترح عبد العزيز في رسالته على الملكة: أن تقنع الحكومة الفرنسية بوجوب تعين الحد النهائي بين المغرب والجزائر بحيث تعهد الحكومة الفرنسية ألا تتعدها» .

وقد نقل طلب السلطان إلى الحكومة الفرنسية ، فأكّد دلكاسه وزير الخارجية الفرنسي للسفير البريطاني بأن «الحكومة الفرنسية لا تنوى مهاجمة المغرب ونفى كل الاشاعات حول وجود خطط سرية أو غير قانونية» .

وبالرغم من كل هذه التأكيدات فقد استمرت الغارات والغارات المضادة على الحدود المغربية الجزائرية ، وكان السيد جان جورييس يقول: «إن دلكاسه قد خلق المسألة المغربية» لأن حوادث الحدود المصطنعة كان ممكناً تلافيها بفرض أقل قدر من المراقبة وبالصبر والحكمة ، وكان من

(١) انظر موريل: المغرب في السياسة الدولية ١٩١٢ ص ٣٨ - ٤٨ .

الممكّن إقامة علاقات سليمة ولكن سياسة الصبر والحكمة لم تكن تتلاءم مع الخطط الموضوعة لاحتلال المغرب .

وقد فسرت فرنسا ذلك بأن بريطانيا ، رغم أنها لم تكن ذات مطامع في المغرب مصمّمة - وهي الدولة الشريبة - على معارضتها أولئك الذين لهم مطامع في المغرب . ولم تكن بريطانيا مستعدة للتساهُل بأن تنشيء دولة قوية كفرنسا مكاناً لها على الشاطئ الذي يفصله مضيق ضيق عن حصنهَا في جبل طارق ، وقد لخصت بريطانيا سياستها في جملة واحدة أرسّتها حكومة جلالتها إلى ممثلها في طنجة سنة ١٨٤٥ تقول : «يجب أن يكون هدفنا الدائم أن نبذل كل ما في وسعنا في سبيل دعم حكم السلطان ، وأن نحول دون كل حادثة قد تؤدي إلى تعريضه لخطر جديد» .

وفي هذه الجملة القصيرة تأكيد وأصرار على أن يظل المغرب مستقلّاً وهو أمر واضح جداً .

ازدياد الضغط الفرنسي على السلطان عبد العزيز

وكانت سياسة الولايات المتحدة تقول : «اتركوا المغرب وشأنه» لأن السلطان الذي كان يخشى من التوسيع الفرنسي ، والاسباني عرض في سنة ١٨٧١ على القنصل الامريكي الجنرال فيلكس . ماثيوس أن يضع المغرب تحت الحماية الامريكية ، فكان جواب الخارجية الامريكية مؤكداً استعدادها للقيام بالمساعي الحميد ، لكنه أوضح أن وزارة الخارجية مضطرة لأن ترفض عرض جلالته بمنع الولايات المتحدة حماية بلاده^(١) .

(١) من أرشيف المفوبيه الأميركيه في طنجه «مجموعه الرسائل» ١٨٦٩ - ١٨٧٤ العدد ٣٠ في ٢٩ حزيران يونيو ١٨٧١ - والمجموعه من ١٨٦١ إلى ١٨٨٠ العدد ٢٢ آب / أغسطس ١٨٧١ .

ومع أن فرنسا اعلنت أن نواياها سلمية - وكانت تكذب بالطبع - فقد كان السلطان عبد العزيز يزداد قلقاً ، كلما رأى إشارات ودلائل تدل على عكس ذلك . ولما تسلم دلساسه وزارة الخارجية أخذت السياسة الفرنسية تسير بالاتجاه الخاطئ ، فذعرت الحكومة المغربية حتى اضطرت إلى أن تلجأ إلى حماية بريطانيا ، فقررت أن ترسل بعثة إلى لندن ، ولكن فرنسا «صادرت البعثة» في مكان ما وارسلت بدلاً منها بعثة للبحث في الأمور التجارية^(١) . هذا مع العلم بأن عملية المصادرات هذه تعتبر عملاً من اعمال القرصنة المكشوفة .

أما البعثة المغربية المصادرات فقد ارغمت على عقد معايدة سياسية جديدة مع فرنسا ، أعلنت فيها فرنسا «احتراهما لوحدة الامبراطورية الشريفية»^(٢) . وكانت فرنسا تكذب وتخدع ..

ولكن دلساسه وزير خارجية فرنسا كتب في ٢٧ تموز - يوليو - سنة ١٩٠١ ، إلى الوزير الفرنسي المفوض في طنجة يقول: «يمكن لفرنسا أن تكون إما أقوى أصدقاء المغرب أو أشد أعدائه عنفاً»^(٣) .

وبعد مدة قصيرة لخصت فرنسا سياستها بوضوح أكثر حسماً وردت في وثيقة أعدتها في السنة نفسها ممثل فرنسا في مدينة فاس ، للسيد دلساسه - جام فيها: أن خير سياسة هي احتلال وجدة «القريبة من الحدود الجزائرية» على أن تعلن فرنسا مسبقاً شروطها للانسحاب إلى قواuderها بالإضافة إلى ذلك ، فاني واثق من أن القيام بعمل في أوروبا ستكون له نتائج قوية لضمان سيطرة النفوذ الفرنسي على المخزن «أي الحكومة المغربية» .

(١) انظر مورييل في مرجعه السابق ص ١١ - ١٢ .

(٢) انظر مورييل في مرجعه السابق ص ١١ - ١٢ .

(٣) الكتاب الفرنسي الاصل ١٩٠٥ - ١٩٠١ ص ٢٠ .

فرنسا تمهد لاعلان الحماية على المغرب

وفي الفترة التالية قامت فرنسا بعمل دبلوماسي في أوروبا كان من أنشط أعمالها لإقامة حمايتها على المغرب . وقد سارت إلى هدفها بوضوح ومهارة دبلوماسية جعلت محاولات المفاوضين الآخرين تبدو وكأنها حركات هواة لا قيمة لها .

لقد عبّرت فرنسا بأمن المغرب لتبرر تدخلها أمام الدول الأوروبية والمجتمع والصحف الأوروبية فكانت على الشكل التالي :

منذ مطلع القرن العشرين بدأت أحوال المغرب بالتأخر وفقاً لسياسة فرنسيّة مرسومة ، لأنّه بدون هذا التدهور كان من العسير على فرنسا أن تفرض سيطرتها على المغرب ، وأن تمارس تلك السيطرة بشكل علني فاضح فراحت البرتغال وأسبانيا في أول الأمر تحتلان مرافقه - الأمر الذي أدى إلى انعدام الأمان في الداخل ، فاندلعت الثورات القبلية ضد السلاطين المتخاذلين ، ثم شاعت اللصوصية في البلاد ، وتلاها العصابة المتمردون الذين كانت تقوم بتوجيههم مرة أسبانيا وآخرى فرنسا .

ومع ذلك فقد كانت التجارة مع المغرب أمراً بالغ الأهمية بالنسبة إلى بريطانيا وفرنسا وأسبانيا معاً ، لأن المغرب كان يصدر الحبوب والخيول والجلود والفلين ويستورد الشاي والسكر مع أنه كان في القرون الوسطى مصدراً للسكر خصوصاً إلى بلاد الانجليز ، وكان يستورد أيضاً المنتجات القطنية .

وكان السلطان عبد العزيز يخشى من مجرد السماح لأي دولة أجنبية منفردة بالشرف على اصلاح البلاد ويعتقد بأن مسألة الاصلاحات الأجنبية تشبه «حصان طرواده» ولكن لم يكن يمانع بادخال تحسينات على الوضع

يسهم فيها عدد من الدول الأوروبية .

وقد أوضح السلطان عبد العزيز إلى دلكاسه وزير الخارجية الفرنسي في ٢٧ أيار سنة ١٩٠٥ إذ قال : ان اعيان المغرب لا يمكن أن يرضوا أن تقوم فرنسا بالاصلاحات في المغرب .

ولما احتاج السلطان عبد الحفيظ خليفة عبد العزيز إلى ضباط لتدريب جيشه لم يطلب ذلك من فرنسا بل وجه الطلب إلى المانيا لكي تبعث إليه بالمدرسين .

كيف ضمنت فرنسا عدم معارضته الدول الأوروبية؟

أما وقد فطن المغرب وقدر مطامع فرنسا تقديراً صحيحاً ، فإن الفرنسيين المتطرفين لم يضيعوا وقتهم في سبيل تخفيف مخاوف المغاربة ، بل أقدموا على العمل بجرأة ليربحوا إلى جانبهم الدول المفترض فيها أن تنافسهم ، وفي هذا الاتجاه صبت الدبلوماسية الفرنسية جهودها ونجحت لحد ما في سبيل القضاء على معارضته تلك الدول الأوروبية على الشكل التالي :

في ١ تشرين الثاني - نوفمبر - سنة ١٩٠١ ، وقعت فرنسا اتفاقية مع إيطاليا ، ضمنت بموجبها حرية العمل في المغرب لقاء اعطاء إيطاليا حرية العمل في ولاية طرابلس^(١) . إلا أن عناد بريطانيا كان عقبة كأداء في طريق المطامع الفرنسية ، والواقع أن السياسي الفرنسي أندريله تارديو ، شكا ، حتى في سنة ١٩٠٨ واثناء انعقاد المؤتمر الوطني الافريقي في باريس «من أن بريطانيا قد ظلت عشرين سنة وهي أعنف مناوىء لفرنسا في المغرب» .

وقد كان من حسن حظ الوزير دلكاسه أن وجد في الملك ادوارد

(١) التقارير السرية في المعاهدة الفرنسية الإيطالية حول ليبيا باريس ١٩٢١ .

السابع - المزواج - ملكاً يهمه تحسين العلاقات بين بريطانيا وفرنسا ، على أمل أن تخفف الصحف الفرنسية من حملاتها على الملك المزواج الذي كان عدم زوجاته بقسوة بالغة .

المعاهدة الفرنسية - البريطانية

لذلك أسفرت المفاوضات بين فرنسا وادوارد السابع على عقد معاهدة سنة 1904 التي اعتبرت أساساً لاتفاق ودي أما الجزء الخاص المتعلق بال المغرب في هذه المعاهدة ، فهو الاتفاق المتبادل الذي اطلقت بموجبه فرنسا لحليفتها الجديدة حرية العمل في مصر ، لقاء حرية مماثلة لفرنسا في المغرب . والمادة البالغة الدقة نصت على أن الحكومة البريطانية تعترف بأنه مما يطلب من فرنسا . . هو أن تحافظ على النظام في المغرب ، وأن تقدم المساعدة التي تلزم لتحقيق جميع الاصلاحات الإدارية والمالية والعسكرية^(١) .

ولم يكن السلطان عبد العزيز الوحيد الذي اكتشف التصرفات المصوحة دبلوماسياً ، بعد توقيع المعاهدة الفرنسية البريطانية ، فقد كتب هارولد نيكسون يقول : «إن توقيت الاتفاق الانجليزي الفرنسي أثار غضب السلطان والحكومة المغربية والتجار البريطانيين - الذين آلمهم التخلّي عن المغرب والغدر به» .

ثم كتب السلطان عبد العزيز كتاباً بعث به إلى الوزير البريطاني المفوض في طنجة قال فيه : إن المساعدة الفرنسية يمكن أن تقبل فقط فيما لو تعهدت بريطانيا بأن يغادر المستشارون الفرنسيون البلاد بعد اجراء

(١) الأوراق البرلمانية 1905 الفصل الثالث (٥ - 2348 لندن - المكتبة الملكية) .

الاصلاحات المطلوبة^(١)

وقال موريل: «مع أن فرنسا أكدت للمغرب علينا في سنتي ١٩٠١ و١٩٠٢ في مناسبات عديدة ، أنه ليس لها أقل رغبة في تهديد استقلاله أو وحدة الدولة» «ومع أن فرنسا وبريطانيا كانتا قد وعدتا المغرب والعالم علينا أن تحافظا على استقلال المغرب ووحدته . . فقد وقعتا - في الواقع ، بشكل سري ، اتفاقاً ينص على هدم استقلال المغرب وتمزيق وحدته . . .^(٢) .

ولم تلق سياسة دلكاسه وزير الخارجية الفرنسية تأييداً عاماً في فرنسا ، ويفوكد ذلك خطاب القاه جان جوريس عام ١٩٠٦ جاء فيه: «أن دلكاسه خلق المسألة المغربية خلقاً مصطنعاً لم تكن له به حاجة ، إذ كان ثمة فشلة مؤيدة لحملة عسكرية ، فشلة جنرالات فرنسيون يريدون التقدم والترقي ، وعقداء يريدون أن يصبحوا جنرالات ، ورؤساء يريدون أن يصبحوا عقداء ، وكان كل هؤلاء يفكرون بحرب صغيرة أو نزهة وراء الحدود . . . لاحتلال المغرب - هذه كانت بعثة المجد»^(٣) .

وفي بريطانيا حمل رئيس الوزارة السابق اللورد روز بري على المعاهدة البريطانية الفرنسية ، في خطاب القاه في ١٠ حزيران في كويتر هول «قاعة الملكة» في لندن مؤملاً «ألا تنضم الدولة التي تسيطر على جبل طارق إذا ما سلمت المغرب إلى دولة خرibia كبيرة» .

وقد وجه الكسندر باول سخرية لاذعة للذين وقعوا المعاهدة فقال:
«ان الدبلوماسيين المهرجين في وزارتي الخارجية البريطانية والفرنسية

(١) هارولد نيكسون - سير آثر نيكسون . بارت ١٩٣٠ ص ١٤٧ .

(٢) موريل : المصدر الأسبق المذكور ص ٦١ .

(٣) فقرة منقلة عن صحيفة الاستقلال المغربية العدد ٢٣ سنة ١٩٥٢ .

الذين رتبوا «عملية السطو الضخمة» لم يجدوا ثمة حاجة لاستطلاع آراء الشعوب التي يمكن أن تؤثر عليهم تأثيراً مباشراً .

أما الحقيقة فهي أن المغاربة وجدوا من الصعب عليهم أن يهضموا «الغدر البريطاني» .

المخاوف الإسبانية من المعاهدة

وقد احتوت اتفاقية سنة ١٩٠٤ «بنوداً سرية»^(١) انتقدتها أولئك الذين غالوا في امتداح الارتباطات العامة . إذ أنه بينما اعلنت الحكومة الفرنسية في المادة الثانية من المعاهدة العلنية أنه «لم يكن لها نية في تبديل الحالة السياسية الراهنة في المغرب» فقد قدمت الحكومة الفرنسية نفسها في البنود السرية ، موانئ البحر المتوسط المغربي لاسبانيا . وقد أكدت فرنسا هذا في اتفاق فرنسي - إسباني وقع في ٣ تشرين الأول - أكتوبر - سنة ١٩٠٤ ، ولم يعلن عن الاتفاق السري هذا إلا بعد مرور سبع سنوات عندما نشرته جريدة لوماتان الباريسية .

إن اهتمام إسبانيا بالمغرب ، كان ابعد مدى من اهتمام بريطانيا وفرنسا ، لأن الإسبان كانوا يعتبرون المدينتين مليلاً وبنته ، المغاربيتين ، جزءاً من الأرض الإسبانية ، كما كانوا يظنون أن المغرب منطقة نفوذ لهم .

ومع ذلك فإن المنافسة البريطانية - الفرنسية ، ملأت نفوسهم رعباً خصوصاً عندما عرفوا في سنة ١٩٠٤ ، أن بريطانيا وفرنسا كانتا تتفاوضان لعقد معاهدة بشأن المغرب ، خفية عن إسبانيا .

فلما اعلنت محتويات المعاهدة تحول رغب الإسبان إلى سرور ، فصرح انطونيو مورا رئيس وزراء إسبانيا قائلاً: «منذ سنة ١٦٠٨ كانت

(١) الاوراق البرلمانية سنة ١٩١١ الفصل الثالث (C.D - 5969).

السياسة الإسبانية نحو إفريقيا تقوم على أساس العداء البريطاني الفرنسي ، وقد زال هذا العداء الآن ، وكل ما تبقى هو اقتسام أراضي الحماية في المغرب ، وهي الأراضي التي ضممتها فرنسا لنفسها وهذا الاقتسام هو الذي نصّ عليه الإتفاق الفرنسي الإسباني سنة ١٩٠٤^(١) .

وقد وعدت الحكومتان الفرنسية والإسبانية في التصريح العلني بأن تحترما وتحافظا «على وحدة الامبراطورية المغربية في ظل سيادة السلطان» أما المادة الثالثة من الاتفاق السري فانها تنص على ما يلي : «إذا أصبح استمرار الوضع السياسي في المغرب والحكومة الشريفية متعدراً ، أو إذا لم يعد بالامكان الحفاظ على الحالة الراهنة ، إما بسبب ضعف الحكومة أو بسبب عجزها المستمر عن فرض القانون والنظام أو لأي سبب آخر يقبله الفريقان - ففي هذه الحالة يصبح من حق إسبانيا أن تتمتع بحرية حفظها بالعمل في نطاق الأراضي التي حدتها المادة السابقة ، هذه الأراضي التي تكون منها منطقة نفوذها^(٢) .

ووردت عبارة «لأي سبب آخر» اعطت فرنسا وإسبانيا حق تغيير الحالة الراهنة . فقد جعلنا من نفسهما الحكم الأوحد في مستقبل المغرب ، ومن ثم كان لهما أن تقررا الوقت الذي يمكن فيه أن يُقضى على استقلال المغرب» .

وهذه أمور مرعبة لم تخطر ببال الشياطين - أخوان المستعمرين !

ولم يكن برلمان بريطانيا والجمعية العمومية في فرنسا ، حتى ولا برلمان إسبانيا ولا شعوب الدول الاستعمارية الثلاث ، يعرفون شيئاً عن تلك

(١) انظر: البرت موسى: (المحادثات الفرنسية - الإسبانية حول المغرب) صحيفة الموند (Le MONde) ١٠ أيلول / سبتمبر ١٩٥٤ .

(٢) وثائق دبلوماسية حول القضية المغربية (١٩٠١ - ١٩٠٥ - ١٩٠٧) رقم ١٨٧ .

الاتفاقات السرية التي خوّلت كل من فرنسا وبريطانيا وأسبانيا حق القضاء على الاستقلال المغربي ، وفي الواقع أنه لم يكن للجمهور ولا للبرلمانات أي سبب يدعوها إلى الشك بوجود قرارات سرية بعيدة الأثر . و حتى بعد عقد المعاهدين السريتين مع بريطانيا وأسبانيا أكد رئيس الوزراء روفيه للسفير الألماني في باريس ، في ٨ تموز - يوليو - سنة ١٩٠٥ ، بأن حقوق فرنسا في المغرب ، متسقة تماماً مع مبادئ سياسة السلطان واستقلاله ووحدة أميراطوريته .

وهكذا كانوا يُعَهِّرون سياساتهم بالنسبة للمغرب كقراءة وليس كحكومات لدول لها مراكز دولية يفترض أنها مراكز محترمة .

وقد استمرت الأسطورة القائلة بانعدام وجود خطة للاحتلال أو حتى إنشاء حماية عند أي إنسان ، حية طوال المدة التي ظلت فيها البنود السرية سراً مُغلقاً .

المخاوف الألمانية

وفي ٢٠ حزيران - يونيو - سنة ١٩٠٧ ، كان قيصرmania وزیر فرنسي سابق للحربيّة والداخلية - وهو عضو بارز في «الجنة المغرب» التجارية الفرنسية ، يتناولان طعام العشاء على يخت القيصر الألماني قال السيد اتيان «إن المغرب مضطرب دوماً هو جار لا يتحمل للجزائر ، فسأل القيصر: إذن . . . احتلال؟» فأجاب الآخر لا ليس احتلال ، لأن ذلك يحتاج إلى ١٥٠ ألف جندي على أقل تعداد . فسأل القيصر ثانية: «حماية إذن» فكان الجواب: لا ليس على غرار ما تم في تونس ، ولكنه مجرد نفوذ أديبي بحيث يمكن تقديم النصيحة اللازم ^(١) .

(١) البرنس فون بيلوف ١٩٣٠ - مذكرات سياسية ألمانية ص ٢٤٩ .

ولما فضحت الاتفاques السرية أخيراً ، قامت بعض الجماعات حتى في فرنسا باتهام الحكومة الفرنسية بالخيانة والخداع ، فألقى الشيخ البارون دستورنل دوكونستان ، في اجتماع مجلس الشيوخ في ٦ شباط سنة ١٩١٢ البيان التالي :

«ان البرلمان الفرنسي ظل يجهل هذه السياسة على أساس لا يغتفر من الخداع الخلقي ، إن لم نقل الخداع الدستوري . . . لماذا اعلن البرلمان الفرنسي نصف الحقيقة فقط؟ لماذا لم يتع له أن يرتاب في أن هذه الترتيبات التي كانت ذات بنود سرية تكملها وتصححها؟ إن هذه اللعبة المزدوجة أمام البرلمان والعالم تجعل منها من الناحية الخلقية أساءة استعمال للثقة . . . إن الذي عرفه الجمهور وأيده هو معاهدة صداقة بيننا وبين إنجلترا ، تعرف بحرية العمل السياسي في المغرب بالنسبة لنا وتصرح أيضاً ، بأننا نعتزم احترام وحدة تلك البلاد ، ولكن الجمهور كان يجهل أنه في الوقت نفسه ، وعلى أساس بنود مناقضة لذلك أخفيت عنه ، قد دبر أمر تقسيم المغرب بين فرنسا وأسبانيا . المغرب نفسه الذي ضمنا وحدته ، فقد كان ثمة سياسة عدل وانصاف وهي السياسة التي لم تتبع ، وسياسة تدابير سرية تفرض الحماية وتقسيم المغرب» .

هذا الخطاب الذي يدين الحكومات الفرنسية والبريطانية والاسبانية لا يحتاج إلى تعليق . . وبالرغم من أنه خطاب موجز ولكنه جامع للاتهام والنعوت البذيئة التي استحقتها تلك الحكومات الثلاث - التي كانت في الحقيقة حكومات قراصنة لا تشرف بلادها .

مؤتمر الجزيرة الخضراء

أن مؤتمر الجزيرة الخضراء ارتبط ارتباطاً وثيقاً بوحد من الأعمال

الدبلوماسية الشهيرة في مطلع هذا القرن ، وقد يكون السلطان عبد العزيز هو الذي دعا لعقده بايعاز من الرئيس ثيودور روزفلت ، ولكن الرجل الذي يرجع إليه أمر عقد المؤتمر فعلاً وإن يكن قد تم ذلك بقصد أو بدونه - فهو فيصر المانيا .

إذ لم تكن سنة ١٩٠٥ تحل ، حتى كان القيصر ومستشاره فون بيلوف يعملان على فرض أن فرنسا تعتمد اجراء تغيير في وضع المغرب . وان المصالح التجارية الالمانية - في المغرب - ستعرض لخسائر لا تقدر ، وقد أراد فون بيلوف أن يوجه إنذاراً إلى فرنسا فأقنع القيصر بزيارة طنجة .

فيصر المانيا في طنجة

في ٣١ أذار - مارس - سنة ١٩٠٥ ، نزل وليم الثاني فيصر المانيا إلى البر في طنجة ، وهناك استقبل رسول السلطان الخاص مولاي عبد الملك عمُ السلطان عبد العزيز ، فحياه القيصر قائلاً: «أني ازور سلطان المغرب ، الملك المستقل . وانني آمل أن يظل المغرب الحر بقيادته الحكيمه منفتحاً لتنافس سلمي بين الدول أجمع ، بدون احتكار أو ضم ، وعلى أساس المساواة التامة ، إن الغاية من زيارتي هي اعلان تصميمي على عمل كل ما يوسعى للمحافظة على مصالح المانيا في المغرب محافظة فعلية . إنني اعتبر السلطان ملكاً مستقلاً استقلالاً تاماً . وانني أرغب في الوصول إلى تفاهمن معه بالذات حول خير الوسائل التي يمكن أن تتحقق مثل هذه الغاية»^(١) .

كان القيصر وليم الثاني متاكداً من وجود الاتفاques السرية بين بريطانيا وفرنسا وأسبانيا ، لذلك أراد أن يوضح الدول الثلاث المتآمرة على المغرب

(١) هذه المخاطبة نقلها موريل في مرجعه السابق ص ١١٠ .

توبيخاً قاسياً وبصورة علنية . وقد سرّ هذا التوبيخ المغاربة ، وبعض السياسيين الفرنسيين الذين كانوا يرون رأي القيسير ، وكان يُعيظهم أن تُشوه سمعة فرنسا بـ مغامرات قرصنة استعمارية وقد عبر السيد أوغسطين برونو عن رأي هذه القلة من الفرنسيين ، عندما قال في مؤتمر شمال إفريقيا الذي عقد في باريس : «إننا نريد مغارباً حراً مستقلاً كما قال الامبراطور وليس في طنجة . . . كما أنها معنيون بـ لا توطد أي دولة أقدامها في المغرب . وليس معنى ذلك أننا نريد أن نوطد نحن أقدامنا في المغرب» (كتب ذلك موريل) .

إنَّ زيارة القيسير للمغرب روعت باريس ولندن ومدريد ، وصار الحديث المتداول في صالونات هذه المدن الثلاث يشم عن خشية الناس هناك من أن يصبح المغرب سبيلاً لنشوب حرب بينmania وفرنسا . . ويا ليتها نشب . فقد كانت الأجواء السياسية مهيبة لذلك .

وكان رد الفعل العنيف في الرأي العام الفرنسي لزيارة القيسير لطنجة مؤكداً أن المانيا تستريب بـ وجود مطامع فرنسية في المغرب ، وكان السلطان عبد العزيز يؤيد شكوك القيسير وتأكيدياته ، وفي هذا الجو المشحون بالحملات والتوقعات افتقررت المانيا على السلطان عبد العزيز العمل على عقد مؤتمر دولي لـ تبحث فيه اصلاحات المغرب من قبل الدول المعنية بالأمر جميعها حتى لا تنفرد فرنسا بـ عمل عسكري .

ومن هنا يتضح أن فكرة عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء ، كانت سليمة في أول الأمر . . ولكن المفاوضات بين الدول الأوروبية عكست الأمور لغير صالح المغرب .

وكانت فرنسا لا ترغب في عقد المؤتمر لـ ثلاثة يكون في مقرراته ما يتعارض مع مقرراتها السرية ، لأن مؤتمراً جاماً من هذا النوع سوف يشدد

على تثبيت استقلال المغرب . كما سيؤكد الحقوق المتساوية لجميع الدول فيه .

وقد رفض دلకاسه ذلك رفضاً باتاً ، ولما أُجبر دلکاسه على الاستقالة فإن دوفييه خليفته في وزارة الخارجية ، استعد لقبول المقترنات الألمانية ، ولكنه لم يكن متৎمساً لوضع قضية المغرب بين يدي مؤتمر دولي^(١) .

وجاء التأييد لرفض فرنسا فكرة عقد المؤتمر من بريطانيا - وقد عبرت عنه جريدة التايمز - وهي جريدة الاستعمار البريطاني - في ٩ حزيران ، فوصفت «التايمز» المؤتمر بأنه إهانة وتسليم ، وكلما أمكن التخلص من المسألة تخلصاً سلبياً كان ذلك أفضل » وبعد يومين كررت الصحيفة الاستعمارية نفسها قولها : «أن فكرة المؤتمر يجب ألا يفكر بها إطلاقاً» .

واستطاع القيصر أن يقنع الرئيس روزفلت بأن يسمع الناس صوته فأحب روزفلت أن يقوم بعمل لمنع نشوب حرب محتملة . فألْعَنَ على فرنسا بقبول المؤتمر فقبل الفرنسيون بتردد .

وفي ٨ تموز تبادلت الدولتان المذكort ، التي قبلتا بموجبها مبدأ انعقاد المؤتمر على أساس الاحتفاظ بسيادة المغرب واستقلاله^(٢) .

رؤساء الوفود في مؤتمر الجزيرة الخضراء

لذلك جاء اجتماع الجزيرة الخضراء مناسبة دولية رائعة ، فقد مثل الدول الائتنى عشرة بالإضافة إلى المغرب ، جماعة من أبرز الدبلوماسيين فمثل إسبانيا دوق المافادور وزير خارجيتها ، ومثل فرنسا ديفوال وزيرها في المغرب ، وهو تمثيل ضعيف كما يلاحظ ، ومثل إيطاليا الفيكونت فينوستا

(١) جراهام ستيبوارت .

(٢) «وثائق دبلوماسية عن المغرب - ١٩٠١ - ١٩٠٥ ، رقم ٢٨٧» .

وزير الخارجية في وزارة كافور ، ومثل المانيا البارون فون دا دوفيتز ، ومثل بريطانيا سير آرثر نيكولسون «اللورد كامروك فيما بعد» ومثل الولايات المتحدة سفيرها هنري هوايت .

وكان رئيس الوفد المغربي محمد الطريس ، وكان قد تجاوز الثمانين من عمره وكان متخففاً ويشعر شعوراً داخلياً بأن كل مندوب يأمل أن ينال كسباً على حساب المغرب . لذلك كان يحسن بأنه غريب في ذلك الجو وقد قال كارلو سفورزا أحد اعضاء الوفد الايطالي «ان محمد الطريس كان متفرزاً لأنه اضطر إلى إضاعة وقته في صحبة هذا العدد الكبير من الكفرا» .

حياد الولايات المتحدة وروسيا

كانت الولايات المتحدة وروسيا الدولتين الوحدين اللتين يمكن اعتبارهما بعيدتين عن المطامع . وكان يقلق فرنسا أن تجري الرياح بما لا تشتهي سفنها ولكن المانيا كانت تدرك أن مكانتها وحقوقها الاقتصادية في المغرب معرضة لكثير من المتاعب ولم تكن بريطانيا محايدة ، إذ أعلن السر ادوارد جراري الذي تولى وزارة الخارجية حديثاً: أن الغاية الرئيسية هي مساعدة فرنسا على السير في خطتها^(١) .

ويبدو لحد ما أن المغرب نجا في هذا المؤتمر من بين اشداء المؤتمرين بأعجوبة ولكن دون أن يعني أي مكسب ، فقد تقرر أن تنشأ قوة بوليسية فرنسية - اسبانية ، وهذا تدخل مباشر في شؤون المغرب ، وبينك مغربي للدولة تحت اشراف دولي كما بحثت مشاكل الضرائب والجمارك ، وأقر مبدأ التجارة بالمساواة لجميع الدول الممثلة في المؤتمر ، والقرار الوحيد الهام هو التأكيد على سيادة السلطان واستقلاله ، ولكن اتفاقيات سنة

(١) «هارولد نيكولسون ص ١٧٥» .



أحد الأحياء الشعبية في مدينة طنجة المغربية

نتائج المؤتمر

لقد كان مؤتمر الجزيرة مظاهرة كبرى للدول الاوروبية للتدخل في شؤون المغرب ، وتقاسم المرابع الناتجة عن ذلك التدخل ، وفرض سيطرتها على الحياة الاقتصادية والمالية والجماركية في ذلك البيت المغربي

الذي أصبح في عهد السلطان عبد العزيز أو هي من خيوط العنكبوت .

وفي هذا المؤتمر العجيب الغريب أيضاً ازداد التقارب بين بريطانيا وفرنسا وروسيا ، بعد أن جروها إلى ذلك المستنقع الدولي الخبيث الثن ، وفي الوقت نفسه ضعف التحالف القديم بين المانيا والنمسا وإيطاليا بسبب انحراف إيطاليا ، أما الدولتان اللتان انتصرتا فهما ببريطانيا وفرنسا .

وقد لخص اندريله تارديو الذي ولّي رئاسة الوزارة الفرنسية فيما بعد أعمال المؤتمر بدهاء استعماري فقال : إذا رغب راغب في تحديد التغيير الذي حصل ، فيمكن القول أن الاتفاق الودي انتقل إلى مؤتمر الجزيرة الخضراء من حالة السكون إلى الحالة الديناميكية ، ولكن هارولد نيكسون وهو الخبير الأبعد نظراً في هذا الموضوع قال : إن نتائج المؤتمر كانت في غايةسوء لأوروبا والحقيقة أن المؤتمر لم يعد بأي نفع على المغرب ، لأن المغرب - كما ثبت فيما بعد - دفع جميع النفقات .

وقد تابع الرئيس ثيودور روزفلت المشاورات باهتمام بالغ طيلة انعقاد المؤتمر ، وقد تدخل شخصياً في مرات كثيرة ، ومع أن الكتاب الفرنسيين قللوا من شأن الدور الذي لعبته الولايات المتحدة ، فليس بالامكان إنكار الواقع - وهو أن الولايات المتحدة كان لها القول الفصل فقد تدخلت لأول مرة في الشؤون الاوروبية إذ قال روزفلت لأحد أصدقائه مرة أنه في رأيه كان لموقف الولايات المتحدة الملطف الأثر الكبير في منع قيام الحرب بين المانيا وفرنسا بسبب المغرب .

وهذا معناه أن روزفلت كان يلطف المواقف بين الدولتين المتناحرتين على حساب المغرب .

قرارات المؤتمر وغاياته

إن قرارات مؤتمر الجزيرة التي وقعت في نيسان عام ١٩٠٦ كانت تقوم على مبدأً مؤلف من ثلاثة أسس: سيادة السلطان واستقلاله ، ووحدة ملكه ، والحرية الاقتصادية بدون تمييز .

ومع ذلك فقد تردد السلطان في بادئ الأمر فلم يرغب في التوقيع على المقررات ، ولكن رغبة في اقناعه ، فقد أرسل وزير إيطاليا المفوض ، وهو عميد الهيئة الدبلوماسية يومذاك في طنجة ، يحمل إليه رسالة خاصة من الملك فكتور عمانوئيل - ملك إيطاليا - أعلن فيها الملك الإيطالي باسم الدول الائتلاف عشرة المشتركة في المؤتمر ، «بأنَّ تَبَيَّنَ القرار العام بكلامه يزيد في مقام جلالتكم رفعةً ومقاماً ويضيف خيراً لا يقدر إلى امبراطورية جلالتكم» وأخيراً صادق السلطان عبد العزيز على القرارات في ١٨ حزيران عام ١٩٠٦ .

وسواء كان الملك عمانوئيل الإيطالي جاداً في نصيحته للسلطان عبد العزيز أو متذابها ، أو ساذجاً غير مطلع على نوايا فرنسا فإنه قد غش السلطان وخدعه .

لأن فرنسا أرادت من «سيادة السلطان» وهي فقرة خبيثة خداعاً ، أن تبقى له هذه السيادة عندما تتمكن فرنسا من ضمه إليها ضد شعبه ، لتقول في المستقبل أنها تحمي السلطان ومقامه واستقلاله - أي استقلال السلطان وهذه الكلمة مطاطة تعني عدم السماح بقيام أحزاب في الدولة المغربية ، أو حكومات حزبية للاشراف على تنفيذ سياسة الدولة الصحيحة بعيداً عن مؤامرات فرنسا وتدخلها .

أما فقرة «وحدة ملكه» فإن فرنسا كانت تريد أن تمنع أي تدخل من

قبل الدول المنافسة لها لاقطاع اجزاء من تلك «الوحدة» الخاضعة تحت اشرافها . وفقرة «الجريدة الاقتصادية» تعني ابقاء الاقتصاد المغربي مفتوحاً للتجارة الفرنسية ، والدولية على حد سواء طالما كانت سياسة الافتتاح الاقتصادي تزيد في الدخل الجمركي «المرهون» لفرنسا .

أما بشأن القرارات السرية لعام ١٩٠٤ ، التي لم تكن الدول الموقعة على قرارات المؤتمر تعرف شيئاً عنها - باستثناء فرنسا واسبانيا وبريطانيا - فإن الضمادات التي اعطيت للمغرب في مؤتمر الجزيرة كانت تافهة قليلة القيمة . والشيء الوحيد الذي حال دون أن يكون للقرارات قيمة اطلاقاً هو أنها أصبحت على مدى خمسين عاماً تشكل براءة للمغرب بالنسبة للقانون الدولي ، حتى أن معاهدة الحماية المكتوبة عام ١٩١٢ لم تحل محل تلك القرارات ، ومع أن فرنسا واسبانيا قد سمع لهما بموجب القرارات بأن تزودا قوة البوليس المغربية المستحدثة بالمدرسين الذين كان على رئيسهم أن يكون ضابطاً سويسرياً من الجيش السويسري النظامي ، فإن فرنسا لم تحصل على امتيازات خاصة ذلك أن الدول الموقعة جميعها على القرارات كانت تتمتع بحقوق متساوية في المغرب .

ولما وقع المندوبان الفرنسيان ديفولي وروجين القرارات بالنيابة عن رئيس الجمهورية الفرنسية ، وعدا بأن تتحترم بلادهما سيادة المغرب ووحدته وأن تمنع عن الادعاء بأي امتيازات خاصة .

ولكن الورقة التي كانت فرنسا متأكدة من أنها ستلعب بها في المستقبل الدور الأول في المغرب هي : الإشراف والهيمنة على السلطان فإذا تمكنت من وضعه تحت إرادتها وحمايتها - فيما لو ثار الشعب المغربي ضده - فإنها عندئذ ستعمل على الانفراد بشروق المغرب ومقدراته الاقتصادية .

التدخل الفرنسي السافر واحتلال الدار البيضاء

في السنة التالية لمؤتمر الجزيرة الخضراء تحركت الأصابع الفرنسية لإثارة الفتنة والاضطرابات في البلاد لخلق مبررات التدخل العسكري ففي ٢٢ أذار - مارس - سنة ١٩٠٧ ، قتل الدكتور موشان في مراكش الواقعة في جنوبى البلاد ، فوجدت فرنسا في مصرعه سبباً يحثها على التدخل عسكرياً ، فاجتازت قواتها الحدود المغربية من الجزائر ، واحتلت مدينة «وجدة» في شمال شرقى المغرب .

وبنفس الطريقة الآنفة الذكر وقعت حادثة أخرى في مدينة الدار البيضاء الواقعة على شاطئ الأطلسي ، حيث كانت شركة فرنسية - إسبانية قد سبق لها أن نالت امتيازاً لأعمال إنشائية تتعلق بالمرفأ والسكك الحديدية ، رغم معارضة الوطنين من أبناء البلاد والذين يكرهون الأجانب ، فقتل الجمهور الغاضب تسعة من عمال الشركة . ثلاثة من الفرنسيين وثلاثة من الإسبان وثلاثة من الإيطاليين ، هذه الجريمة «ذات اللثائيات» لا يمكن بأي حال إلا أن تكون مدبرة لأن القتلى هم من رعايا الدول التي عقدت الاتفاقية السرية . وكانت غاية مصممي المؤامرة ، إثارة الدول الثلاث المعنية ، فأخذت فرنسا عملية الانتقام على عاتقها فضربت الدار البيضاء بالقنابل من البحر ، في عملية مرتبة اقتضت أن تكون البارجة الفرنسية «الجليل» موجودة قبلة الساحل ، فأنزلت السلطات الفرنسية جنوداً فرنسيين احتلوا المدينة ومنطقة الشاوية الداخلية ، وقد صرخ السيد أوغسطين برنار في السنة التالية في مؤتمر إفريقية الشمالية الذي عقد في باريس : «أن تهديئة الشاوية قد أدى إلى أسالة الكثير من الدماء» دماء المغاربة طبعاً !

ويذكر في هذه المناسبة أن السلطات المغربية كانت تجهل جهلاً تاماً

المؤامرة المدبرة لإنزال الجنود الفرنسيين من البارجة الفرنسية «الجليل» لذلك نزلت القوات الفرنسية ، تحت حراسة الجنود المغاربة الذين أرسلهم حاكم الدار البيضاء مولاي الأمين ، ولما وعد مولاي الأمين بإعادة النظام - بعد الإنزال - أجابه الكونت دي سانت أولير الوزير الفرنسي المفوض بالوكالة في طنجة قائلاً : «لتفرض أن النظام يمكن أن يعود من تلقاء نفسه أو بفضل تدخل الحكومة المغربية ، فإن مثل هذا التدخل لا يضمن إنزال العقوبات اللازمة . . . لأن ردع المعتدين - أي المغاربة - لا يمكن أن يتم بفعالية إلا بوسائلنا الخاصة . حتى قبل الحصول على الترتيبات»^(١) وهكذا وقع حاكم الدار البيضاء في الفخ المنصوب وهو معصوب العينين .

وفيما بين عامي ١٩٠٤ و ١٩٠٦ احتلت فرنسا مراكز بشار وقرطاسه وبركنت ، كما سيطرت على الهضاب العالية والمشرفة على مدينة «الملوية» وتذرعت لهذه الحملة بحجج أن عاملين واجهتا تأثيرات خرقاً الحدود ، ولأن السلطان عبد العزيز استقبل زعيم ثورة الجنوب «ماء العينين» وغير ذلك من الأحداث التي جرت في طنجة والصويرة ضد الفرنسيين . ومقتل الدكتور موشان الفرنسي .

احتلال الرباط

وبعد حادث احتلال الدار البيضاء احتلت القوات الفرنسية مدينة الرباط ، وطلبت فرنسا من السلطان تعويضاً قدره ستون مليوناً من الفرنك ، وأضافت إلى ذلك فاتورة بقيمة ٦٩,٦١٣ فرنك تعويضاً على الأضرار التي لحقت بالتجار الفرنسيين أثناء الحملات التأديبية التي قامت بها القوات الفرنسية ضد المغاربة .

(١) فكتور برتى: أحداث الدار البيضاء في شهرى أغسطس وسبتمبر صدر في عام ١٩٥٣ ص ١٨ .

وفرض السلطان عبد العزيز ضرائب جديدة ثقيلة ليتمكن من جمع جزء من التعويض المطلوب ، وقد اعتبر الشعب المغربي تلك الضرائب مهينة وفاحشة ومحطة بالكرامة فاندلعت الثورة إثر ذلك مباشرة .

لقد سقط السلطان عبد العزيز ضحية للأوصياء والمستشارين الأجانب والحاشية الانتهازية التي كانت تعزف على قيثارة مصالحها الشخصية ، فخدعوه جميعاً بظواهر المدنية الأوروبية البراقة ، والإباحية الفرنسية المخلة بالأخلاق ، وزينوا له عقد القروض لصلاح مرافق الدولة ، فوقع في أخطبوط المحتالين الفرنسيين من أصحاب البنوك الذين جعلوا من السلطان الشاب جسراً لابتزاز أموال الشعب المغربي ، حتى أوقعوه في شرك الديون ، ثم سلّت فرنسا عليه سيفها لاحتلال بلاده العظيمة ، ففي عهد هذا السلطان المنكود الحظ الضعيف المتخاذل فرضت على المغرب معاهدة الجزيرة الخضراء القدرة ، التي أدت إلى احتلال فرنسا لجزاء من أراضي ومدن المغرب . لذلك كان عهد عبد العزيز تتمة لعهود الانهيارات المغربي السابقة . . .

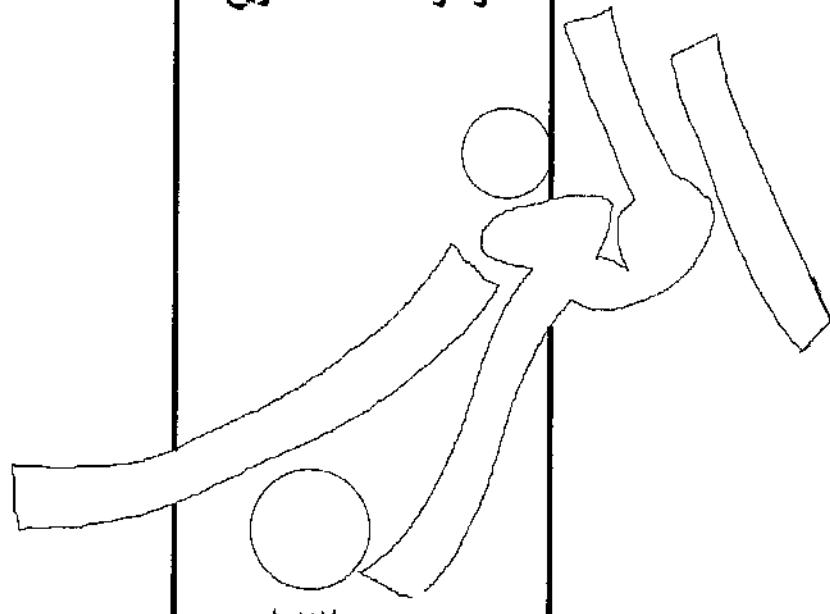


750



السلطان عبد الحميد

الموسوعة العامة للتاريخ



والأندلس

الفصل

السابع

عشرين

السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول

١٩١٢ - ١٩١٠

أثارت الهجمة الفرنسية الاستعمارية الشرسة على المغرب كواطن الشعور الوطني - ذلك الشعور - الذي التهيب فجأة وراح يتصاعد منه لهيب الثورة المغربية الوطنية على المحتلين الفرنسيين وحلفائهم الأوروبيين اللذدين ، والسلطان عبد العزيز الضعيف الواهن ونسائه ومحظياته اللواتي تفرنجن قبل الأوان .

ولكن المهم هو السلطان عبد العزيز الذي برهن بعد تخاذله وسقوطه في شرك المؤامرات الدولية بأنه لم يكن صالحاً للملك ولا كفؤاً للمسؤولية العظمى التي القيت على كاهليه الواهنين - ولا سيما بعد الاتفاقيات السرية والعلنية التي سبق أن عقدتها فرنسا مع بريطانيا وایطاليا وزوّدت بموجبها مناطق الاحتلال والنفوذ في شمال افريقيـة من المغرب الأقصى إلى مصر .

ولم يكن شعور الأسرة العلوية المالكة بأقل من شعور الشعب المغربي ثورة وتأججاً . فالشعب المغربي أدرك بعد فوات الأوان أنه كان مخدوعاً ،

وأن السلطان عبد العزيز لم يكن يصarchه ويطلعه أولاً بأول على ما يقوم به ، وعلى ما يجري من أحداث نتيجة لتورطه في احابيل مستشاريه الاجانب الذين جرّوه جراً إلى القبول بالأمر الواقع .

وكان أول من قاد الثورة ضد عبد العزيز أخيه عبد الحفيظ نائبه وعامله في مراكش ، فانتفض معلناً أن اخاه السلطان لا يصلح للملك ، واتهمه بالتنازل عن حقوق الدولة المغربية ، وعن استقلالها ، وكرامتها وشرفها للدول الأجنبية ، أو حسب قوله : « أنه فرط بثروات المغرب ومصالحه وأراضيه وسلمها للكفار الأجانب » .

وامام هذه النوازل والكوارث التي احافت بالبلاد نادي بنفسه سلطاناً خلفاً لأخيه ، فدعا الشعب للالتفاف حوله للثورة والزحف معه إلى العاصمة فاس لإنقاذ الوطن ، فاجتمعت حوله قوات زحف على رأسها لاسفاط أخيه ، وخرج عبد العزيز من فاس لمحاربة أخيه عبد الحفيظ ، ولكن قواته ما لبست أن تبعثرت قبل المصادمة بين الأخوين مؤثرة حقن الدماء والابتعاد عن مقر إقامة السلطان الضعيف . وهكذا هاجم عبد الحفيظ القوات الفرنسية ، ودخل فاس حيث نودي به سلطاناً على المغرب وجددت له البيعة في مراكش التي كانت أول مدينة ثارت على السلطان المخلوع .

وكان من شروط البيعة « أن يقود الجهاد ضد الغزاة الفرنسيين ، وأن يتعهد بتحرير المغرب من التزامات معاهدة الجزيرة الخضراء لأنها عقدت دون علم المغاربة . كما يتعهد بالغاء الإمتيازات الأجنبية ، وألا يستخدم مستشارين اجانب في شؤون الوطن والأمة والمصالح العامة ، وألا يبرم مع الاجانب عقوداً سلمية أو تجارية إلا بعد استشارة الأمة » .

أبو حماره يوسع حدوده

وخشيت فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية التي تتمتع بامتيازات تجارية في البلاد أن تفلت الأزمة من أيديها ، فحركت العصابة الهدامين في البلاد ، فانطلق المتمرد العاصي أبو حماره على رأس شرادمه وراح يعمل على توسيع إمارته فقطع بذلك الاتصال بين شمال المغرب وجنوبه كي لا يمكن السلطان الجديد من جمع أبناء البلاد وحشدهم للقتال ، وكما هي العادة فقد تقدم المستشارون القدماء ومن استجد منهم بتقديم النصائح للسلطان عبد الحفيظ على أن يبدأ نضاله بالقضاء على «أبي حماره» فحشد كل ما بوسعه أن يحشده من رجال واضطرب إلى الاستدانة من البنوك الفرنسية مئة مليون فرنك ذهبي للإنفاق على حملته التأدية ، بعد أن رهن لقاء ذلك المبلغ «الأربعين في المائة التي كانت قد بقيت للمغرب من واردات الجمارك» فأتاح بهذا العمل المستهجن لفرنسا الإشراف على ميزانية المغرب ووضعها تحت مراقبتها . . وكان ذلك أول خطأ ارتكبه السلطان الجديد .

نهاية أبي حماره

ولكن السلطان وفق في حملته فقبض على أبي حماره ، فنقله إلى فاس في قفص من الحديد وعرضه على الشعب . . ثم قتله .

ولكن حملة القضاء على أبي حماره كلفت الدولة عقد قرض بـ ١٠٠ مليون فرنك ذهبي وهي التي اقترضها السلطان عبد الحفيظ من البنوك الفرنسية ولم يقبض منها فرنكاً واحداً بل رهن الأربعين في المئة الباقي من واردات الجمارك كما ذكرنا هذا بالإضافة إلى الديون السابقة التي كان قد اقترضها عبد العزيز ومقدارها ١٦٣ مليون فرنك .

وأصدرت فرنسا سندات الدين بقيمة اسمية وقدرها ٥٠٠ فرنك للسند الواحد ، ولكن جمهور الشعب الفرنسي كان بوسعه الحصول على السندات

بقيمة ٤٨٥ فرنك للسند الواحد . أما أصحاب البنوك فكان باستطاعتهم شراء السند الواحد بقيمة ٤٣٥ فرنكاً .

وقد أوضح جان جورييس في مجلس النواب الفرنسي : «أن السندات رفعت ثمنها بشكل مصطنع بحيث بيع السند الواحد يوم طرحها في السوق بـ ٥٠٧ فرنكات وبذلك تمكّن أصحاب البنوك الفرنسيون من ربح عاجل مقداره ٧٢ مليون فرنك على حساب المغاربة الذين نهبوا وسرقوها»^(١) .

وقد هاجم جان جورييس وبصورة خاصة «بنك باريس والبلاد المنخفضة» وهو المؤسسة التي قدر لها أن تقوم بدور كبير في الشؤون المغربية في السنوات التالية .

ولم يتح للسلطان عبد الحفيظ أن يقبض فرنكاً واحداً من القرض الجديد الذي اعطي لشراء الأسلحة ، ولكن السلطات الفرنسية بالتوافق مع أصحاب البنوك صادرت المبلغ كله لوفاء الديون السابقة والتعويضات المذكورة آنفاً ، بالإضافة إلى رسوم المرافئ واحتكار التبغ اللذين كان قد ارتهنهما الدائنوين ولم يبق من مورد للسلطان سوى الضرائب المباشرة وما يجمع منها من القبائل .

وقد روت التايمز اللندنية أن البلاد قد خيم عليها اليأس بسبب مطالب السلطان الملحة .

اسبانيا تنزل جيوشها في شمال المغرب

بعد أن أجهز السلطان عبد الحفيظ على عصابة «ابي حماره» انتقم هذا من مواطنه المغاربة حتى بعد موته .

(١) نشرة الأنباء المغربية . مكتب الاستعلامات المغربي - نيويورك ٢٨/١١/١٩٥٢ م .

لأن إسبانيا انزلت على سواحل المغرب الشمالية تسعين ألف جندي بحجة أن قبائل الريف هاجمت عام ١٩٠٩ عمالاً إسبانيين كانوا يشتغلون في منجم للحديد حصلت إسبانيا على الترخيص باستئماره من «أبي حمارة» عندما كان متسلطاً على ذلك الجزء من المغرب وكان من الطبيعي ألا يوفق السلطان عبد الحفيظ في صد هذه القوات الكثيفة بقواته المتواضعة . ومنعها من النزول فوق التراب المغربي .

التواطؤ الإسباني - الفرنسي

وهكذا راح السلطان الجديد يتلقى الضربات الواحدة تلو الأخرى مرة من فرنسا وأخرى من إسبانيا اللتين راحتا تنفذان مؤامرة احتلال المغرب بشراسة وهمجية على طريقة «الجريمة المنظمة» .

وأصبح الوضع في المغرب صعباً فقد عمل المستعمرون على توريط السلطان في الحروب الداخلية مع العصاة والمتمردين الذين كانت تحركهم فرنسا في الوقت المناسب ، كما جرى عندما ثارت قبائل الشرارة وبني مطير التي بايعت المولى الزين في مكناس ، ثم انطلقت نحو فاس وهاجمتها ، واسع الفرنسيون بأن سكان فاس تعاطفوا مع قوات المولى الزين لذلك هب المقيم الفرنسي في الرباط إلى قمع الثورة - ومن جانب آخر من المغرب انزلت إسبانيا قواتها في مدينة العرائش الشاطئية ومدينة القصر الكبير عام ١٩١١ .

والأشد من ذلك وأمراً أن إسبانيا عقدت اتفاقاً مع فرنسا مستوحى من اتفاق مدريد عام ١٩٠٤ ، اعترفت فيه فرنسا لإسبانيا بحقها باحتلال منطقة الريف ، بالإضافة إلى مرفاً «إفني» على شاطئ الأطلنطي والاتفاق على جعل مدينة طنجة منطقة دولية .

وكان احتلال فرنسا للدار البيضاء قد زودها بميناء بحري لإنزال جنودها كما أن استيلاءها على الشاوية قد وضع تحت تصرفها جزءاً من أغنى أراضي المغرب وقد ضمن احتلالها لوجدة باباً واسعاً لدخولها من الجزائر ..

ولكن حادث التدخل العسكري ذا الأثر الأبعد جاء في ٢٧ نيسان / ابريل سنة ١٩١١ إذ احتلت القوات الفرنسية فاس عاصمة البلاد ورمز السلطة الشريفية وكان احتلالها السبب الرئيسي في ارسال الطراد الألماني بانتير إلى أغadir في السنة نفسها الأمر الذي تبعه الاتفاق الألماني الفرنسي وهذا ازاح العقبة الدبلوماسية الأخيرة التي كانت تعترض تقدم فرنسا نحو انشاء نظام الحماية على المغرب .

لجنة المغرب الفرنسية

واحتلال فاس يلقي الكثير من الضوء على نشاط «لجنة المغرب» الفرنسية وهي المنظمة التي كانت القوة الرئيسية المسؤولة عن احتلاله .

وكانت هذه اللجنة تتألف من رجال السياسة الفرنسيين وممثلين عن أصحاب الاعمال التجارية والمالية الكبار ويساندها بنك باريس والبلاد المنخفضة وشركة دي شانيون وشركة شنايدر ، والبنك الفرنسي للتجارة والصناعة والشركة الدولية للريجي لاستثمار التبغ في المغرب ، واتحاد المعادن . وكما قال موريل : أن الشركة كانت مكونة من متمولين تأبوا على المغرب لخنقه ، وأما ضمانتهم فكانت ترتفع كلما توطن الاحتلال الفرنسي وقد قدر لها أن تنجح .

احتلال فاس

وفي نيسان عام ١٩١١ كان دوفيه رئيس الوزراء الفرنسية السابقة قد

اصبح كبير الموظفين التنفيذيين لبنك باريس والاراضي المنخفضة ، فنشر أخباراً مؤداها أن مدينة فاس ، كانت محاطة بالعصابة وان الاوروبيين هناك في خطر ، فاستجابت الحكومة الفرنسية لضغط اللجنة - وفقاً للرواية الملفقة - فأصدرت تعليماتها إلى الجنرال موانيه بتخصيص ثلاثين ألف جندي «النجددة العاصمة فاس» وراحت الحكومة الفرنسية تردد تأكيدها الدائمة باحترام وحدة المغرب واستقلاله وتعلن أن الجنرال موانيه سينسحب عائداً إلى الساحل متى انفذ الأوروبيين المعربين للخطر^(١) .

إن مدينة فاس التي بناها الشرفاء الأدراسة تستحق أكثر من وقفة لوصف عملية احتلالها من قبل الجيش الفرنسي .

وقد وصف فـ . دوبر سانس ، ما يسمى بمعاصرة فاس كما يلي :

«في سبيل تبرير احتلال فاس التي كانت ستوج المأساة الملهأة الخسيسة نظمت «لجنة المغرب» المذكورة آنفاً ، حملة من الكذب الريء ، ولما كان رجالها يسيطرؤن على الصحافة بأجمعها فقد اغرقوا الجماهير بالأخبار الكاذبة ، ويدت «فاس الشهيدة» في أخبارهم وكأنها مهددة بالحصار أو النهب ، وقد وصفت حالة الأوروبيين فيها بأبلغ لغة تثير الشعوب ، فكانوا يقولون للجماهير المضطربة : «أن المدينة تعرضت لغاية عنيفة» ثم يقولون : «ان المدينة ستتحاط قريباً بدائرة من الحديد واللهم» .

وبينما كانت الحملة في طريقها إلى فاس أخذ النور يلقى أشعة على حقيقة الاحداث ، فإذا بالعصابة الذين كانوا يهددون فاس قد اختفوا فجأة ،

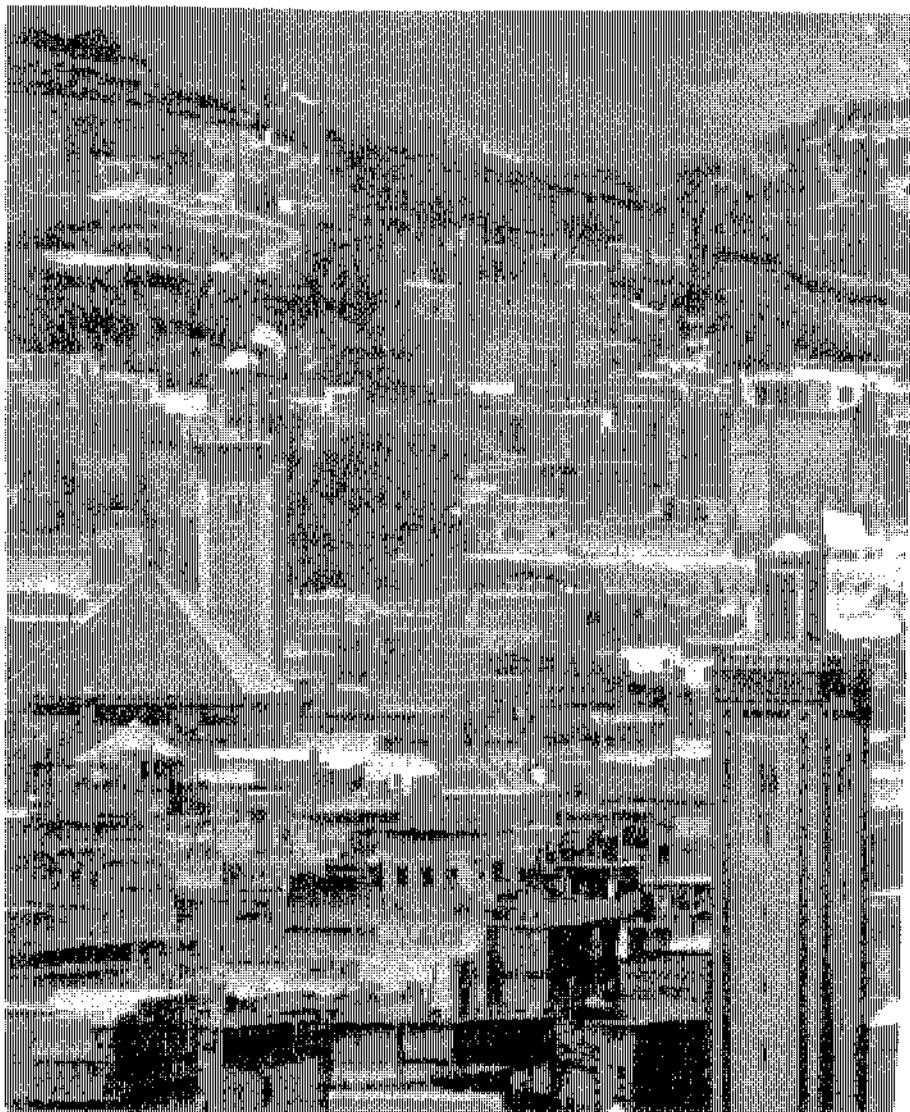
(١) هكذا كانت المغرب «تأليف وولتر هاريس» ١٩٢١ ص ٣٠٩ - ٣١١ . وكتاب «مراكش اليوم» تأليف «أوجين أوبيان» ١٩٠٦ - ١٩٠٧ ص ٢٨١ - ٢٨٥ .

كما يختفي الندى عند طلوع الشمس ، وكانت القوة الفرنسية المهاجمة تتذرع من انعدام رؤية الاعداء في أي مكان ، وهكذا اختفى الشّيخ الرهيب الذي صورته «الجنة المغرب الفرنسية» بين عشية وضحاها . وقال أحد المراسلين وكان قد قام بواجهة في جوقة الاخبار الكاذبة ، ويتمثل ما يمكن من بروادة الأعصاب ، أنه في الواقع لم ت تعرض سلامة فاس أو سكانها لأي خطر في أي وقت من الاوقات ، أما فيما يتعلق بالمؤمن فقد أكده لأولئك الذين كانوا مضطربين أن المدينة كان فيها من الحبوب ما يكفي سكانها جميعهم والجيش الفرنسي الزاحف عليها لمدة تزيد على السنة .

ولكن الرواية مثلث بفظاعة وبعد احتلال الدار البيضاء ، كان لا بد لفرنسا من أن تحتل العاصمة فاس .

وهكذا حُبكت وغُزلت مؤامرة احتلال فاس على أن يبدأ الفصل الأول بعدها بفرض الحماية على المغرب ، ثم يلي ذلك عهد الامتيازات والربح والفوائد .

وفي نهاية حزيران «يونيه» عندما كانت الحكومة الفرنسية تصرخ بأعلى صوتها بأن تصرفها كأن «صحيحاً» أنها تحترم استقلال المغرب ووحدة أراضيه ، كان الجنرال موانيه Moinier ما يزال يحتل فاس . ويفرض سلطته بالحديد والنار على كثير من الأراضي المغربية غيرها .



مدينة «فاس» عاصمة المغرب العلمية

الرعايا الالمان في المغرب يطلبون النجدة من بلادهم

وقد غضبت المانيا يومها كثيراً إزاء تصرف فرنسا هذا وقادتها بالتوافق مع اسبانيا على احتلال المغرب فنشأت بينها وبين فرنسا أزمة حادة أدت إلى تدهور العلاقات بينهما بشكل ملحوظ . ولم يكن الغضب الألماني ناتجاً عن غيرة المانيا على المغرب لاحتلاله من قبل الفرنسيين والأسبان وإنما بسبب رغبتها في اقتسام الغنائم وأنها ستنازع حصتها من التعويض بعد توقيع معاهدة الجزيرة الخضراء بين المغرب وفرنسا وفي أن يكون اجتياح المغرب مشتركاً تنازل هي من جراءه بعض المكاسب . ولهذا فإن الشركات الألمانية العاملة في المغرب سرعان ما استغلت بحكومة بلادها طالبة النجدة السريعة مدعية أن ممتلكاتها ومنتجاتها في المغرب تتعرض للاعتداءات المستمرة وهذا ما سيقودها حتماً إلى التدهور فالدمار المحقق . كما ادعت أن حياة الرعايا الالمان أنفسهم أصبحت في خطر . لم تكن حكومة المانيا يومها بحاجة لأكثر من هذا كي تتدخل في شؤون المغرب بحججه المحافظة على أرواح رعاياها من جهة وعلى المحافظة على أملاك الشركات من جهة ثانية .

الفهد الألماني في أغادير

وقد رأت الحكومة المغربية بمذكرة مذكرة ألمانية طورية بذكرى اصدارتها تلبية لطلبات الامبراطورية الالمانية التي أرادت أن تبعث ببارجة حربية إلى ميناء أغادير ، لتقديم العون والمساعدة إلى الرعايا الالمان ، إذا دعت الحاجة إلى ذلك . . . وعندما تعود الحالة في المغرب إلى ما كانت عليه من هدوء ، فإن البارجة الموكلا إليها القيام بالمهمة الدفاعية ، ستغادر ميناء أغادير» وقد وقع المذكرة السيد فون كيدرلن فيختر وزير الخارجية الالمانية ومع أن الجنود الفرنسيين ظلوا

في فاس فإن الطراد بانتر غادر أغادير بصورة مشبوهة .

وقد أوضح المستشار فون بيلوف حادثة الطراد بانتر في السريختاغ بقوله : «ان قرارات مؤتمر الجزيرة كان يقصد بها الحفاظ على استقلال المغرب ، رغبة في تنمية البلاد اقتصادياً ، وقد اتضح بعد ذلك أن قراراً من القرارات الأصلية أصبح مفقوداً ، وهو القرار المتعلق بسلطان يحكم البلاد حكماً فعلياً ، ويكون باستطاعته أن يقوم بالاصلاحات المتواخة ، ولكن حتى السلطان عبد الحفيظ لم يتمكن من القيام بذلك ، رغم ما لديه من الصفات الشخصية ، وقد ازداد اعتماده على التفوذ الأجنبي ، مما ادى إلى تدخل متزايد من جانب فرنسا ، وقد اعلنت فرنسا أنها تنوى أن تبعث بجنودها إلى فاس ، لكي تعود بالاوروبيين الموجودين هناك إلى الساحل تحت حمايتها ، ونحن لم نتلق مثل هذه التقارير المزعجة من فاس ولذلك اعلنا أن جاليتنا لم تكن بحاجة إلى عون اجنبي ، وقد اضفتنا ، تحفظاً واضحاً بأننا نحتفظ بحرية العمل ، فيما إذا تجاوزت الحملة الفرنسية هدفها المعلن عنه . . . وقد حدث هذا ، كما توقعنا ، إذ فرضت فرنسا نفسها بشكل لا حد له على السلطان بسبب نفوذها الذي أصبح تاماً ، وبذلك زال استقلال السلطان الذي افترض مؤتمر الجزيرة وجوده . . فالحاكم الذي يعتمد على تأييد الحراب الاجنبية ، لا يمكن اعتباره الحاكم المستقل ، الذي قام قرار مؤتمر الجزيرة على وجوده . . . في بينما كانت السيطرة الفرنسية يتسع مداها في المغرب ، انتشرت معها اسطورة لا في فرنسا وحدها ولكن في دول أخرى ، تقول بأن فرنسا كانت تفعل ذلك بالنيابة عن أوروبا التي انتدبها لذلك الفعل . . .

فلما تعرضت المصالح الالمانية للمخطر ، بسبب الاحداث التي جرت في المغرب ارسلنا بارجنة حربية إلى

اغادير^(١).

اتفاق فرنسي - الماني واطلاق يد المانيا في الكونغو

وقد ترتب على حادثة البارجة الحربية بانش ان تم الاتفاق الالماني الفرنسي الذي وقع في ٤ تشرين الثاني - نوفمبر - سنة ١٩١١ . وهو الاتفاق الذي حقق لفرنسا آخر ضمانة لمشروعية مكاسبها في المغرب ، ولحماية نفسها من المعارضة الالمانية ، وليس معنى هذا أن المانيا - تنازلت - فان التحليل الماهر الذي قام به فون بيلوف للمطامع الفرنسية ووسائلها ، اقنعت فرنسا . أن المانيا لم تكن مغفلة إلا أن تصميم فرنسا على قطف ثمار السياسة التي بدأتها «لجنة المغرب» والتي كان ذلكاشه شديد الاصرار على الاستمرار بها ، اتضح لها لما أبدت فرنسا استعدادها لأن تخلي عن مساحات شاسعة من أملاكها في حوض الكونغو - في أواسط القارة الافريقية - لتضمن حسن نوايا المانيا فقد اعطت المانيا على وجه التدقيق ٢٧٠,١٠٧ ميلاً مربعاً من أملاكها في الكونغو ثمناً لوضع خططها في المغرب على أساس أمينة مضمونة^(٢) .

وفي ١٤ كانون الأول - ديسمبر - سنة ١٩١١ اعلن دوسلف وزير خارجية فرنسا إلى مجلس النواب الفرنسي ، ووجهه يطفح بشراً قائلاً : «أن الكلمات الأولى التي لفظها وزير خارجية المانيا «أن المغرب لكم» هي بمثابة اعلان من قبله «بأن المغرب لنا» حتى أنه أضاف انشروا هناك حمايتكم ، اكتبوا بأنفسكم الوثائق الالزام لبيان التفاصيل»^(٣) .

وهكذا سقطت مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء إلى الابد . وسقط معها في الاوحال شرف الامبراطور وليم الثاني وكراامة الحكومة الالمانية .

(١) مورييل : المصدر ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) وثائق دبلوماسية - المسألة المغربية ١٩١٠ - ١٩١٢ رقم ٤٢٨ .

(٣) الجريدة الرسمية ١٤ كانون الأول ديسمبر ١٩١١ .

معاهدة فاس والحماية الفرنسية على المغرب

بعد هذا . . وجد السلطان عبد الحفيظ نفسه غارقاً ومورطاً في شبكة التدخل الاجنبي ويئس من الدنيا بسبب القوضى الضاربة اطناها في بلاده لذلك اضطر في ساعة من ساعات اليأس والقنوط ، إلى طلب المعونة من فرنسا ، فاستجابت فرنسا لطلبة مزهوة مسرورة وقدمت له «معاهدة الحماية» .

وراح الفرنسيون يذيعون بأن الشعب المغربي قبل بالمعاهدة ، بعد أن خيل لهم الوهم بأن السلطان عبد الحفيظ هو كل شيء في البلاد وأن إرادته هي إرادة الشعب المغربي كله ولكن لما وصل يوجين رينو - وهو السفير الفرنسي الذي عهد إليه بالمفاوضة بشأن «معاهدة الحماية» - إلى فاس على رأس بعثة كبيرة ، استقبله الفاسيون بالصمت ونظرات الازدراء العدائية والجدير بالذكر أن السلطات المحلية باشراف الجيش الفرنسي جمعت العاهرات الفرنسيات من دور البغاء لاستقبال السفير الفرنسي يوجين رينو لكي يوهّمه بأن نساء المدينة خرجن لاستقباله من تلقاء أنفسهن^(١) .

ان المفاوضات التي سبقت توقيع معاهدة فاس ، وهي الوثيقة الاستعمارية التي تؤكد سيادة فرنسا على المغرب ، كانت أقل من الشكلية ، لأن المعاهدة التي جعلت من المغرب حماية إنما فرضت على السلطات وقد أخذت توقيعها في ٣٠ مارس - اذار - سنة ١٩١٢ ذهولاً لأن سكان فاس والمغرب بجمعهم من أكبرهم إلى اصغرهم ، اعتبروا يومها خضوع السلطان عبد الحفيظ خيانة للمغرب والاسلام^(٢) .

(١) الدكتور وايز جرير المغرب الحديث طبع في الرباط . وتاريخ المغرب في القرن العشرين ص ٥٦٣ .

(٢) الدكتور - وايز جرير: المصدر نفسه أعلاه .

دور الكتاب الفرنسيين في تثبيت الاحتلال

قبل فرض الحماية على المغرب وبعدها كانت الحكومة الفرنسية تبحث عن كتاب فرنسيين وربما غير فرنسيين أيضاً لتبرر سلوكها الفظيع المמשين «بفرض الحماية» على المغرب بقصد احتلاله فاستكتبت عدداً كبيراً من الكتاب المأجورين . الذين راحتوا يلفقون الأكاذيب ضد المغرب ويقولون: أن المغرب قبل سنة ١٩١٢ «لم يكن أمة ولا دولة» مثل هنري تراس الذي قال في كتابه «تاريخ المغرب» من نشر الأتلانتيد عام ١٩٥٢ : «أن المغرب المسلم لم يكن قط دولة تستحق مثل هذه التسمية فقد ظهرت بعد عصر المرinيين بلاد السيبة التي كانت تتسع رقعتها مع الوقت ، فال المغرب الشريفي لم يكن سوى مجموعة من القبائل لا استقرار فيها . إلى آخر معزوفة الأكاذيب والاضاليل^(١) .

أما الكتاب الفرنسيون التقديميون من ذوي المبادئ والتراوحة فكانوا يكتبون و يؤلفون من ذات انفسهم ومن امثالهم ليفي بروفنسال الذي كتب يقول: أن المغرب كان على مدى خمسة قرون البلد الإسلامي الوحيد الذي يشعر بأنه يكون أمة ، مع أن مثل هذه الفكرة لم تكن واضحة كل الوضوح في دول اسلامية أخرى ، لقد كان المغرب يشعر بوحدته السياسية والعرقية كما أنه شاهد ولادة الشعور القومي الصادق ، والحق أنه لو لم يكن المغرب قد حقق «شخصيته» كدولة أو كامة فكيف نستطيع أن نفسر استمرارية وجوده بلداً قائماً مدة اثنى عشر قرناً؟ وكيف يمكن أن نخلل فردية حضارته واستمرارها ، ومعارضة البلاد بأكملها للاحتلال الفرنسي؟ وكيف نوضححقيقة كون المغرب البلد الوحيد الذي الثقافة العربية استطاع مقاومة

(١) اراجع كتاب تاريخ نشر الأتلانتيد ص ١٨٩ - ١٩٠ .

العثمانيين ، وظل مستقلاً أربعين سنة ، بينما كانت البلاد العربية جماعة خاضعة للحكم التركي؟ .

ومن أمثال هؤلاء الكتاب الفرنسيين الشرفاء اندريله جولييان وهو استاذ في جامعة السوربون مؤلف كتاب «شمال افريقيا في مسيرته» عام ١٩٥٢ . إذ يؤكد بشكل خاص واقع الاستمرار في الدولة المغربية فيقول : «بالرغم من القتال المزمن بين المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية وبالرغم مما كان يحدث في الجزائر من أمور هي على عكس ما كان يحدث في المغرب ، فقد كان استمرار الدولة المغربية بادياً للعيان» .

هذا حكمان قاطعان صادران عن مؤرخين مرموقين ، ولنستمع الآن إلى رأي الماريشال ليوتوي الذي قاد الحرب الفرنسية في المغرب لمدة طويلة - إذ يقول في خطاب القاه سنة ١٩١٦ : «لقد وجدنا في هذه البلاد دولة وشعباً واضحـي المعالم فأكثر التنظيمات كانت راسخة ، وكانت تمثل شيئاً حقيقياً فلم يكن ثمة نظام سياسي واضح فحسب ، بل كان هناك نظام قضائي هام» .

وقال في مناسبة أخرى : «وكلما طالت اقامتي وعرفتـي بأهل هذه البلاد ، ازداد افتئاعـي بعظمة هذه الأمة بينما كنا نجد في الأجزاء الأخرى من شمال افريقيـة مجتمعاً متقوضـ البناء ، بسبب الفوضـي السابقة ، وانعدام القوة ، وجدنا هنا امبراطورية مكينة ، والفضل في ذلك يعود إلى قوة دائمة وطـدها واقع تتابع الأسر المستمر ، والحفاظ على المؤسسـات الأساسية بالرغم من الثورات» .

وثمة تحليل آخر للماريشال ليوتوي جاء فيه : «في الجزائر وجدنا أنفسـنا وجهاً لوجه مع التراب ومع وضع صوري ، كانت السلطة الوحيدة فيه تتمرـكز

في شخصية «الدای» التركي ، وهي السلطة التي تهافت حال وصولنا . أما في المغرب ، فقد كان الأمر على العكس من ذلك ، إذ وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه مع امبراطورية تاريخية مستقلة ، فإنه ما يزال يعيش في المغرب بضعة رجال اعلام - كانوا إلى ست سنوات خلت سفراء المغرب المستقل في سانت بطرس بورغ ، ولندن ، وبرلين ومدريد ، وباريس ، رجال تفاوضوا على قدم المساواة مع ساسة أوروبيين وليس في الجزائر وتونس شيء مثل هذا .

هذه الاستشهادات كلها من كتاب الماريشال ليوتى^(١) (Paroles d'action) .

نصوص معاهدة الحماية

أن معاهدة الحماية التي أكره على توقيعها السلطان عبد الحفيظ مؤلفه من تسع مواد التزمت فيها فرنسا تجاه السلطان المحافظة على الدين واحترام هيبة السلطان التقليدية . . وحرية ممارسة الشعائر الدينية ومؤسساتها - خاصة الأوقاف الإسلامية .

وتعهدت أيضاً للسلطان بمساعدته هو وخلفاؤه من بعدن ضد أي خطر يهدد شخصه أو عرشه أو يعرضه للخطر هو وببلاده وتركت للسلطان اulan التدابير التي يتطلبها نظام الحماية الجديد ، كما تركت له اعلان النظم الجديدة والتعديلات التي تدخل على المعاهدة القائمة «مشترطة عليه الا

(١) انظر ليوتى Lyautey : لويس أوبيلىوتى ولد في مدينة نانسى عام ١٨٥٤ . قائد فرنسي خدم في الهند الصينية ومدغشقر والجزائر قبل تعيينه مقيناً عاماً في المغرب عام ١٩١٢ ولغاية ١٩٢٥ فيما عدا (١٩١٦ - ١٩١٧) حيث عين فيها وزير الحرب الفرنسي . عمل جده على احتواء مقاومة الثوار المغاربة دون أن يستطيع . كان دبلوماسياً بارعاً وجندياً بأسلاً وإدارياً ناجحاً .

يفعل ذلك إلا بناء على اقتراح الحكومة الفرنسية» وحصلت فرنسا لنفسها على الموافقة على إقامة نظام جديد يتضمن الاصلاحات الإدارية والقضائية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي تراها فرنسا ضرورية ، «وان تقوم باحتلال أية منطقة مغربية ترىاحتلالها ضرورياً للمحافظة على النظام وعلى سلامة المبادرات التجارية ، بالإضافة إلى ممارسة عمل البوليسى في البر وفي المياه المغربية وأن يقوم ممثلو فرنسا وقنصلتها بتمثيل وحماية رعايا ومصالح المغرب في الخارج» مع تعهد السلطان بـالا يبرم أي اتفاق ذي صبغة دولية بدون موافقة من الحكومة الفرنسية ، ولقاء ضمان هذه المعاهدة الحقوق المخولة لحاملي سندات القروض العامة المغربية ، وفرض على السلطان الامتناع عن عقد أي قرض عام أو خاص في المستقبل بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، والامتناع بأي شكل كان عن منح أي امتياز دون إذن الحكومة الفرنسية وتحولت المعاهدة فرنسا حق الاشراف على سير الحكم في الدولة المغربية بواسطة مقيم عام يمثل فرنسا لدى السلطان ، ويتمتع بكل سلطات فرنسا في المغرب ، ويشهد على تنفيذ المعاهدة ويكون وسيط السلطان في علاقاته مع ممثلي الدول الأجنبية : ويكلف بصورة خاصة بكل المسائل المتعلقة بالأجانب ، وتكون لديه باسم الحكومة الفرنسية سلطة الموافقة ونشر المراسيم الصادرة عن السلطان .

كذلك أعطت المعاهدة فرنسا الحق بالتصريف بمعرض عن السلطان في جزء من شمالي المغرب وجنوبه بالاتفاق مع اسبانيا مع اعطاء طنجة مركزاً دولياً ، وألحقت بالمعاهدة رسالة تفسيرية تقول أن للسلطان الحق بتعيين خلفه إذا ما تنازل عن العرش .

هذه المعاهدة موجودة في قسم الملحق في آخر الكتاب ولا بد أن فرنسا أجبرت السلطان على قبولها وتوقيعها بممارسة التهديد والوعيد

والابتزاز وإلا لما كان وقعاً لتفرض فرنسا على بلاده الاستبعاد والإذلال والمهانة .

ولكن الشعب المغربي الأبي رفض تلك المعاهدة واتهم السلطان بالخيانة .

ولم تتمكن فرنسا من اعداد وتنظيم الحماية على المغرب إلا بعد أن اتفقت مع إسبانيا وبريطانيا الغادرة على تحديد المنطقة الإسبانية والحصول على اعترافهما بالحماية الفرنسية ، ووقفت بريطانيا موقفاً عدائياً ضد المغرب فأعلنت أنها لن تعرف بالحماية الفرنسية إلا إذا اتفقت فرنسا مع إسبانيا وما لم يُسوّ وضع طنجة ، في حين اشترطت إسبانيا لموافقتها على الاتفاق الفرنسي الألماني الحصول على الضمانات بالنسبة لمصالحها وحقوقها في المغرب .

وبعد أن تعثرت المفاوضات طويلاً بين فرنسا وإسبانيا اتفق الطرفان على تحكيم بريطانيا الغادرة التي شرعت تقرب وجهات النظر بين الفريقين المستعمرتين للمغرب ، حتى توصل الطرفان أخيراً إلى عقد اتفاق بينهما في نوفمبر عام 1912 ، اعترفت فيه فرنسا لإسبانيا بأن لها أن تسهر في منطقة نفوذها على استباب الهدوء . وأن تقدم مساعداتها لادخال كل الاصلاحات الإدارية والاقتصادية والمالية والقضائية والعسكرية - التي تحتاجها البلاد بالإضافة إلى مساعدتها . . «راجع الملحق في آخر الكتاب» .

ونص الاتفاق على إبقاء منطقة التفود الإسباني موضوعة تحت سلطة السلطات الدينية والمدنية وأن تدار باشراف مفوض سام إسباني بواسطة خليفة يختاره السلطان «بين مرشحين اثنين تعرضهما عليه الحكومة الإسبانية» «على أن يكون للسلطان وحده الحق بالمحافظة على وظائف

ال الخليفة أو سحبها إلى وكيل عنه ، وأن يقيم الخليفة في تطوان ، ويزوده السلطان بتفويض عام دائم ، يمارس بموجبه الحقوق الخاصة بالعرش ، وأن ينوب عن الخليفة مؤقتاً في حال شغور منصب باشا تطوان ، وأن تكون أعمال السلطة المغربية في هذه المنطقة باشراف المفوض السامي الاسباني ورجاله ، كما يكون المفوض السامي الوسيط الوحيد بين الخليفة ووكلاه الدولة ، وألا يتحمل السلطان مسؤولية عن الشكایات الناجمة عن حوادث هذه المنطقة .

وتعهدت اسبانيا بعد أن حددت الاتفاقية مناطق نفوذها في المنطقتين الشمالية والجنوبية بـألا تتنازل أو تؤجر حقوقها في كل أو جزء منها ، على أن تبقى منطقة الشاطئ المواجهة لجبل طارق مجردة من السلاح وتحت تصرف منطقة طنجة .

وبعد أن نص على صرف الفسائب والرسوم والجبائية من المنطقة الاسبانية في المنطقة نفسها ، اعفiet حكومة المغرب من الاشتراك بنفقات المنطقة الاسبانية وأكدت الاتفاقية على الاستقلال الإداري للمنطقتين الفرنسية والاسبانية . وقالت أن هذا الاستقلال لا يمس الحقوق والامتيازات المخولة لبنك الدولة بالنسبة لكل المغرب ، وكذلك بالنسبة لشركة التبغ إلى آخر ما هنالك «راجع ذلك في الملحق» .

كل هذا الهراء الذي كان يسمى في ذلك الزمن اتفاقيات ومعاهدات لا قيمة لها البنتة أمام القوة المغربية إذا فرضت إرادتها على المستعمررين بالحرب وأرغمتهم لا على الجلاء فحسب بل وعلى الاعتراف بالهزيمة . . هذا لو أن الثورة المغربية التي تلت معاهدة الحماية حافظت على وحدتها ، وأحسنت تنظيم قواتها وظلت محفوظة بتلك القوات ونظمت أمور التجنيد والحصول على الأسلحة . وقضت قضاءً تاماً على الخونة المتآمرين حتى لا

تظل ، خناجرهم مغروسة في ظهر المقاومة المغربية الباسلة .

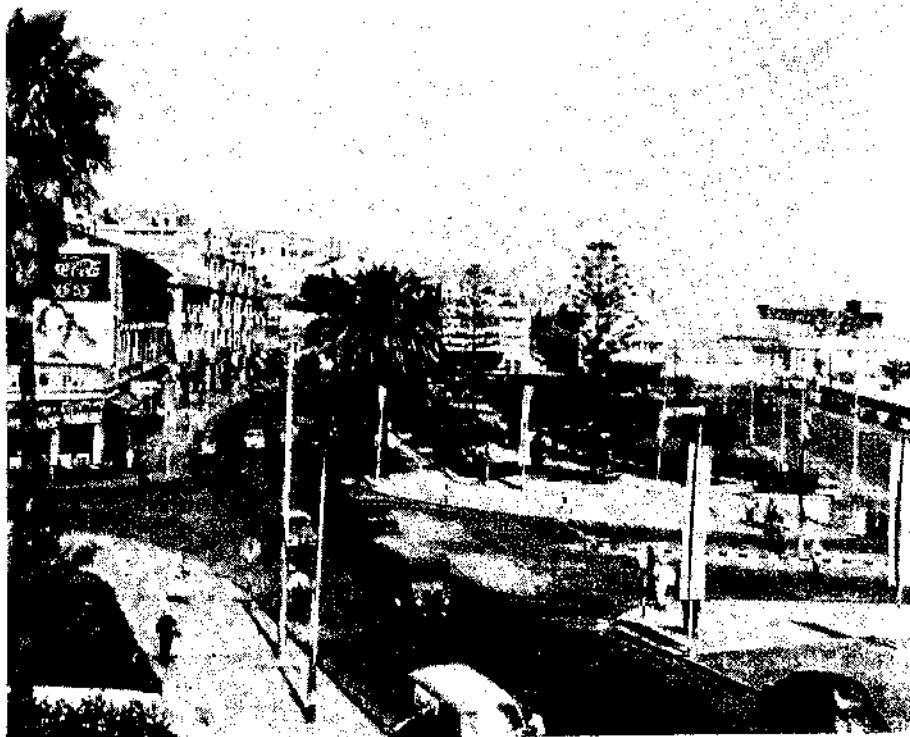
فالمعاهدات من هذا النوع مع المستعمررين لا تزيد عن كونها مؤلفة «من حبر مكتوب على ورق رخيص» تحمل شعار الغالب وهو «الويل للملوّب» .

أما عندما يتتصر المغرب بابطاله الميامين فإن هزيمة المستعمررين المعتدين تجعل من كل تلك المعاهدات مزقاً وأوراقاً مخرقه مقدوفة في ظهور جيوش المستعمررين المهزومة وأكثر من ذلك هو أنَّ بقاءها في النصوص التاريخية يسجل وصمة عار على جبين المستعمررين لا تمحي إلى الأبد ، كما تسجل صفحات جهاد مستمر ومقاومة عاتية لا توقف ، ومجد خالد للشعب المغربي الذي تمكن فيما بعد من طرد المستعمررين من أراضيه طرداً لا رجعة فيه ، وعندئذ ينقلب الإذلال والامتهان والبطش واعمال القتل والاستبداد التي مارسها المستعمررون خلال عهد احتلالهم للمغرب على وجوههم وضمائرهم وكرامتهم الممزقة ، وأكثر من ذلك فإنه ينقلب على تاريخهم الملطخ بالفساد والجرائم فيحيله إلى صفحات سوداء كالحة كوجوههم بشعة منكرة .

اقطاع طنجة وتدوينها

لم يكتف المستعمررون بفرض حمايتهم على المغرب في معظم أراضيه وأسبانيا في شماله وجنوبه ، بل اخضعوا منطقة طنجة التي كانت تشكل العاصمة الدبلوماسية للمغرب - إلى حماية دولية بتوافق بين فرنسا وإسبانيا وبريطانيا ، وذلك بموجب اتفاق تم بينها جميعاً ووقع في ۱۸ ديسمبر عام ۱۹۲۳ ، وسبب التأخير هو تعذر وضع طنجة عندما وقعت الحرب العالمية الأولى سنة ۱۹۱۴ فاتفق الفرقان الثلاثة على تأجيله إلى بعد انتهاءها ولما

أبرمت المعاهدة «عام ١٩٢٣» أعطت طنجة نظاماً دولياً مستقلاً ولكنها بقيت جزءاً من السلطنة المغربية . واحتفظت بسيادة السلطان التي لم يستطع الاستغلال الاستعماري والإداري أن يتلعل حقوق تلك السيادة .



شارع اسبانيا في مدينة طنجة

لو يتعظ المستعمرون!

ونعود إلى ترديد ما أسلفناه من القول وهو أن كل المعاهدات والاتفاقات لا تزيد عن كونها حبراً مكتوباً على ورق . مزقتها في أول مرة ثورة الشعب المغربي الباسل في جنوبه وشماله ودفع الفرنسيون والاسبان ثمن ذلك العبر والورق من دماء جيوشهم التي هزمها الجنوبيون في ثورة الجنوب وسكان الريف في ثورة الشمال .

كما أن نتائج ظلم المستعمرين وطغيانهم في محاولاتهم لاستعباد الشعوب الضعيفة ما لبثت أن تحولت إلى حرب عالمية في سنة ١٩١٤ حيث دفعت فرنسا وبريطانيا وسائر الدول الأوروبية ثمن ذلك الاستعمار الذي تحول إلى بحيرة من دماء ابنائها في أوروبا والشرق الأوسط .

ولما انتصر الحلفاء في نهاية الحرب على المانيا وعادوا إلى إحياء معاهدات واتفاقيات الاستعمار تمخضت الاحداث التي أعقبت ذلك الظلم والاستبداد عن حرب عالمية ثانية . . ذاتها فيها أوروبا وفرنسا بصورة خاصة جرعات مرة من الاحتلال الجيش الالماني لأوروبا كلها بما فيها فرنسا يوم أن دخلها هتلر متتصراً فاتحاً ، ويوم أن داست أحذية الجيش الالماني على عروش أوروبا وانظمتها الفاسدة وسحقتها سحقاً .

ويوم أن أصبحت باريس كلها حانة كبرى للجنود الالمان . . .

ولما لم يتعظ الأوروبيون من هزائمهم وامتهانهم واذلالهم جوبهوا مرة أخرى بثورة الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج . وكان في مقدمة تلك الثورات وذلك الكفاح ثورة المغرب بقيادة المغفور له الملك محمد الخامس التي حررت المغرب من ويلاته واضافت بذلك الكفاح المنظم المستمر ملامح جديدة لملحمة المغرب الكبرى أدت إلى طرد المستعمرين من المغرب .

الشعب المغربي يقود ثورته المسلحة

أثنان وأربعين عاماً عاشها سكان المغرب في ثورتهم المسلحة جعلت المغرب كتلة هائلة من النيران واللهب في وجه المستعمرين .

ولو أن الحكومة الفرنسية والحكومة الاسانية معها وضع القتلى من

الجنود والمدنيين مضافاً إليهم الأموال التي أنفقتها هاتان الدولتان المعتديتان لقمع الثورة المغربية في كفة الميزان ، ووضعت ما جناه استعمارها من خيرات المغرب وأمواله بعد الثورة في كفة ثانية لتبيّن لهما أنهما الخاسران .

ولكن فرنسا كانت تكذب على الشعب الفرنسي عندما كانت تقلل من عدد ضحايا جنودها ومدنيها ، وتقلل من قيمة ما انفقته من أجل قمع الثورة المغربية التي لا تقامع ، وكذلك فعلت إسبانيا التي كانت تكذب بالمثل .

إذن ففن الكلب والخداع لم يكن موجهاً إلى الشعب المغربي فحسب بل ونال منه الشعوب الفرنسية والإسبانية التصيّب الأولي . أما حالات المجد المزيفة التي كان يعقدها جنرالات فرنسا وإسبانيا فوق رؤوسهم ، فإنها سرعان ما انحدرت بصورة مخزية ومهينة لتحول إلى انشوطات مشدودة إلى اعتاق جنرالات هاتين الدولتين الاستعماريتين . كلما سجلت الثورة المغربية انتصارات جديدة خلال كفاحها المظفر .

ومع أن مهام الكفاح المسلح وشرف القتال ضد المستعمرين قد أصبح على عاتق الشعب المغربي وقبائله في الجنوب والشمال وعبر السهول والواحات وفوق القمم والسفوح ، إلا أن مدينة فاس المجاهدة الباسلة كان لها الشرف الأول في إشعال فتيل الثورة فهب سكانها رجالاً ونساء ، وجيش السلطان في المدينة كما شارك السلطان عبد الحفيظ نفسه من وراء الستار للذود عن الوطن . لقد هبوا جميعاً غضاباً وانطلقوا أسوداً مكشراً عن انیابها للقتال المرير .

وفي مثل هذا الصراع تصبح البلاغات الاستعمارية والكلمات التي تطنّن بها من أمثال: المشاغبين والمتربدين وقطع الطريق واللصوص

يصبح هذا القاموس الاستعماري من المفردات دفاعاً واهياً في أفواه المستعمررين وبلاغاتهم ، وسرعان ما تتلاشى وتذوب في حرارة صيحات ونداءات الجماهير الغاضبة المهاجمة .

أما تقلصات وجوه جنرالات فرنسا واسبانيا فإنها سرعان ما تعود إلى اشكالها الطبيعية فتبعد وجوهاً كالحنة مخددة مجعدة بشعة بعد أن تفاجئها ثورات الاحرار وانتفاضاتهم في طول البلاد وعرضها .

السلطان عبد الحفيظ يتحجّج على الوجود الفرنسي

استقبلت الحكومة الفرنسية وأعضاء اللجنة المغربية الاحتكارية بدهشة بالغة وابتسمة صفراء أول مذكرة احتجاج من السلطان عبد الحفيظ بعد أن استرد وعيه وغيابته على أثر إكراهه على توقيع المعاهدة جاء فيها: «إنني الفت نظر الحكومة الفرنسية حول هذا الواقع وهو أن المغرب منذ الفتح الإسلامي لم يكن يتبع أية دولة أجنبية كمستعمرة ، وانه ظل ثلاثة عشر قرناً يتمتع باستقلاله ولهذا السبب لا يمكن أن يعامل المغرب معاملة بلد مستعمر» .

ولكن الابتسامة الصفراء سرعان ما تحولت إلى تكشيرة ثم إلى حشرجة عندما وصلت إلى مسامعهم الأنباء المفزعة أنباء ثورة مدينة فاس .

الجماهير المغربية تندد بالحماية

وانطلقت أصوات الأبطال الثائرين هادرة منددة بالحماية المفروضة هاففة: أن معاهدة الحماية «صك بيع المغرب للنصارى الأنجلو» من قبل سلطان باي عنده ليكون سلطاناً للجهاد وحماية الاستقلال - لا يمكن أن يقبل الشعب المغربي به في حين كانت القبائل تجتمع حول فاس وتحاصرها كمقدمة لاقتحامها التستر «صك البيع» أو تمزقها كما نشر ذلك مراسل جريدة

«الوقت» الفرنسية الذي كان يرافق البعثة الفرنسية التي فرضت معاهدة الحماية على السلطان وحده .

الغلوطة الشنيعة التي تورط فيها المستعمرون هي انهم ظنوا أن شعب المغرب سوف يرضى بالحماية الفرنسية والاسبانية . طالما رضي بها ووقعها السلطان عبد الحفيظ - الذي يلتف حول عرشه الشعب المغربي بسكنه البربر والعرب ، وما علموا أن الشعب المغربي هو الذي رفع احفاد القائم العلوي فوق عرش المغرب لأنه من أحفاد الرسول الأعظم (ص) ولكن مادام احفاد القائم يحافظون على استقلال المغرب ووحدة أراضيه وسيادته . . أما إذا انحرف واحد من احفاده فإن الشعب المغربي يصبح في حل من بيته ، وفي حل من الاعتراف بسلطته . . لأن حياة الشعوب ليست مرتئنة بحكم السلاطين إذا انحرفوا . وبالتالي فإن الشعب المغربي ليس ملزماً بالخضوع لما خضع له السلطان عبد الحفيظ ، واكره عليه لذلك ثار على المستعمرين وعلى السلطان بالذات لأنه خرج عن مقومات البيعة والسلطة . .

مدينة فاس ترفع لواء الثورة على المستعمرين

وبكل مهانة واستهتار حاول المستعمرون السيطرة على القوات المغربية في فاس ، ظناً منهم أنه في وسعهم تدجينها إذا ما حولوها إلى قوات يقودها ضباط فرنسيون . . فخابت ظنونهم ، لأن تلك القوات المغربية الملتهبة بالمشاعر الوطنية ما لبست أن تمردت وثارت وحمل الفاجندي منهم أسلحتهم وانقضوا على الضباط الفرنسيين فمزقوهم إرباً إرباً ثم انطلقوا إلى الشوارع يطلقون النيران بكثافة على كل من صادفوه من الفرنسيين العسكريين والمدنيين معاً ثم انضموا إلى صفوف القبائل التي كانت تحاصر فاس لإنقاذ السلطان والعاصمة من الاحتلال المستعمرات الأنذال .

وكانـت هذه الثورة التي اندلعت في فاس نواة للنضال الوطني المسلح والذـي سرعـان ما اصـبح ثـورة منظـمة تـتـأـجـع نـيرـانـها في كل انـحـاء المـغـرـب .

ويلاحظ هنا أنـ السـلطـان كانـ في المـاضـي يـسـارـع لـنجـدة القـبـائـل في الجـنـوب أوـ في الشـمـال إـذا دـاهـمـتها الـاخـطـار ، أماـ الآـن وـبـعـد أـنـ حـجزـ الفـرنـسيـون حـرـيـةـ السـلـطـان وـفـرـضـوا عـلـيـهـ الـاـقـامـةـ الـجـبـرـيـةـ فيـ فـاسـ بـحـجـةـ حـمـاـيـتـهـ ، فـإـنـ هـذـهـ القـبـائـلـ زـحـفـتـ لـتـخـلـيـصـ السـلـطـانـ مـنـ بـرـائـنـ المـحـتـلـينـ ، وـانـقـاذـ عـاصـمـتـهـ الـكـبـيرـةـ مـنـ الـوـجـودـ الـفـرنـسيـ النـجـسـ وـهـذـاـ دـلـيلـ عـلـىـ تـلـاحـمـ الشـعـبـ وـالـسـلـطـانـ عـنـ الـمـلـمـاتـ وـهـنـاـ صـعـقـتـ الـحـكـومـةـ الـفـرنـسـيةـ الـتـيـ كـانـتـ تـظـنـ بـأـنـ الشـعـبـ مـقـيدـ بـإـرـادـةـ السـلـطـانـ وـمـشـيـتـهـ ، فـإـذـاـ فـرـضـتـ عـلـيـهـ الـحـمـاـيـةـ ، اـذـعـنـ الشـعـبـ وـخـضـعـ رـاضـيـاـ بـمـاـ رـاضـيـ عنـ السـلـطـانـ .

الـسـلـطـانـ عبدـ الـحـفـيـظـ يـحـرـضـ الشـعـبـ عـلـيـ الثـورـةـ

واـشـتـدـ ذـعـرـهـ لـمـاـ توـالـتـ الـأـبـاءـ عـلـىـ بـارـيسـ بـأـنـ الثـورـةـ الزـاحـفةـ قدـ اـنـدـلـعـتـ فـيـ جـمـيعـ انـحـاءـ المـغـرـبـ ، وـانـ السـلـطـانـ عبدـ الـحـفـيـظـ الـذـيـ ثـارـ عـلـىـ أـخـيـهـ السـلـطـانـ عبدـ العـزـيزـ ، وـارـغـمـ عـلـىـ توـقـيـعـ «ـصـكـ الـعـبـودـيـةـ»ـ يـرـفـضـ الـتـعـاوـنـ مـعـ سـلـطـاتـ الـاحـتـلاـلـ . . . لاـ بلـ اـنـهـ يـتـعـاوـنـ مـعـ جـيـشـهـ التـاثـيرـ وـشـعـبـهـ الـمـنـاضـلـ الـذـيـ حـمـلـ السـلاحـ وـسـارـعـ إـلـىـ نـجـدـتـهـ وـتـخـلـيـصـهـ مـنـ وـرـطـتـهـ . . . وـتـلـكـ هـيـ اـبـعـدـ غـايـاتـ الـوـفـاءـ وـالـاخـلـاصـ وـأـسـمـاهـ . وـجـنـ جـنـونـ الـمـحـتـلـينـ الـفـرنـسيـينـ عـنـدـمـاـ عـلـمـواـ أـنـ السـلـطـانـ يـرـاسـلـ القـبـائـلـ الـثـائـرـةـ سـرـاـ وـيـحـثـهـ عـلـىـ الـثـورـةـ وـالـزـحـفـ الـمـقـدـسـ لـانـقـاذـ الـوـطـنـ بـوـاسـطـةـ مـوـظـفـيـ «ـالـمـخـزنـ»ـ أيـ الـحـكـومـةـ الـمـغـرـبـيةـ .

الـهـبـةـ بـنـ الشـيـخـ مـاءـ الـعـيـنـيـنـ يـقـوـدـ الثـورـةـ

وـجـاءـتـ الـأـبـاءـ مـنـ الـجـنـوبـ بـأـنـ «ـالـهـبـةـ»ـ بـنـ الشـيـخـ مـاءـ الـعـيـنـيـنـ قدـ اـعـلنـ

الثورة على المحتلين معلناً بأن السلطان أكره على توقيع معاهدة الحماية وأنه أي السلطان يدعو الشعب المغربي إلى الثورة وفقاً للعادات والتقاليد المغربية . لهذه الأسباب وغيرها انتدبت الحكومة الفرنسية الجنرال ليوتى حامل لواء الاستعمار الفرنسي ليكون مقيماً عاماً وقائداً أعلى للقوات الفرنسية في المغرب .

وما أن دخل الجنرال ليوتى مدينة فاس المحاصرة حتى أبرق إلى حكومته قائلاً: «أني اعسکر في مدينة، محاصرة» فأسقط في يد الحكومة الفرنسية ، ولكن بما أنها كانت تعتمد على دماء وقوة الجنرال ليوتى المحنك فقد تركت له الحرية في أن يتصرف على النحو الذي يراه مناسباً .

وقابل ليوتى السلطان وحاول بكلماته اللطيفة أن يستميله إليه ليحمله على التعاون معه ، ولكن السلطان أصر على عدم التعاون بعد أن استيقظ ضميره وعقله . . ولما حاول ليوتى أن يضغط عليه بالتهديد والوعيد أعلم بacsar وعندما تنازل عن السلطة فذعر ليوتى ، لأن تنازل السلطان عن السلطة معناه فقدان الورقة الأخيرة التي يلعبها المحتلون ويعترضون باقتناصها لإرغام الشعب المغربي على الرضوخ والاذعان فراح ليوتى من جديد يتلطف معه ليثنيه عن الاستقالة أو على الأقل تأجيلها إلى شعار آخر . .

انتقال السلطان عبد الحفيظ من فاس إلى الرباط .

ثم انتقل ليوتى الذاهية إلى موضوع آخر فاقتصر عليه نقله من فاس إلى الرباط لأن جو فاس المؤثر لم يعد متحتملاً . . وكان ليوتى باقتراحه هذا مدفوعاً بفكرة طرأت عليه وهي أنه طالما بقي السلطان في فاس والقبائل تتدافع وتتسابق لإنقاذه فإنه لمن العبث اقناعه بالتعاون مع السلطة الفرنسية المحتلة .

ولكن ليوتى لم يقل ذلك للسلطان بل راح يخوّفه من غضبة الشعب التائّر ضده ، لأنّه وقّع على معاهدة الحماية . . ولكن السلطان عبد الحفيظ كان يعرف بأنّ ليوتى يكذب ويحاول خداعه من جديد . . خصوصاً عندما قال ليوتى «بأنّ وجوده في الرباط سيجعله قريباً من الاسطول الفرنسي الذي سيتكلّل بحمايته من انتقام الشعب» .

واخيراً نقل السلطان إلى الرباط التي أصبحت العاصمة الجديدة للمغرب . . ولكن ليوتى لم يكف عن مناشدته التعاون مع قوات الحماية . . ولما لم تسفر محاولاتـه عن أيّ نتيجة إيجابية من قبل السلطان عاد إلى قرع طبول الضغط والتهديد والوعيد ، فكان جواب السلطان القاطع أنه توقف عن ممارسة مهام السلطة وتوقّع المراسيم والرد على رسائل «المخزن» ليعلم كلّ انسان في المغرب ، لا بل وفي العالم أجمع أنّ السلطان أسيـر في أيدي قوات الاحتلال الفرنـسـيـة وأنّ الشرعـيـةـ مـعـطلـةـ ، وأنّ الحكم مـعـجمـ . . وسرعاً ما انتقلت انباء موقف السلطان إلى القبائل المغربية التائرة فازدادت التيران اشتعالاً .

وصار حديث الناس في كلّ مكان يدور حول السلطان الذي أصبح أسيـراً بشخصـهـ وارادـتهـ ، ولكن قلـبهـ وضمـيرـهـ ما زـالـ معـ شـعبـهـ الـوـفـيـ . . وانطلقت الصـيـحةـ فيـ المـغـرـبـ . . السـلـطـانـ معـ الشـعـبـ . . السـلـطـانـ يـحـثـ علىـ الشـورـةـ . . عـلـىـ الـكـفـاحـ الـمـسـلـحـ . . اللهـ اـكـبـرـ .

وراح الشعب ينشـدـ الانـشـيدـ الوـطـنـيـ ، وانطلقت القبائل تهـزـجـ بأهازيـجـ الـحـرـبـ وـالـدـعـوـةـ إـلـىـ الـجـهـادـ . . لـانـقـاذـ الـوـطـنـ . . وـانـقـاذـ السـلـطـانـ وـطرـدـ الـمـسـتـعـمرـيـنـ الـكـفـارـ .



باب شالة في الرباط

بين ليوتى وعبد الحفيظ

وأرسل ليوتى إلى السلطان وفداً يسترضيه ويحاول تلطيف الأجواء لاستمالته ، ولكن المولى عبد الحفيظ رد على الوساطة قائلاً : ليس لدى أية سلطة حقيقة ، لا أستطيع تقديم النصائح . . لقد غلوا يدي ورجلى . . وقالوا لي أحكم فكيف أحكم؟ لذلك فاني ما زلت مصراً على الاستقالة ، وأفضل أن أكون آخر سلاطين الاستقلال على أن أكون أول سلاطين الحماية . .

وبينما كان هذا الحوار يجري بين السلطان وأسرىه الفرنسيين في الرباط ، كان الحصار حول مدينة فاس يشتد ويتفاقم ، وقوات الاحتلال الفرنسية يسيطر عليها الذعر من قوات القبائل التي تحاصرها ، والتي زاد تعدادها على عشرين الف مقاتل ، في حين كانت القوات الفرنسية لا يزيد عددها على أربعة ألوف جندي فرنسي . مما جعل ليوتى يقول في وصف ورطته : «لقد تأليب علينا وللمرة الأولى منذ أن بدأنا عملنا في المغرب مثل

هذا العدد من القبائل الشائرة المرتبطة باتحاد وثيق بعد أن تخلت عن خصوماتها ومنازعاتها الداخلية» .

ولكن محسن الصدف بالنسبة للقوات الفرنسية المحاصرة وأسوانها بالنسبة للمغاربة ساعدت الفرنسيين من حيث لا يعلمون ، وذلك عندما حصل الجنرال غورو الفرنسي على انتصار غير متوقع في «حجرة الكحيلة» الواقعة على مسافة ١٥ كيلو متراً من فاس ، إذ وجد فيها خريطة لمجموع العمليات التي كان الثوار المغاربة قد أعدوها للتنفيذ ، وكانت خريطة مفصلة تشرح خطة الثوار العسكرية ، فساعد ذلك على فك الحصار عن فاس واحتلالها في أول حزيران «يونيه» سنة ١٩١٢ .

وحتى ذلك التاريخ ، لم تكن القوات الاستعمارية الفرنسية قد استطاعت أن تتحل إلا الشاوية واطرافها ، ومنطقة الرباط ، ومنطقة فاس ، أما في الشمال من ذلك فكانت الرقعة التي يحتلها الإسبان ، وفي الجنوب منها منطقة زيان ، أما سائر بلاد المغرب فكانت تشتعل بالثورة .

نواب الجنرال ليوني لاحتواء الثورة

وضع الجنرال ليوني الذي كان يفضل فكرة احتلال المغرب سلماً بدلاً من الحرب - برنامجاً دعا فيه إلى توطيد الأمن والسلام في المناطق التي تحتلها فرنسا والاعتماد على التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وتحييد المناطق الأخرى من المغرب بكل الوسائل الممكنة ريثما يأتي دوراحتلالها .

وفي تلك الفترة ارتفع عدد قواته من ٥٦ ألف جندي فرنسي إلى تسعين ألفاً ، وبالرغم من ضخامة هذا العدد فإن تلك القوات كانت مبعثرة علمًا بأن الثوار المغاربة كانوا بحاجة إلى التنظيم والقيادة الرشيدة .

لذلك فقد أوكل الجنرال ليوتى منطقتي فاس والرباط إلى الجنرال غورو . فنجح في أول الأمر في تشتت القبائل الشائرة بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى ونظم مصلحة الاستخبارات ، وضم إليها بعض المرتزقة من المغاربة . واخذ يشجع الأعمال التجارية نزولاً عند طلب «لجنة الاحتياط الفرنسية» جاعلاً هدفه إثراء طبقة جديدة من التجار على أمل استهلاك غيرهم من المتمردين ، وفعل ذلك في منطقة مكناس معتمداً على الجنرال دالييه والكولونيل دوبلو ، في تأمين خط المواصلات بين الرباط وفاس وابعاد الشوار على تلك المناطق .

كما فعل مثل ذلك في مراكش والصويرة وأسفى لتحييد المناطق الخارجية باعطاء القواد الفرنسيين فيها صلاحية مطلقة .

ثورة الزعيم ماء العينين في الجنوب

كان هذا الزعيم المحلي يحشد قواته في موريتانيا والصحراء الغربية ، - وهو والد «الهبة» الزعيم الابن - لمساندة السلطان السابق عبد العزيز عندما كان متربعاً على عرش السيادة ، فلما تحول الشعب المغربي عن عبد العزيز إلى أخيه السلطان عبد الحفيظ وبايعه على مواصلة الجهاد ، تحول الشيخ ماء العينين بدوره إلى السلطان الجديد عبد الحفيظ متخلياً عن صديقه القديم السلطان السابق عبد العزيز فأخذ البيعة للسلطان عبد الحفيظ قبل أن ينتقل من مراكش إلى فاس ، وبقي يحشد القبائل في الجنوب ويتوسّع حركته إلى أن خلفه في زعامة القبائل الصحراوية ابنه «الهبة» الذي اعلن بأنه عدو لفرنسا وأنه سيعمل على تحرير المغرب من الوجود الفرنسي كله .

ولكن الحصار الذي فرضته السلطات الفرنسية على السلطان

عبد الحفيظ وشل يديه وقدميه عن العمل كما صرخ بذلك السلطان نفسه حمل «الهبة» على أن يعلن نفسه سلطاناً جديداً على المغرب في مدينة «ترنيت» فاستقبلت بلاد السوس اعلانه بمبaitته ليقود منها الكفاح المسلح

الفرنسيون يتخلصون من السلطان عبد الحفيظ

وما أن بدأت قواته فعلاً تتحرك نحو مراكش ، حتى أدرك الجنرال ليوتي بأنه لا يستطيع مباشرة الحرب على جبهتين ، فلجأ إلى الاستعانة بالعناصر المتخاذلة المتعاونة مع نظام الاحتلال الفرنسي ، لمقاومة قوات الهبة ، ومنعها من دخول مراكش ، وساعده في حملته السياسية الفنصل الفرنسي في مراكش ، فاضطر الزعيم الهبة إلى البقاء في إقليم السوس إلى أن تنازل السلطان عبد الحفيظ عن العرش .

وكان الفرنسيون قد قرروا التخلص من السلطان عبد الحفيظ لا صراوه على عدم التعاون مع قوات الحماية الفرنسية ، ولما اطمأن الجنرال ليوتي بأن الأخ الأصغر وهو المولى يوسف يمكن أنه يحل محل أخيه السلطان «فرض» ليوتي على السلطان عبد الحفيظ التنازل عن العرش . وفي ١٢ «اغسطس» آب عام ١٩١٢ غادر المغرب آخر حاكم مستقل من الأسرة العلوية في المغرب وهو السلطان عبد الحفيظ .

ولما كانت المصادرة بالسلطان الجديد يوسف متعددة لأن التقاليد الشرعية تنص على أن لعلماء مدينة فاس وحدهم الحق باختيار خلف السلطان المتنازل ، وذلك غير ميسّر في تلك الأونة فقد انتخب ليوتي السلطان يوسف الجديد في ١٤ آب «اغسطس» ، عام ١٩٢١ ، وبذلك يكون ليوتي قد أخذ الأمر على عاتقه وحده دون مبايعة من الشعب المغربي صاحب الكلمة الفصل في ذلك وأكثر من هذا فقد وضع ليوتي سياسة طبقية جديدة

بمساعدة ومناصرة طبقة مستجدة من زعماء المغرب وقادته لإلغاء الطبقة المتوسطة في الشعب المغربي ، مترسماً بذلك الخطة البريطانية في الهند التي دعمت امراء الهند على حساب القوى الشعبية وهي التي تبلورت أهدافها فيما بعد في «حزب المؤتمر الهندي» وفي شخص المهاجم غاندي وخليفة جواهر لال نهرو ، لذلك فقد اقتبس ليوتى ذلك التنظيم وطبقه في المغرب ، على امل أن يقوى مراكز الزعماء المحليين ورؤساء القبائل فاكتسب بذلك احترام ذلك البعض لأنه حاول الحفاظ على أنظمتهم وعاداتهم وشرائعهم (المزعومة) ولكن هذه الفئة من الزعماء المحليين ورؤساء القبائل سرعان ما أصبحت عناصر مناوئة للسلطان بعد أن استغلتهم المقيمون العاملون الذين جاؤوا بعد ليوتى حين وضعوا السياسة المحلية بأيدي الرجعيين والقطاعيين من امثال تهامي الجلاوى باشا مراكش وغيره .

ومع ذلك فإن ليوتى لم يستطع طوال الوقت الذي تولى فيه قيادة الأمور من قطف الثمرات التي غرستها يدها فسقط الحصاد في أيدي خلفائه .

ولما اطمأن ليوتى إلى أن أخا السلطان الأصغر ، مولاي يوسف يمكن أن يحل محل السلطان عبد الحفيظ . فرض عليه التنازل عن العرش . وكلمة «فرض» من اقوال ليوتى نفسه هذا مع العلم بأن السلطان عبد الحفيظ كان قد اعلن مراراً بأنه لن يتعاون مع سلططات الاحتلال والحماية وهدد بالاستقالة عدة مرات وكان ليوتى نفسه يرجوه أن يرجئ ذلك كما مر علينا .



السلطان يوسف بن الحسن الأول

الموسوعة المعاصرة للتاريخ

والأندلس

الفصل

الثانية



السلطان يوسف بن الحسن الأول

في ١٢ آب - اغسطس - سنة ١٩١٢ غادر المغرب «آخر حاكم شريفي مستقل» واتباعاً لامتياز قديم؛ كان لعلماء فاس وحدهم الحق في اختيار خلفه ، لذلك كان اختيار السلطان يوسف الجديد لا يعتبر قانونياً إلا بعد موافقة علماء فاس الشرعية والدينية . ولما احتل الهبة مراكش عاصمة دولة المرابطين اتجهت إليه الأنظار وانيطت بشورته الآمال الكبار لتحرير المغرب ، وفي الحال جرى اتصال بينه وبين حركة الكفاح المسلح في فاس ومكناس ، لتنسيق المواقف وتوحيد الأهداف فتم لزعماء الطرفين ما أرادوا . .

ليوتي يعتمد على التهامي العلاوي

هنا شعر ليوتي بالخطر - على حد قوله ، على الوجود الفرنسي في المغرب ، فأرسل قوة عسكرية بقيادة الكولونيل مانجان إلى نهر أم الربع لتصد قوات «الهبة» التي وصلت إلى محلة «ابن جرير» في منتصف الطريق بين مراكش وسطاط ولترمنع زحفه سواء باتجاه الشمال أو باتجاه بزاغان

وتادلا ، ريثما تصله امدادات عسكرية فرنسية جديدة تمكّنه من الانتقال من الدفاع إلى الهجوم .

ثم وضع الجنرال ليوتى جل اعتماده على العميل تهامي الجلاوى وقواته التي حشدتها من سكان الجنوب لتتأليب سكان مراكش على الهبة .

وراح تهامي الجلاوى يحضر المراكشيين سراً على «الهبة» فلما لمس من بعض الفئات استعداداً لمناصرته ارسل إلى الكولونيل مانجان يخبره بأنه مستعد لمساندته من داخل مراكش عندما تشرع قواته بمهاجمتها من الخارج . وكان الهبة في أثناء ذلك قد خسر أولى معاركه في سيدى عثمان وبذلك تمكّن الكولونيل مانجان من تحقيق مهمته الأولى في عشرة أيام بعد دخول الهبة مدينة مراكش ، كما حقق مهمته الثانية في تسعه أيام إذ دخل مراكش مع قواته واحتلها واتخذها قاعدة حربية لجيش الاحتلال الفرنسي في الجنوب .

يقول المؤرخون أن «الهبة» ارتكب خطأً فاحشاً في إبان ثورته مما عجل في اجهاضها وقد المح إلى هذا الخطأ - فيما بعد - البطل الكبير عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف ، ودونها المرحوم علال الفاسي في كتابه «الحركات الاستقلالية في المغرب» والمخطأ المقصود هو أنه نادى بنفسه سلطاناً ، وهو نفس الخطأ الذي اقترفه أبوه الشيخ ماء العينين من قبله ، لأن كل حركات تحرير المغرب كان يجب أن تكرس جهودها للتحرير والاعتراف في الوقت نفسه بقيادة السلطان على رأس الشرعية حتى إذا تم طرد الأعداء المحتلين بقي السلطان على رأس المغرب المستقل . ولكن هل كان السلطان يوسف حراً في ذلك الوقت ??

هذا الرأي كان من الممكن الأخذ به لو أن ارتقاء السلطان يوسف

عرش المغرب كان شرعياً ، وفقاً للتقاليد المغربية التي تؤكد بأن السلطان كان يجري انتخابه عادة من المشايخ والعلماء وأعيان مدينة فاس وبما أن هذا التقليد لم ي العمل به ولم تقيده به سلطات الاحتلال الفرنسي التي اكتفت بانتخابه وتعيينه سلطاناً محجوراً عليه ، دون أخذ آراء العلماء والمشايخ والأعيان في فاس . فالسلطان وفقاً لذلك لم يكن ممتعاً بتأييد شعبه ولا بموافقته ومحض رضاه .

ولقد برهنت الأحداث على أن السلطان يوسف كان مقيداً بأوامر وتعليمات السلطات الفرنسية الممثلة بالجنرال ليوتوي وهيئة أركان حربه ، الذين كانوا يوزعون إليه بالتوقيع على مقررات من وضع الجنرالات المشار إليهم ، الأمر الذي كان قد رفضه من قبل أخيه الأكبر السلطان عبد الحفيظ .

وبما أن الشعب المغربي له مصالحه والتزاماته بمتابعة واستمرار عمليات الجهاد . فإن القرارات التي كانت تقدم للسلطان يوسف من قبل أخيه . كان يفرض عليه بالضغط الشديد أن يوقعها . وهي قرارات كانت تدعو إلى وقف الجهاد وإطاعة الأوامر الصادرة عن هيئة الأركان الفرنسية - على اعتبار أنها أوامر السلطان .

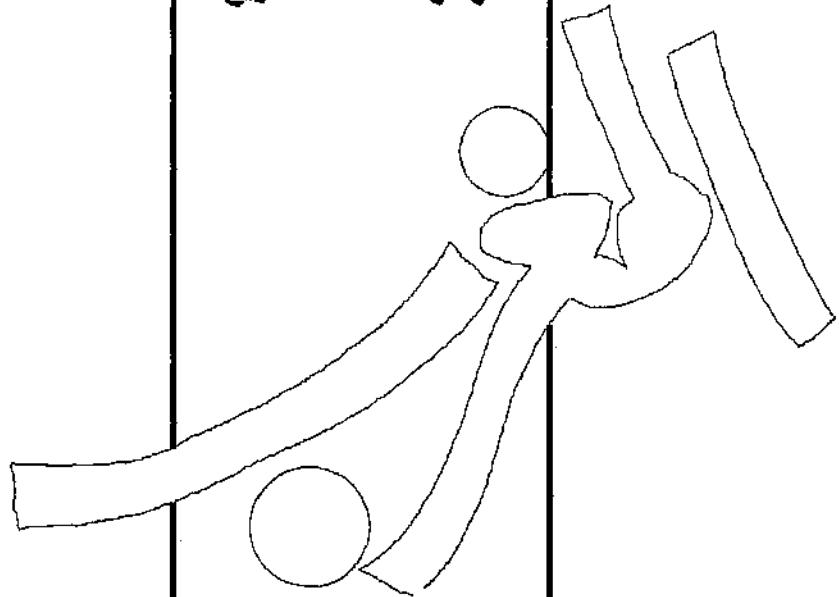
وبالرغم من احتلال مراكش من قبل الفرنسيين بمساعدة تهامي الجلاوي المتعاون مع القوات التي تحتل وطنه ، فإن ثورة الهبة ظلت مشتعلة في الجنوب - منطقتها الحيوية ، ولكنها فقدت روعتها وتطلعات الشعب المغربي إليها ، الذي كان يتعلق بحال كل ثورة ضد الفرنسيين تهدف إلى طردتهم واجلائهم عن اراضي الوطن .

وتمادي تهامي الجلاوي في تقديم خدماته للقيادة الفرنسية ، وعلى

الأخص عندما كلفه الجنرال ليوتي تنظيم قبائل الأطلس الكبير ، ومنعها من الشورة لتفف حاجزاً في وجه ثورة الهبة وقواته حتى يظل الهبة بعيداً عن «تارودانت» تمهيداً لمنع قبائل السوس الأوسط والادنى من الاشتراك في الكفاح المسلح ، إلى أن سقطت أغadir بآيدي الفرنسيين وهي المرفأ الذي كان يمئون الهبة وقواته بالامدادات .

ومع أن الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كانت قد اندلعت في أوروبا والشرق الأوسط ، فقد بقيت قوات الهبة شوكة حادة في خاصرة قوات الاحتلال الفرنسي - واستمرت تقاتل في الساقية الحمراء ، كما أن الكفاح المسلح في الأطلس الكبير وببلاد السوس لم يتوقف ضد قوات الحماية الفرنسية قبل أوائل عام ١٩٣٥ ، وهكذا استمرت ثورة الأطلس الكبير وثورة الجنوب مشتعلتين اثنين وعشرين عاماً . . مضى معظمها في عهد المولى يوسف الذي عينه الجنرال ليوتي سلطاناً على المغرب خلفاً للسلطان السابق عبد الحفيظ .

الموسوعة العامة ل التاريخ



والأندلس

الفصل
الحادي عشر

ثورة الأطلس الأوسط

ثار الأطلس الأوسط على معايدة الحماية الفرنسية ، كما ثار الجنوب بصحراه المغربية ، وكانت ثورة الأطلس الأوسط مواكبةً لثورة الجنوب ، ودامت أحدي وعشرين سنة - أي إلى عام ١٩٣٣ .

وقد استعمل الجنرال ليوتى كل اساليب الخداع والمكر والدهاء التي طبقها على ثورة الجنوب ، كما استعمل نفس الاساليب خلفاؤه الذين حلوا محله في القيادة الفرنسية ففي المغرب بعد استدعائه من قبل حكومته للاشتراك في الحرب العالمية الأولى .

وقد تميزت ثورة الأطلس المتوسط بعنفها وقوتها وضخامتها لدرجة أن الجنرال «كيوم» الفرنسي وصفها بقوله : «ما من قبيله في الأطلس الأوسط انضممت إلينا ، أو خضعت تلقائياً من ذات نفسها ، وما من قبيلة رضخت بدون قتال ، ودون ان تستنزف كل طاقاتها في محاربتنا» وهذه شهادة لها قيمة تاريخية من حيث انها اعتراف صادر من جنرال فرنسي قاد المعارك ضد ثورة الأطلس الأوسط .

ومن هنا يتضح أن المغرب الكبير كان مخضبًا بدماء أبنائه الأوفياء البررة ، فإلى جانب نهر الدماء الذي كان يجري بدماء سكان الجنوب وصحرائه المغربية ، كان ثمة نهر آخر يجري بدماء ابناء الأطلس الأوسط فوق مرتفعاته وسفوحه .

وكان الجنرال ليوتى مهتماً باحتلال الأطلس الأوسط بسبب غاباته الواسعة الخضراء وسبب ثلوجه المتتساقطة والتي كانت تجلله ببساط ناصع البياض ولأن تلك الثلوج كانت تعتبر الخزان الأعظم الذي يمد بالمياه العذبة ثلاثة من أهم أنهار المغرب وهي : نهر أم الربيع ونهر الملويه ، ووادي العبيد . وكان لهذه الانهار عدا عن ميزتها الكبرى بتزويد السكان بمياه الشرب . وري المزروعات ، هي انها ستصبح في المستقبل مصدرًا هاماً للطاقة الكهربائية بعد انشاء السدود لري المزروعات وتوليد الطاقة الكهربائية .

ومرت ثورة الأطلس بعدة مراحل جرت خلالها معارك بطولة رصعت تاريخ المغرب بالمجد والفخار ، وقد بدأت أهم المعارك فيها عندما شرع الفرنسيون بشق طريق «تازا» لوصول المغرب الغربي بالمغرب الشرقي .

الجنرال ليوتى يحاول تطبيق الثورة

وكانت عملية شق طريق «تازا» داخله في نطاق الخداع الفرنسي ، لأن القيادة الفرنسية استخدمت عملاً من المغرب جاءت بهم من عدة أماكن ، بمساعدة الخونة المتعاونين مع قوات الحماية - وذلك لامتصاص النقطة العمالية وتشغيلها واكتساب اكبر عدد من العمال الذين كان من المفترض أن يحملوا السلاح لمحاربة الفرنسيين .

وقد وضع الجنرال ليوتى بقلمه خطة تلك المعركة فعقد مؤتمراً في

«وجدة» في يناير عام ١٩١٤ ، حضره قائد المنطقة الشرقية وقائد منطقة فاس الفرنسيين ، وأصدر أوامره إليهما بأن يقوموا بهجوم مشترك - أثناء العمل في مد خطوط سكة الحديد من المنقطتين نحو مدينة تازا .

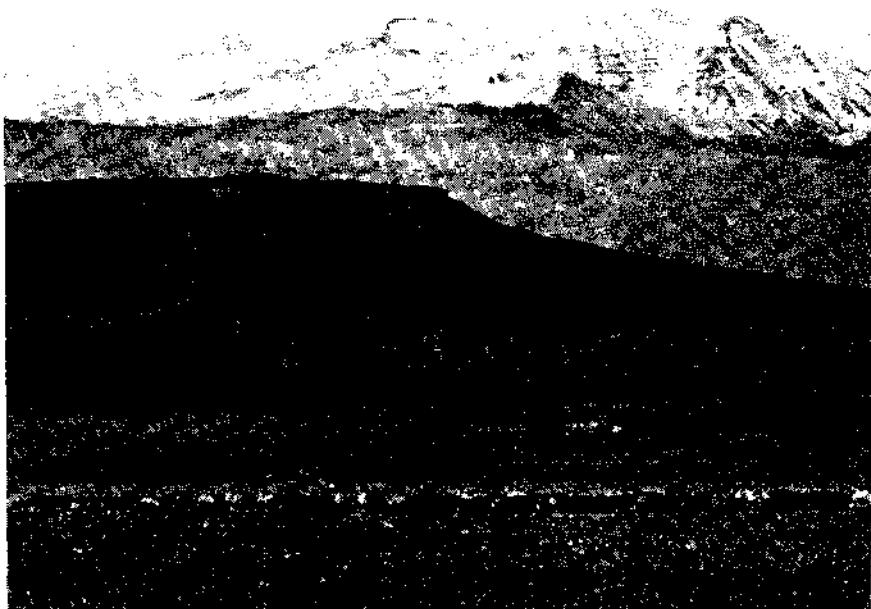
الحجاوي يقود قبائل التسول

وقد قاوم الحجاوي الذي كان يترأس ثورة قبائل «التسول» «وغياثة» الرمح الفرنسي ، وخاض ضد القوات الفرنسية سلسلة من المعارك الحامية الوطيس ، استمرت زهاء خمسة أشهر . ولكن قوات الجنرال غورو تمكنت من التغلب على قبائل التسول ، مما حدا بالجنرال ليوتوي إلى أن يصرح بالمعلومات المدونة التالية: «من ١٠ إلى ١٦ مايو «أيار» عام ١٩١٤ ، خاض الجنرال غورو أكثر من مئة معركة عنيفة ضد خمس عشرة قبيلة متعددة ومتجمعة على ثلاث قمم جبلية متتالية ، وقد قاومت قبائل التسول مقاومة ضارية من صخرة إلى صخرة ومن كهف إلى كهف ، وكانوا يطلقون علينا النيران من مسافة ١٠ أمتار فقط ، وحاربونا بالسلاح الابيض ، وهذا مما جعل معارك تلك الفترة من أضري معارك المغرب وأشرسها» .

الجنرال ليوتوي يستخدم سلاح الطيران

ولكن الجنرال ليوتوي لم يذكر في مقولته هذه أن سلاح الطيران الفرنسي اشترك في هذه المعارك ضد قبائل التسول ، كما تجنب الخوض في هذا الموضوع - ولم يحدد الخدمات الرائعة التي قدمها سلاح الطيران الفرنسي للقوات الفرنسية الزاحفة وتعتقد بعض المصادر المغربية والدولية «أنه لو لا اشتراك سلاح الطيران الفرنسي بمعارك الأطلس ، لما استطاعت قوات الجنرال غورو تسلق سفوح الجبال للوصول إلى معاقل الشوار في القمم .

ففي تلك السنة كان ظهور الطيران مفاجأة لسكان المغرب الذين كانوا يحاربون بالبنادق والسيوف والخناجر ، ولم يكن لديهم أسلحة مضادة للطائرات ، ومع ذلك ، فإن قوات الجزائر غورو ولم تستند كثيراً من تغلبها على قبائل التسول ، إذ كان عليها أن تخوض معارك أشد ضراوة مع قبائل «غياته» استمرت أربعين يوماً ، حتى تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على وادي عنان لتصل شرقى المغرب بغربه .



جبال الأطلس

الموسوعة العامة ل التاريخ

والأندلس

**الفصل
العشرون**

محا او حمو والمعارك في زيان

خاضت قبائل زيان بقيادة زعيمها «محا او حمو» معارك هائلة لمنع القوات الفرنسية بقيادة الجنرال هنري من احتلال بلادهم ، وكان الماريشال ليوتوي يعلق اهمية كبرى على احتلال مناطق زيان لانها تسيطر على خط المواصلات المباشر بين مراكش وفاس عبر نهر أم الربيع وخنيفره ، لذلك حشد ثلاثين الف مجند لهذه الغاية .

وقد استمرت المعركة الحاسمة لاحتلالها مدة ٤٨ ساعة تمكنت خلالها القوات الفرنسية من احتلال خنيفرة وتحقيق اتصال الشمال بالجنوب .

وكانت هذه المعارك قد بدأت في عام ١٩١٣ أي قبل اندلاع الحرب العالمية الكبرى . ولم تكن قوات الزعيم «محا او حمو» قد استكملت استعداداتها لخوض القتال مع الجيش النظامي الفرنسي ، فلما خسر «محا او حمو» المعركة قرر الانسحاب إلى الجبال وهي ميدان القبائل الطبيعي

للاستعداد وحشد القوى من جديد .

فلما اندلعت الحرب العالمية الأولى ، وجد الزعيم الزياني الفرصة سانحة أمامه لمباشرة القتال والدفاع عن منطقته فشن هجوماً - لم يكن موفقاً - على خنiferه لاستردادها ثم أعاد الكرة في هجوم معاكس قاده ضد القوات الفرنسية التي هاجمت معسكره في «الحرى» على مسافة ١٥ كيلو متر من خنiferة فانتصر على أعدائه الفرنسيين انتصاراً مدوياً خسر فيه الفرنسيون ٣٣ ضابطاً من ضباطهم الاربعة والاربعين الذين خاضوا المعركة ، كما فقد جيش الجنرال هنري نصف قواته ولما هزم الجيش الفرنسي خلف وراءه العديد من مدافعه ورشاشاته وبنادق جنوده . واعترف الماريشال ليوتوي بالهزيمة فقال : «لم يسبق لفرنسا في تاريخها الاستعماري أن منيت بمثل هذه الخسارة والتدمير في قوة هامة من جيشهما ، وفي مثل هذا العدد من ضباطها ، وبما فقدته من اعتدة كثيرة» .

وكان صدى ذلك الانتصار مدوياً في الجبال والسهول والمدن فرفع الروح المعنوية لدى جميع المحاربين المغاربة في كل الميادين وعلى الأخص بين قبائل الأطلس ، بعد أن عرض الزعيم «محا او حمو» غنائمه من الأسلحة الثقيلة على القبائل المحيطة به . . ولكن الوقت الذي أضاعه سدي في عرض غنائمه بدلاً من الاستعداد لاسترداد الخنiferة ، مكن الجنرال هنري من إعادة الكرة عليه واسترداد معظم اسلحته الثقيلة التي خسرها في معركة «الحرى» المشار إليها . .

ومع ذلك فقد بقيت معارك الأطلس الأوسط مستمرة إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٨ . فخاضت قبائل «محا او حمو» معارك ضارية في عدة ميادين ، ومنها الميدان الشمالي الشرقي الذي تسكنه قبائل «بني وراين» التي أسهمت في القتال ، وكبدت الجيش الفرنسي خسائر

كبيرة في الأرواح والأعتقدة الحربية . . دون أن تتوصل إلى نتيجة حاسمة .
وظل القائد الزعيم «محا أو حمو» يقود القتال ببسالة فائقة إلى أن
استشهد عام ١٩٢١ مسجلاً اسمه في سجل الابطال المغاربة الحالدين .

الفرنسيون يسيطرؤن على طريق فاس خنيفرة - مراكش

وقد استفاد الفرنسيون من استشهاد ذلك البطل المثالي في شجاعته
وحزمه وقوة احتماله ، ولكن أولاده تضعضعوا بعد مقتل أبيهم فاستجابوا
لإغراءات الفرنسيين وخداعهم فانضموا إليهم بدلاً من أن يقتدوا بأبيهم
البطل .

وفي عام ١٩٢٣ نجح الفرنسيون في احتلال مراكز لهم في جنوبى
الاطلس فسيطروا على وادي «ام الربيع» وعلى طريق فاس - خنيفرة -
مراكش .

عندئذ اعلن ليوتى انجاز المرحلة الأولى والأهم من احتلال ذلك
الجزء من المغرب أي «المغرب النافع» مغرب المدن والعواصم والموانئ
والسهول وطرق المواصلات في حين بقى في حسابه «المغرب الذي لا غنى
عنه» الا وهو مغرب الجبال والمناطق الصحراوية .

معارك وادي ورفة وزان

وكانت المعركة ما تزال محتدمة في الميدان الواقع بين المنطقتين:
الأسبانية والفرنسية والممتدة من الغرب إلى الملوية في محاذاة ممر تازا -
فاس من الجهة الشمالية ، وقد حاربت في هذا الميدان قبائل بني وزان بقيادة
زعيمها عبد الملك ، وكان يتلقى العون والمساعدة من المحتلين الإسبان ،
فاستقر في ضفة ورقة اليمنى ، فانضم إليه قبائل وادي ورفة ، ومع أنه لم

يُسجل انتصارات حاسمة على الفرنسيين بقيادة الجنرال بويمير ، لأن بني وزان تقاعسوا عن نصرته متأثرين بنفوذ الشريف الدرقاوي الذي صانع الفرنسيين على حساب وطنه .

وبذل الفرنسيون جهوداً مضنية بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ لاحتلال المنطقة الشمالية الغربية المتاخمة للحدود الاسبانية ولكنهم لم يتمكروا إلا من احتلال «وزان» التي كانت قبائلها تعتمد على قبائل «الجبالا» في المنطقة التي يحتلها الاسبان وقد خاض الجنرال بويمير والفرنسي معارك متheeة ليثبت بقاءه في وزان لما لهذه المدينة من أهمية دينية واقتصادية .

الموسوعة العامة ل بتاريخ

والأندلس

**الفصل
الحادي
والعشرون**

ثورة جبال الريف من محمد أوزياني إلى عبد الكريم الخطابي

كانت إسبانيا ما تزال تحتفظ بقواتها في سبته ومليلة الواقعتين في شمال المغرب على شاطئ البحر المتوسط ، وكان عليها أن تتوجل في جبال الريف لاحتلالها أسوة بجيش الاحتلال الفرنسي الذي كان يحارب على كل الجبهات في المغرب - على اعتبار أن فرنسا كانت في أوج قوتها وعظمتها الاستعمارية والمالية والاقتصادية ، أما إسبانيا التي انهكتها الحروب البرية والبحرية ضد بريطانيا في مستعمراتها وفي بحر الشمال فقد بدأت تدخل في مرحلة انهيارها وضعفها بعد أن فقدت مستعمراتها في أمريكا الجنوبية ، وكوبا والفلبين اللتين انتزعتهما الولايات المتحدة منها .

ولكن كان عليها أن تفكك كثيراً وأن تحشد قوات كثيفة لتمكن من فرض سيطرتها على جبال الريف المغربي ، وكان سكان هذه المنطقة يعيشون في شبه استقلال لا يقرون التفاوض مع أي جهة كانت ، ولم تخضع منطقتهم لأية حكومة محلية ، وكانت هذه العوامل مجتمعة هي التي تكونت

منها «الملحمة الكبرى» ملحمة جبال الريف ضد القوات الإسبانية ، فكانت مفخرة للعروبة والاسلام بقيادة الأمير البطل عبد الكرييم الخطابي .

ولكن قبل ظهور الأمير عبد الكرييم فإن منطقة الريف كانت قد خاضت حرباً لا هواة فيها مع الإسبان بقيادة بطل الريف الأول محمد أمزيان منذ عام ١٩٠٩ عندما انزل الجيش الإسباني ثلاثة من فرقه في ضواحي مليلاة لينطلق منها نحو منطقة الريف الجبلية . فتحركت القبائل بقيادة محمد أمزيان المذكور واصطدمت بالجيش الإسباني في معارك عسكرية عديدة طوال ستين ، وقد قدر الإسبان خسائرهم خلال هاتين السنتين بعشرة ألف قتيل . من بينهم جنرالان كبيران ، ثم استؤنفت المعارك سنة ١٩١٣ بين قبائل الريف والجيش الإسباني ، عندما تحرك الأخير لاحتلال مدينة شفشاون التي بناها المهاجرون الاندلسيون على الطراز الأندلسي وانتهت تلك المعارك بهزيمة الإسبان فطاردهم أبناء الريف إلى تطوان وحاصروها ، ولم تتوقف تلك المعارك إلا عندما اتفقت الحكومة الإسبانية مع عمليها الخائن الرسولي فور تعيينه حاكماً على منطقة المغرب الشمالية ، بموجب اتفاقية استمرت إلى ما قبل اندلاع ثورة الأمير عبد الكرييم الخطابي بوقت يسير .

ومن المعروف أن مناطق الريف الواقعة في شمال المغرب تنحدر انحداراً شديداً حتى تلامس قدماتها مياه البحر الأبيض المتوسط في الشمال ثم تنحدر انحداراً محدوداً إلى جنوب طنجة صوب المحيط الأطلسي . وهي منقسمة إلى قسمين : القسم الشمالي الممتد من مليلاة إلى سبتة ، والجزء الغربي الممتد من طنجة حتى مدينة العرائش . وكانت هذه المنطقة واقعة تحت الاحتلال الإسباني وفقاً للاتفاقات الثنائية التي عقدتها المستعمرون فيما بينهم منذ عام ١٩٠٢ وحتى العام ١٩٠٤ . وتعدّت بمعاهدة الحماية سنة ١٩١٢ .

وكان السكان في هذين القسمين من منطقة الاحتلال الإسباني يختلف بعضهم عن البعض الآخر في بعض الصفات والمزايا وإن كانوا متشابهين بحب الحرية والاستقلال .

وكانت منطقة «الجبال» الواقعة في جنوب غربي طنجة قد تأثرت كثيراً بالعرب نتيجة لقلة التضاريس وقلة صعوبة المواصلات فيها ، ونتيجة لقرب سكانها من مراكز الثقافة العربية في سهول الغرب المطلة على المحيط الأطلسي - حيث كانت تسكن قبائلبني هلال كما اوردنا ذلك في الفصول الماضية ، أما منطقة الريف الواقعة شرقي المنطقة الأولى والتي تمتد منها سلاسل الجبال الشاهقة فقد ظل ابناءها يحتفظون بتقاليدهم ولغتهم الكنعانية - البربرية رغم اعتزازهم بالاسلام .

الأمير عبد الكريم الخطابي

وقد عرفت قبائل الريف منذ فجر التاريخ باسم الأمازيغ» وتمكنـت من الاحتفاظ باستقلالها بالرغم من خضوع اييريه «الاندلس - اسبانيا» وطنجه والجزائر للسيادة الرومانية القديمة ، وبالرغم من اصرار الحكومة المغربية على أن تكون لها السيادة على منطقة الريف - فان تلك السيادة ظلت اسمية .

وكانت قبائل «بني ورياغل» أشهر قبائل الريف تسكن الاقليم المواجه لميناء الحسيمة وساعدها ذلك على أن تصبح أكثر من غيرها عداءً للمستعمرين ، وأكثر من غيرها قوة نتيجة لامتلاكها الاراضي الزراعية ، وكان وجود ميناء الحسيمة في أيدي رجال الريف قد مكنتهم من الاحتفاظ به نافذة حرة مفتوحة على العالم .

وفي السنوات الأولى من القرن العشرين اختارت قبيلة بنى ورياغل

الأمير عبد الكري姆 الخطابي «الأب» رئيساً لها^(١) وكان مشهوراً بالحكمة والشجاعة والحزم والرغبة في تقدم بلاده وتحضيرها . وهو يعود بنسبة إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وهو والد البطل عبد الكريمة الخطابي الذي تلقى عنه الحكمة وكثيراً من شؤون الإدارة والسياسة والحكم .

وإلى الغرب من هذه المنطقة كانت قيادة الريسيوني الخائن المتحكم في منطقة «الجبالا» كما أسلفنا تحت الاحتلال الأسباني .

وقد جاءت الاتفاقيات الفرنسية الإسبانية في ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٤ - وفي ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٢ - فوضعت السيادة الاسمية لسلطان المغرب وطبقاً لأنقابه التقليدية في المنطقة تحت الحماية الإسبانية .

وقد حاول الأخوان مانسمان الألمانيان الاتفاق مع عبد الكريمة الأب ، للتنقيب على المناجم المعدنية في مناطق الريف ، ثم اتصلاً بالسلطان المغربي عبد العزيز سنة ١٩٠٩ للمحصول فيه على امتياز لاستغلال مناجم المنطقة ، ثم جدوا المحاولة بعد إعلان الحماية الإسبانية بالاتفاق الفرنسي - الإسباني في ٢٧ نوفمبر ١٩١٢ في عهد السلطان عبد الحفيظ ولكنهما وجداً أن إسبانيا عاجزة عن مد سلطاتها الفعلية إلى بلاد الريف ، فاقتراحاً على الحكومة الإسبانية إنشاء شركة استغلال استعمارية ، ولكن هذه الحكومة رفضت المشروع . فقام سلطان المغرب وبإيعاز من فرنسا باصدار مرسومين في ١٩ و ٢٠ يناير سنة ١٩١٤ ، بتكوين لجنة تحكيم للفصل في الادعاءات والمنازعات المتعلقة باستغلال الشروة المعدنية والمناجم في الريف المغربي ، ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى عطل عمل لجنة التحكيم .

(١) ينكر بعض المؤلفين الفرنسيين هذا الانتساب ويعتبرونه انتساباً سياسياً .

ولما وضعت الحرب أوزارها ، ظهر أحد رجال الأعمال الإسبانيين وهو يحمل اتفاقاً مع الشركة الألمانية ، ويدعى إيشيفاريتدى بالباو وهو يريد أن يبني المشروع بكماله . . فراح يتفاوض مع أسرة الخطابي في الوقت الذي بدأ فيه الجنرال سيلفستر زحفه الفاشل على «أنوال» في يوليو سنة ١٩٢١ . وجاءت العمليات الحربية لتضع نهاية لتلك المفاوضات لاستغلال مناجم المعادن في الريف .

و قبل أن تشن إسبانيا حربها الظالمة على القبائل الريفية ، كان الأمير عبد الكريم الأب قد أرسل ابنه الأصغر محمد الخطابي إلى مدينة مالقة في إسبانيا للدراسة ، ثم أرسله بعدها وللغرض نفسه إلى مدريد للتخصص في هندسة المناجم والتعدين .

أما ابنه الأكبر محمد عبد الكريم - ويلاحظ أن الاثنين كانوا يحملان اسماءً واحداً يبدأ بـ«محمد عبد» - والذي سيخلفه في الحكم فيما بعد ، فقد أرسله والده لدراسة العلوم العربية والدينية - خصوصاً علوم الشريعة والفقه الإسلامي في جامعة فاس ولما اتم ذلك انتقل عبد الكريم إلى مدينة مليلاة واشتعل بالقضاء الشرعي قاضياً للقضاة وعمل بعدها في تحرير جريدة «تلغراف الريف» ثم مستشاراً للسلطات الإسبانية في الشؤون العربية .

وقد ساعدت دراسة الأمير عبد الكريم الابن في فاس ، وعمله في سلك القضاء والصحافة على تكوين شخصيته المدنية ، واعداد شخصيته العسكرية لكي يسجل اسمه بحروف من نار في سجل الكفاح والنضال في المغرب ضد الاستعمار الإسباني والفرنسي .

وسرعان ما أصيب الأمير الشاب بخيبة الأمل بعدما أعلنت إسبانيا حمايتها على شمال المغرب .

وأجرت مراسلات بين الأمير عبد الكريم الأب والسلطات الإسبانية احتجج فيها على بادرة الحكومة بوضعها مناطق الريف تحت حمايتها . فأرسل إليه الجنرال خورданا يستدعيه لتقديم فروض الطاعة والولاء في الحسيمة ، ولما رفض الأمير عبد الكريم الأب الدعوة أمر الجنرال بالقاء القبض على ابنه عبد الكريم الموجود في مليلة وزوجه في السجن حيث بقي يُعاني من الآلام النفسية المبرحة لزوجه ظلماً في السجن بدون ذنب يستحق عليه هذه العقوبة وهو الذي كان قاضياً يحاكم المجرمين .

وظل الأمير في السجن أحد عشر شهراً ، ثم أطلق سراحه لكي يوضع تحت المراقبة ستة أشهر أخرى ، بحجة أنه تدعى على أحد ضباط الشرطة الإسبان .

وقد انتظر الأمير عبد الكريم الأب الإفراج عن ابنه الأكبر وعودته ابنه الثاني من مدريد ، وما أن وصل إلى «أجدير» حتى أعلن الأمير الأب القطيعة بينه وبين إسبانيا .

وبعد الأمير الشيخ عبد الكريم يستعد لمقاومة الاحتلال الإسباني فحشد رجال القبائل من حوله . ولما احتل الإسبان «تقرسيت» في أغسطس «أب» سنة ١٩٢٠ وموقعها في أعلى نهر القرط ، على الطريق الموصل بين مليله والحسينية ، زحف عبد الكريم الأب بقواته على المدينة المحتلة «تقرسيت» وحاصرها زهاء عشرين يوماً ، ولكن المنية عاجله - بسببشيخوخته - أثناء الحصار فاضطُلع الأمير عبد الكريم الأكبر سنًا من أخيه الأمير محمد عبد الكريم - بالقيادة واشترك مع الأخرين ، عمهم عبد السلام الخطابي . حيث اتفق ثلاثة على وجوب طرد الإسبان وتحرير الشواطئ المغربية من الاعداء .



الأمير محمد بن عبد السلام بن الخطاب

وكانت اسبانيا قد سلحت قواتها بأحسن ما انتجته المصانع الغربية الاوروبية في فترة الحرب العالمية الأولى وما بعدها ، ولكن الجنود الاسبانيين كانوا يفتقرن إلى الانضباط وحسن التدريب ، أما ابناء الريف المغاربة فقد كانوا يفتقرن في أول الامر إلى الاسلحة الحديثة ولكنهم تمكنا من الحصول عليها بعد المعارك الأولى التي غنموا فيها من الاسبان أعداداً كبيرة . وكانت القوات الاسبانية موزعة على ثلاثة محاور ترأسها ثلاث قيادات : الأولى في مليليه في الشرق ، والثانية في سبته المطلة على المضيق ، والثالثة في العرائش المطلة على المحيط الاطلسي جنوب طنجه

معركة انوال

كانت الحكومة الاسبانية قد عينت الجنرال «بيرينخر» في أول سبتمبر ، قائداً عاماً للقوات الاسبانية في شمال افريقيه ، علاوة على انه مندوب سام في المنطقة . ثم فرضت عليه الجنرال سيلفستري .

وكانت خطة الجنرال بيرنخ تقضي باخضاع المناطق واحدة بعد الاخرى ، ومنها المنطقة التي كان يحتلها الريسوني عميلهم السابق الذي فرض حمايته على منطقة تازروت .

ولما وصلت قوات بيرنخ الاسبانية إلى مسافة ست كيلو مترات من تازروت فيما بين ٢٥ يونيو و ١٦ يوليو سنة ١٩٢١ ، وجه انذاراً إلى الريسوني يأمره بالاستسلام في مهلة تنتهي في ٢٣ يوليو .

ومن جهة أخرى كان الأمير عبد الكريم قد شن هجوماً كاسحاً على القوات الاسبانية في «سيدي بيسان» قتل فيه ٣١٤ اسبانياً مقابل ١٧ شهيداً من القوات الخطابية .

وعندئذ ، حشد الاسبان قوة عسكرية قوامها ١٩ الف جندي ، واستدوا قيادتها للجنرال سيلفستري ، الذي خيل له الوهم بأنه ذاهب في نزهة ، لذلك سارع في زحفه للانقضاض على قوات عبد الكريم الخطابي دون أن يحتاط لحماية جناحه جيشه . فاحتل في غربى نهر القرط ، دار داريوس ، في شهر أيار «مايو» ثم تفرسيت في شهر آب «اغسطس» فاعتقد أنه في نزهة حقيقة ولم يدر بخلده أن الامير عبد الكريم كان يستدرجه إلى داخل المناطق الجبلية .

وكان الكولونيل موزاليس قائد شرطة مليلية قد نصّح الجنرال سيلفستري باستخدام السياسة بدلاً من القوة والشدة والعنف مع الامير الخطابي ، ولكن سيلفستري اصم اذنيه ، ودون ان يستشير القائد العام الجنرال بيرنخ ، احتل جبل عبران في أول يوليو عام ١٩٢٠ الواقع على مسافة ١٢ كيلو متراً من «أنوال» ويطل على الحسيمة ومنطقة أجدير مركز قبيلة ورياغل .

وفي اليوم الذي احتل فيه سيلفستري جبل عبران هاجمه الامير عبد الكريم بقواته ليلاً .

وكانت الحامية الاسپانية المعسکرة في جبل عبران بعد احتلاله تتألف من ٢٥٠ جندياً منهم مئتان من المجندين المغاربة ، وما أن بدأ القتال حتى اسرع المجندون المغاربة وأسلحتهم في أيديهم وانضموا إلى اخوانهم المغاربة في قوات الامير عبد الكريم الخطابي ليسيطروا مثلاً رائعاً عن وحدة الشعب المغربي في مختلف الظروف والأحوال ثم واصلت قوات عبد الكريم الهجوم على المواقع التي كان الاسپانيون قد احتلوها في شهر دیسمبر ویناير ، وطلبت حامية «ایجر بین» الاسپانية امدادها بالماء والمؤن

فأرسل سيلفستري طابوراً لنجاتها .

وشعر الجنرال سيلفستري بخطورة الموقف «بعد أن تبخر من رأسه الوهم بأنه مقبل على نزهة» فراح يجمع قواته الموجودة في قطاع مليله ويركزها في موقع «أنوال» وحاول أن يشن غارات جديدة لفك الحصار على ايجربين ولكن رجال الريف كانوا قد حصنوا خطوطهم حولها فردوا الاسپانيين القادمين وأوقعوا فيهم خسائر فادحة .

ولما ساء الموقف في ايجربين راح العديد من الضباط الاسпан ينتحرون خوفاً من الاسر والهزيمة .

وفي صبيحة اليوم الثاني والعشرين تحت تأثير الخوف من هجوم قوات عبد الكريم أصدر الجنرال سيلفستري أوامره بالانسحاب ، وحتى الانسحاب لم يكن متيسراً لقواته فانتشر الذعر بين جنوده وعمت الفوضى وكانت قوات سيلفستري المؤلفة من ١٩ ألف جندي من بينها أربعة الاف مجند مغربي فانسحب هؤلاء وانضموا إلى الأمير عبد الكريم بكل اسلحتهم ومعداتهم ، وكان لاسبانيا عدد كبير من الحاميات موزعة على ١٣٠ موقعاً ففر معظم رجال تلك المواقع ، ومن بقي منهم اضطر إلى التسليم . هذا وقوات الأمير عبد الكريم مستمرة في الزحف والقتال فإذا تصدت لها القوات الاسپانية التي تبعثرت أبادتها ، أو قامت بأسر المسلمين وهكذا كان . وقد استطاع الجنرال نافارو أن يصل بقواته المنتحبة إلى ما يقرب من ٤٠ كيلو متراً من مليله ، ولكنه فقد كل قطعة من قطع مدفعيته ومعظم الاسلحة وذخائره ومؤنه ، ورغمماً عن وصول القائد العام بيرنخر بقواته إلى مليله في ٢٣ منه إلا أنه فشل عندما حاول الخروج من المدينة .

وظل الجنرال نافارو في موقعه محاصراً ، وعجز عن الوصول إلى

مليله حتى يوم ٩ أغسطس ، وعندئذ اضطر إلى الاستسلام لقوات التحرير المغربية فأرسلوه أسيراً إلى الأمير عبد الكرييم القائد العام لعمليات التحرير .

وقد قضت معركة أنوال على جيش سيلفستري ولم يبق في مليلة بعدها سوى بضع مئات من الجنود ، وإذا ما رجعنا إلى احصاءات الإسبان عن خسائرهم فاننا نجد باعترافهم أنهم خسروا ١٤,٧٧٢ رجلاً و ٤,٥٠٤ بنادق و ٣٩٢ مدفعة رشاشةً و ١٢٩ مدفعاً ميدان و ٥٧٠ اسيراً .

بعد هذه الهزيمة النكراء اضطررت الحياة السياسية في إسبانيا ، وسيطرت عليها حالة نفسية افقدتها شعورها بالعزّة والكرامة ، ومنذ معركة انوال ، راحت ميزانياتها المالية تساقط مثل أوراق الخريف . وضعفت قوتها من الرجال .

أما الأمير عبد الكريم فقد سار قُدُّماً على طريق الخلاص والتحرير
بقوة الرجال والسلاح والإيمان بالله بأن ينصره على أعدائه .

وكان في وسع الأمير عبد الكري姆 أن ينهي الحرب مع إسبانيا بسرعة وبموقع عسكري مظفرة يقودها حول مدينة مليلية فيحاصرها ويذكرها دكاً بالمائة والتاسعة والعشرين مدفعاً التي غنمها في «معركة أنوال» خصوصاً وأن المدينة ظلت لعدة أسابيع - بعد الهزيمة في أنوال - محاصرة وقواتها ضعيفة وهكذا خساعت الفرصة الأولى والأخيرة لاحتلالها وتحريرها والتجهيز على ما بقي من القوات الإسبانية في شمال المغرب .

لقد وقع عبد الكري姆 في نفس الخطأ الذي وقع فيه هن Buckley القرطاجي في ايطاليا يوم أن سحق الجيوش الرومانية من شمالي ايطاليا إلى جنوبيها ، إلى أن وقف تحت أسوار روما . . فبدلاً من مهاجمتها ابتسם وأمر جنوده بالانسحاب مما حمل أخاه على أن يصبح في وجهه قائلاً: يا Buckley إنك تعرف كيف تكسب الانتصارات ولكن لا تعرف كيف تستفيد منها .

وهذا ما حصل بالفعل للامير عبد الكريم فقد كان في وسعه أن يسحق مليلة بمدفعيته ويختصر أمد الحرب وربما إلى الأبد . ثم يلتفت لتحرير سائر المغرب بمساعدة القبائل المغربية التي كانت تتضرر ظهور زعيم جديد ليقودها من جديد إلى تحرير الوطن بكامله . ولكن لم يفعل لأنه لم يقدر الموقف حق تقديره .

ولئم يأتي يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٠ إلا وقد احتلت قوات الامير عبد الكريم كل الأقليم حتى أسوار مليلة ورغمًا عن أن الجنرال Birnix كان قد وصل إلى مليلة في ٢٣ يوليو ، إلا أنه لم يستطع الخروج من المدينة ، وظل الجنرال نافارو محاصراً مع قواته في موقعه أمام المدينة ، وظل على هذا الوضع حتى ٩ أغسطس دون أن يتمكن أحد من انقاذه .

كان الخطأ الذي ارتكبه عبد الكريم كبيراً . ولكن الحظ يبقى في خدمته مدة أخرى من الزمن .

وتلقى الجنرال Birnix نجذبات جديدة رفعت عدد ما لديه من الجنود إلى ستين الفاً . فقرر أن يشن بهذه القوات هجوماً معاكساً على قوات عبد الكريم ، وبالفعل تحركت قواته وهجمت في ١٢ سبتمبر - أيلول - سنة ١٩٢١ ، أي بعد سنة وخمسين يوماً على هزيمة الجنرال Sylvestri في أنوال . وبعد كر وفر تمكّن الجيش الإسباني من احتلال جبل خور خو الواقع

في جنوب غربي مليلة وتمكن من التحكم بموقعه بدءاً من الأسبوع الأول من شهر نوفمبر سنة ١٩٢١ وقد ساعده تحركه المستمر هذا على الوصول إلى نهر القرط في ديسمبر - كانون الأول من العام نفسه .

و قبل نهاية العام تمكن الإسبانيون من احتلال الشريط الساحلي الواقع بين نهر القرط ومليله - ثم تقدموا نحو دار داريوس في أعلى وادي القرط في ١٠ يناير - كانون الثاني سنة ١٩٢٢ فاحتلوها في حين ظلت الامدادات تصلهم بصورة مستمرة حتى بلغ عددهم ١٥٠ الف مقاتل .

هذه الانتصارات لم تتلقها مدريد بالاعجاب والتصفيق الحاد . لأنها كانت تدرك أن الجنرال بيرنخريسوّي خطوطه وينظم قواته المبعثرة ويوحدها تمهيداً للمعركة الكبرى القادمة . التي قد تهيئ له اخضاع القطاع الغربي من مليلة .

وفي غضون هذه المناوشات تمكن الريسيوني من الإفلات ، في حين شرعت قوات عبد الكريم تناوش القوات الإسبانية في ذلك القطاع الواقع غربي مليلة .

وعاد الجنرال بيرنخ إلى استراتيجيته القديمة ، فركز قواته ضد «الجبالا» فنجح في ١٢ يناير «مايو» عام ١٩٢٢ بالاستيلاء على تازروت» مركز حكومة الخائن الريسيوني . ثم قدم استقالته إلى حكومته عندما شعر أن حكومة مدريد تريد أن تضحي به ارضاء للرأي العام . بعد أن اتهمه خصومه بتوريط الحكومة الإسبانية في شمالي المغرب ، هذا بالإضافة إلى الحملات الصحفية التي كان يشنها عليه انصار الجنرال سيلفستري الذي اختفى بعد معركة «انوال» ولم يعرف مصيره أبداً .

وفيمما بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ استطاعت الحكومة الإسبانية أن تجند

قوات جديدة اسندت قيادتها إلى الجنرال برانخي الذي نازل قوات عبد الكريم على طول خط مليلة - كوبا - الحُسيمه ولكن المعارك لم تسفر عن أي انتصار لكتلتي القوتين غير أن المعركة الأخيرة ربعها الأمير الخطابي فأنزل باعدها هزيمة ساحقة ، فأسرع الجنرال برانخي إلى الاعتصام بمدينة مليلة . وهكذا ظلت مليلة شوكة في جنب قوات الريف ، وبالرغم من أن هذه القوات قد استولت على أسلحة وذخائر كثيرة فإن قائدتها لم يفكر أبداً باحتلالها .

مناورات الجنرال برانخي

ولجأ الجنرال برانخي إلى المساومة وشق الصفوف في محاولة لاكتساب الوقت ريثما تصله إمدادات جديدة فبدأ يتفاوض مع الخائن الريسوني من ٦ أغسطس إلى ٢٨ سبتمبر حتى نجح باستمالته لاسبانيا من جديد ، مقابل الجلاء عن مدينة تازروت بعد أن دفع له تعويضاً كبيراً عن الخسائر التي الحقها الأسبان بمنطقته وأمر بسحب الضباط الأسبان والموظفين المغاربة المتواطئين مع قوات الاحتلال . وتنازل برانخي عن القطاع الغربي الريسوني الذي أصبح سيد الموقف في ذلك القطاع - على أمل أن يبدأ الجنرال برانخي هجومه الجديد ابتداء من الشهر التالي .

وبالفعل فقد اشتبكت قوات برانخي مع قوات الريف في عدد من المعارك كان فيها النصر للأسبان ، ولكن الأمير الخطابي ما لبث أن هزمهم في معركة «تizi عزّة» هزيمة تضارع هزيمة معركة انوال .

وبهذه الهزيمة تمكّن الأمير الخطابي من فرض سيادته على منطقةبني ورياغل - قبيلته - وعلى كل بلاد الريف ، وعمارة وهكذا أصبحت القبائل ولأول مرة في التاريخ الحديث خاضعة لحكومة وطنية موحدة . كما

اصبحت مدينة «أجدير» الصغيرة عاصمة لدولة الأمير الخطابي على ساحل البحر المتوسط وهي تبعد بضعة كيلومترات من خليج الحسيمة . وفي متناول مدفعية قوات الريف .

واستطاع الجنرال برانخي بعد هذه المعركة من حشد خمسين الف جندي في الحسيمة بالإضافة إلى القوات الموجودة في مليلة وفي أثناء ذلك وضع هذا الجنرال خطة للانقضاض على «جبل عروس» كمقدمة للاستيلاء على قرية الأمير الخطابي ، ولكن خطته منيت بالفشل الذريع وبعد عدة معارك خسر الإسبان ثلاثة آلاف أسير وخمسة آلاف قتيل ، وألاف الجرحى من بينهم الجنرال برانخي نفسه بالإضافة إلى الذخائر والمعدات العسكرية التي خلفها الجنود الإسبان الفارون في أرض المعركة . حتى هذا الوقت كان الأمير الخطابي قد مرّغ أنوف القادة الإسبان المتغطسين في الوحل ، وأصبحت مسألة متابعة القتال بذلك الاصرار الإسباني العقيم عديمة الجدوى ، فقررت القيادة الإسبانية العليا اللجوء إلى سياسة المراوغة والتفاوضات لكسب الوقت ريثما يشنى لها تقوية دفاعها في منطقة مليلة . فأوفدت مبعوثاً فوق العادة لإجراء مفاوضات مع الأمير عبد الكريم الخطابي يقصد جره إلى مؤامرة جديدة تقضي بعقد هدنة تكون مقدمة لما ستسفر عنه المؤامرة . .

الخطابي ينشئ حكومة محلية

وكان الأمير الخطابي قد أنشأ حكومة محلية يسندها مجلس شورى ترأسه شخصياً بالإضافة إلى رئاسة السلطة التنفيذية ، وفي أثناء المفاوضات التي جرت بينه وبين الإسبان طلب الأمير الخطابي الاعتراف باستقلال المغرب الشمالي وانهاء الحماية الإسبانية عليه ، بينما عرض عليه الإسبان اعطاء منطقة الريف استقلالاً ذاتياً لا يتعارض مع اتفاقية الحماية والاعتراف

بـالـسـلـطـان يـوسـف وـوكـيلـه في طـنـجه ، وـكان وـكـيلـ السـلـطـان خـاصـعاً للـحـمـاـية الإـسـپـانـيـة خـصـوـعاً تـامـاً .

ولـكن الأمـير الخـطـابـي رـفـض العـرـض الإـسـپـانـي واـضـاع وـقـتاً ثـمـيناً كان من المـفـروـض أن يـتـهـزـه لـمـهاـجـمـة الحـسـيمـه وـمـلـيـلـه وـبـذـلـك يـقـطـع دـاـبـر الـوـجـود الإـسـپـانـي في هـاتـين القـاعـدـتـين .

وـيـعـد فـشـل المـفـاـوـضـات اـسـتـأـنـفـ الـأـمـير الخـطـابـي هـجـومـه عـلـى الـقـوـات الإـسـپـانـيـة في جـبـل درـسـه - شـفـشاـون ، فـلـما لـم تـسـفـر هـجـمـاتـه عـن نـتـيـجـة حـاسـمـة . شـنـ جـيـش الـرـيف هـجـمـات مـتـوـالـيـة نـاجـحة عـلـى مـدـيـنـة «داـغـيـت» ثـمـ خـاصـنـاـتـه مـظـفـرـة في عـرـيـت - الـقـرـيـة مـن آـنـوـاـل ، عـنـدـئـذ اـعـتـرـفـت حـكـوـمـة إـسـپـانـيـا مـرـغـمـة بـأنـ الـوـضـع اـصـبـح خـطـيرـاً جـداً .

وـفي هـذـه الـاثـنـاء وـقـع الإـنـقلـاب الـذـي قـامـه الـجـنـرـال بـرـيـمو دـي رـيـفـيرا في سـبـتمـبر عام ١٩٢٣ في إـسـپـانـيـا .

الـخـطـابـي يـسـبـطـر عـلـى الـطـرـقـ الرـئـيـسـيـة في الشـمـال

كان المـركـيز دـي سـتـيلا يـتـولـى قـيـادـة الـحـرب في شـمـالـ الـمـغـرـب بعد الـجـنـرـال بـرـانـخي - فـقـرـرـ في ٢٦ يـونـيه «حزـيرـان» عـام ١٩٢٤ سـحـبـ قـوـاتـه المـتـقـدـمة في كـلـ الـقـطـاعـين إـلـى السـاحـل . وـقـبـلـ نـهـاـيـة شـهـر يـونـيه حـزـيرـان من الـعـامـ المـذـكـورـ شـنـ الـأـمـيرـ الخـطـابـي هـجـومـاً عـلـى وـادـي «لاـو» وـهـو الـطـرـيقـ المـوـصـلـ بـيـنـ تـطـوانـ وـشـفـشاـونـ فيـ الـقـطـاعـ الغـرـبيـ ، وـرـاحـ مـفـاـوـضـو الـأـمـيرـ الخـطـابـي يـحـثـونـ «الـجـبـالـاـ» عـلـى الـانـضـمـامـ يـاـهـمـ وـمـعـ أـنـ عـدـدـ الـقـوـاتـ الإـسـپـانـيـةـ فيـ هـذـا الـقـطـاعـ الغـرـبيـ كانـ يـلـغـ حـوـالـيـ مـئـةـ الفـ جـنـديـ مـنـهـمـ حـوـالـيـ سـتوـنـ الفـ عـلـى طـرـيقـ تـطـوانـ» إـلـاـ أـنـ الـأـمـيرـ الخـطـابـيـ اـنـتـصـرـ عـلـيـهـمـ فيـ مـعـرـكـةـ «وـادـيـ لاـوـ»ـ اـنـتـصـارـاـ حـاسـمـاـ .

وكان الاسبان يعتمدون على الخائن الريسوني للمحافظة على الهدوء بين قبائل «الجبالا» ولكنه لم يستطع مواجهة تحديات الأمير الخطابي .

وتمكن رجال قبائل «الجبالا» من قطع الطريق بين تطوان وشفشاون نهائياً وحاصرروا قوات اسبانية بلغ عددها ثلاثة آلاف جندي على مسافة ٥٠ كيلو متراً من قاعدتهم ، ثم قطعوا الطريق بين تطوان وطنجة .

وفي أوائل سبتمبر شرعت قوات الريف تهاجم القوات الاسبانية على مسافة لا تبعد اكثراً من ثلاثة كيلو مترات عن تطوان مقر الحماية الاسبانية .

هذا الحصار القبلي المظفر أدى إلى سقوط الحمايات الاسبانية الواحدة بعد الأخرى . وهي التي كان لا يقل عددها عن ٤٠٠ حامية ، وراح الجنود الاسبان يشترون حرفيتهم بتسليم اسلحتهم وذخائرهم ودفع فدية مالية لرجال القبائل ، وكان من جملة الحمايات المستسلمة حامية بوخاريد التي تكون من ٣٥٦ عسكرياً .

وبعد انسحاب حامية شفشاون في نوفمبر للانضمام إلى حامية تطوان ، اخذت «قبيلة لانجرة» المغربية الريفية القاطنة في المثلث الواقع بين تطوان وبسيته وطنجه تظهر عداءها للاسبان ثم اعلنت الشورة على الوجود الاسباني . فاحتلت «القصر الصغير» في أوائل ديسمبر . وعرضت الحكومة الاسبانية مرة أخرى على الأمير الخطابي ، العروض نفسها التي قدمتها إليه في المرة الأولى ولكنه رفضها جملة وتفصيلاً .

وقد كلفت هذه العمليات العسكرية أسبانيا في السنة اشهر الأخيرة من سنة ١٩٢٤ ، أكثر من ٢١٢٥٠ قتيلاً ومقهوداً واسيراً من الضباط والجنود بالإضافة إلى الاعتداءes العسكرية والذخائر .

وفي النصف الأول من عام ١٩٢٥ شرعت القيادة الإسبانية العليا بالانسحاب إلى الخط الثاني الذي أقامته على الساحل وهي تشعر بالمرارة والخيبة لثورة قبيلة لانجراة القائمة وراء هذا الخط .

واكتفت القيادة الإسبانية بإعادة فتح الطريق بين طنجة وتطوان ، لاستخدامه كممر بين المنطقتين التي يسيطر عليها الثوار في منطقة لانجراة في الشمال ، ومنطقة الجبالا في الجنوب ، كما قامت القوات الإسبانية بمحاصرة الأراضي المحيطة بمنطقة طنجة الدولية ، حتى تمنع القبائل التائرة من بيع محصولاتها الموسمية في أسواقها . ثم بدأت بمحاصرة قبيلة «لانجراة» في آخر شهر يناير سنة ١٩٢٥ ، ثم استردت بلدة «القصر الصغير» في آخر مارس آذار ثم قصرت عملياتها فيما بعد على ضرب القرى بقنابل الطائرات ، والقبض على المغاربة الذين كانوا يحاولون التسلل من خلال الاستحكامات الإسبانية لبيع محصولاتهم في طنجة والتسوق منها .

في نهاية عام ١٩٢٥ ، أصبح الأمير الخطابي رئيساً لدولة جبال الريف وما حولها وسيطرت قواته على منطقة «جبالا» التي كان الريسيولي يحرض الأقطاعيين فيها على عدم الاعتراف بسلطنة الأمير الخطابي . ولكن هذه الحركة انتهت بالقبض على الخائن الريسيولي في تازروت عاصمتها ونقله إلى «أجدير» حيث مات غير مأسوف عليه في شهر نيسان أبريل من السنة نفسها ١٩٢٥ .

الحكومة الإسبانية تناور لاكتساب الوقت

وقد شرح محمد عبد الكريم الشقيق الأصغر للأمير عبد الكريم سياسة أخيه والشروط التي يقبلون بها لأنهاء الحرب ، وذكر أن هدف الحرب هو تحرير الريف ومنطقة الجبالا ، وانهم يوافقون على ترك سبته ومليلة في

أيدي الإسبان «وهذا خطأ فاحش» ولكنهم قد يغيرون موقفهم إذا ما استمرت الحكومة الإسبانية على تعنتها ، وطلبوا ٢٠ مليون «بسيطاً» كتعويض وبعض المدافن والطائرات .

ومع ذلك فإن الحكومة الإسبانية تركت لقيادتها المحرية في التفاوض مع محمد عبد الكريم المذكور بغية اكتساب الوقت ، وعلى أساس وقف القتال ، وفتح أسواق بالقرب من الخطوط الإسبانية .

ولكن هذه المفاوضات انقطعت فجأة . لأن الحكومة الإسبانية كانت تجري مفاوضات سرية مع الحكومة الفرنسية من أجل توحيد قوتينهما العسكرية للقضاء على ثورة الأمير الخطابي .

وهكذا نجحت خطة اكتساب الوقت والهادنة الإسبانية ، والهاء الأمير الخطابي في حروب جانبية صغيرة للاستيلاء على موقع غير هام . ريثما تتمكن من ضم قواتها إلى القوات الفرنسية لمحاجبة قوات الريف كي لا تستطيع الصمود حتى ولا المقاومة .

وشعر الماريشال ليوتي بالخطر الذي يهدد الحماية الفرنسية في الأجزاء الجنوية الأخرى من المغرب . من تلك الانتصارات المتتابعة التي كان يحرزها الأمير الخطابي ، بعد أن دوى اسمه في المشرق والمغرب كزعيم عربي مغربي يناضل من أجل تحرير المغرب من الاحتلالين الفرنسي والإسباني . في وقت كانت فيه منطقة الشرق الأوسط العربية قد خضعت لاحتلالين ماكرين : الاحتلال الانجليزي في فلسطين والأردن والعراق والاحتلال الفرنسي في سوريا ولبنان منذ عام ١٩١٦ بموجب معاهدة سايكس - بيكو .

القمر يطلع من المغرب

وفي خضم ذلك الظلام الدامس أخذت الشعوب العربية في الشرق والشعوب المغاربية في الغرب تشرّب بانتظارها نحو البطل المغربي الجديد الذي مرّغ أنوف قادة الأسبان في أوحال معاركه وانتصاراته - في زمن اختفى فيه زعماء الشرق أو كادوا ولم يبق سوى الملوك والأمراء المتعاونين الخاضعين للإنجليز والفرنسيين .

ولإذا كانت الشعوب العربية في مختلف أقطارها قد افتقدت البدر في لياليها المظلمة فإن البدر في هذه المرة وخلافاً لجميع القياسات الزمنية والمكانية فقد طلع من المغرب وهو أشد تألقاً وسطوعاً من قمر المشرق التقليدي . الذي طالما تغنى به شعراً وهم .

أما الأسبان فقد كانوا غارقين في المتاعب والتآمر وفي الوقت نفسه ، كانوا يواجهون متاعب جديدة من القبائل المغاربية القاطنة في تطوان وعلى حدود طنجة الدولية في حين كانت خطوط مواصلاتهم مقطوعة في المنطقة التي يحتلونها .

لذلك أصبح بقاء الحماية الإسبانية في شمالي المغرب مرهوناً بالاتفاق مع نظام الحماية الفرنسي الموجود على الجانب الآخر من المغرب ، وصار لا بد من عمل مشترك تقوم به الدولتان الاستعماريتان ضد الأمير البطل عبد الكريم الخطابي .

وراح المارشال ليوتى المقيم الفرنسي يضغط بكل قوته وأمكاناته على حكومته في باريس لمساعدة القوات الإسبانية والاتفاق مع حكومتها على القيام بعمل عسكري مشترك لاقتلاع الحرب التحريرية الخطابية من جذورها . وكان أكثر ما يخشاه المستعمرون في ذلك الزمان هو ظهور بطل للعرب

في الشرق على غرار البطل عبد الكريم الخطابي في شمال افريقيا ، لذلك جاء في احد تقارير ليوتي قوله : «ليس ثمة ما هو أسوأ على مستقبل نظامنا من قيام دولة مسلمة مستقلة وحديثة في منطقة قريبة جداً من مدينة فاس ، لأنها ستجعل من عبد الكريم مركزاً لجذب الخارجين علينا ، بالإضافة إلى كل العناصر المغربية ، وعلى الأخص شبان المغرب ، لأن احداث الشرق الأخيرة وسعت نظرتهم وزادت من حدة استلهامهم لمشاعر الكره للأجانب» .

ليوتي يطالب بهجوم فرنسي - اسباني - بريطاني للقضاء على ثورة الخطابي

وكان الماريشال ليوتي يخشى من بريطانيا التي تزاحم فرنسا في كل المجالات الاستعمارية ، بالإضافة إلى الولايات المتحدة . خصوصاً وأن وولتر هاريس تمكن من الحصول على امتيازات لاستغلال المناجم المعدنية في المغرب .

ولما طلبت حكومة باريس من ليوتي أن يحدد مطالبه اقترح القيام بعمل عسكري ثلاثي مشترك تقوم به الاساطيل العربية الفرنسية والاسبانية والبريطانية ضد الامير عبد الكريم . على أن يقتصر العمل العسكري في الميادين البرية على الفرنسيين والاسبان فقط . . حتى لا تطالب بريطانيا بشمن جهودها فيما لو اشتركت في الحرب البرية . . ولكي يقلل من اعتماد المغرب والامير الخطابي بصورة خاصة على تأييد بريطانيا في المجال السياسي المحيض .

على كلٍ فقد اسفرت المحادثات التي جرت فيما بعد عن اتفاقية بين فرنسا واسبانيا وقعت في عام ١٩٢٥ ، وتنصي بالقيام بعمل سياسي وعسكري مشترك ضد حرب الريف الخطابية . تعهدتا بموجبها الا تعرضا إلا

في وقت واحد مقتراحات صلح مع قبائل الريف وجالا ، وألا تفاوضا هذه القبائل إلا بصورة مشتركة ، وألا تعقدا صلحاً منفرداً معها ، وأن تتحقق لقبائل الريف وجالا استقلالاً ذاتياً تحت سلطة رئيس تختاره . . على أن يكون هذا الاستقلال الذاتي خاضعاً لاتفاقات الحماية الفرنسية - الإسبانية إلى آخر المعروفة الاستعمارية المألهفة .

ورفض الأمير عبد الكريم استقبال المندوبين الفرنسي والاسباني ما لم تعرف حكوماتهما باستقلال الريف لأن الاتفاق الثاني كان يتجاهل عبد الكريم ويمهد لبعاده .

وعندئذ ، تذرعت فرنسا برفض الأمير الخطابي وارسلت مندوبياً كلفته باخطاره أن الفرنسيين سيحتلون بلاد «بني زروال» لأن هذه القبائل واقعة ضمن منطقة الحماية الفرنسية بالريف ، فأسرع بتأشير بنبي زروال إلى عبد الكريم وطلبت منه أن يضم أراضيها إلى منطقة الريف . فلجمأت فرنسا إلى العمل الجبان الذي تقوم به عادة الدول الاستعمارية في مثل هذه الأحوال فأمرت طائراتها بقصف القوات الريفية بقناطيلها الحارقة .

ثم امرت قواتها بالزحف على منطقة «ورغة» واحتلال بعض أجزائها لقطع خطوط تموين وامدادات عبد الكريم من مناطق المغرب الأوسط . فتصدى للحملة الفرنسية أحد قادة الريف بعمل عسكري مماثل . . وهنا شرع الفرنسيون يثيرون في صحفهم حملة شعواء على الأمير عبد الكريم ليبرروا العمل العسكري الذي كانوا يعدون له مع الإسبان المنهزمين .

ليوتي يطلب المزيد من القوات الفرنسية

في ذلك الوقت كان عدد قوات الماريشال ليوتي في المغرب أبي في خريف عام ١٩٢٤ ٦٥ ألف مجند بما في ذلك «جنود المستعمرات

الافريقية ، وجند الفرقه الاجنبية» .

وفي ١١ ديسمبر - أي في نهاية العام المذكور طلب من حكومته إرسال أمدادات على دفعتين الأولى في شباط «فبراير» والثانية في أواخر نيسان «ابريل» وذلك دليل على أن ليوتي لم يكن واثقاً من نجاح قواته الموجودة في المغرب في حرب يخوضها ضد قوات الأمير الخطابي التي حطمت من قبل كل الجيوش الاسپانية .

والشيء المضحك المبكي هنا هو أن القوات الافريقية المؤلفة من زنوج خاضعة بلادهم للاستعمار الفرنسي كانت من جملة القوات التي جاءت لمحارب الامير الخطابي في المغرب ، ومن المعلوم أن البلاد التي جاء منها أولئك الزنوج نالت استقلالها فيما بعد وان حكومات بعض تلك البلاد المنضمة إلى «منظمة الوحدة الافريقية» هي التي تتخذ القرارات لاجلاء القوات المغربية في عهد الاستقلال عن الصحراء المغربية .

أبطال الجبال يتوفرون في قلب الخطوط الفرنسية

وعلاوة على أن الأمير عبد الكريم كان يعتمد - في معركته على طبيعة الأرض ، ذات المزايا الاستراتيجية الشبيهة بالمنطقة الريفية التي حارب فيها الاسпан ، وهي التي تنتشر فيها الاشواك والمنحدرات وتفتقر إلى الاشجار والمياه ، فقد اعتاد ابناء الريف أن يحاربوا في مناطق مماثلة لها في بعض الاحيان ، وفي مناطق اشد وعورة منها كما اعتاد جنود الريف أن يناموا في العراء ، وألا يحملوا من المتعان إلا أخفه كي لا تعاق تحركاتهم وتنقلاتهم في تلك الجبال الوعرة ، لذلك اقتصر جنود الحملة في لبسهم على العباءات وهي غطاؤهم في ليالي الصقيع وعلى بعض الطعام الجاف والأسلحة التي غنموها من الاسпан .

وكان عدد الجيش النظامي الذي يقوده الأمير الخطابي يتراوح بين ستة وعشرة ألف مقاتل بينما بلغت قوة المجاهدين المرافقين للجيش نحو ستين ألف مجاهد .

وقد اعتمدت قوات الريف على المهندس البطل محمد عبد الكريم شقيق الأمير الخطابي بارسال قوات من المعاویر «كوماندوس» وراء خطوط العدو .

وفي الوقت نفسه وجد الماريشال ليوتوي امامه جيشاً من المشاة يعتبر نداً لأي جيش نظامي في العالم .

وهكذا . . بدأ رجال الريف هجومهم في ١٣ نيسان «ابريل» عام ١٩٢٥ . وقد أدى هذا الهجوم الريفي إلى رد فعل شديد في فرنسا وإلى توقيع احتقان في الصحافة الفرنسية المأجورة .

وتوجّل جيش الأمير الخطابي في الخطوط الفرنسية ، فثارت القبائل المغاربية ضد الحماية الفرنسية وازداد الموقف حرجاً بالنسبة للفرنسيين ما بين ٢٦ يونيو و٦ يوليو في قطاع «تازة» حين حاول جيش الأمير الخطابي الوصول إلى المناطق التي لم يكن الجيش الفرنسي قد احتلها بعد فأجلت القيادة الفرنسية المدنيين الفرنسيين والأوروبيين من تازا ، كما تمكنت القوات الريفية الزاحفة من قطع سكة الحديد في المنطقة الواقعة بين تازا وجرسيف .

وكان هذا الزحف المتواصل مداعنة للنفر والاشادة به في كل مكان ، فالقوات الفرنسية كانت تتراجع باستمرار وقد هزمت في معارك عديدة خلال تلك الاشهر الثلاثة من بدء الزحف .



محارب مغربي
على صهوة جرادة

الجنرال بيستان يتجه إلى المغرب

خشيت فرنسا من أن يتتحد رجال الريف مع الأطلس الأوسط . لذلك سارعت إلى تعيين الجنرال ناولان قائداً عاماً لقواتها في المغرب في ٢٦ يونيو ١٩٢٥ ، على أن يحتفظ الماريشال ليوتى بمنصب المقيم العام ثم عادت وارسلت الماريشال «بيستان» في ١٧ يوليو من العام نفسه إلى المغرب في مهمة خاصة . وبانتهاء مهمته «بيستان» أعلن الجنرال ناولان أنه يستعد للقيام بهجوم معاكس مستنداً إلى الإمدادات العسكرية والمحربية التي وصلته بالإضافة إلى تعاونه مع القوات الإسبانية .

في تلك الأثناء سقطت حكومة إدوار هرييو وخلفتها حكومة إدوار بول

بانلنيفيه العالم الرياضي فاحتفظ لنفسه بوزارة الحرب . ثم اسرع بالذهاب إلى المغرب ليقيم بينه وبين المارشال ليوتوي اتصالاً مباشراً . فلما عاد إلى باريس ، بدأت المؤامرات خلف الكواليس وكان بعضها مصوياً نحو ليوتوي المقيم العام لاستبداله بقائد عام آخر ، وفي الوقت نفسه ادرك ليوتوي أنه لا يستطيع أن يجمع في يديه قيادتين مرة واحدة ، أي مقيم عام في المغرب ، وقائد عام للقوات الفرنسية فاقتصر على باريس ارسال جنرال يتولى تحت اشرافه القيادة الحربية مقترحاً اسم الجنرال ويغان فإذا تuder ذلك فالجنرال غورو أو الجنرال غيوم إن أمكن ولكن حكومة باريس رفضت كل طلباته . وارسلت إليه المارشال بيستان وهو المفتش العام للجيوش الفرنسية ، وقد كلف بوضع الخطط العسكرية وتنظيمها مع ليوتوي استعداداً للقضاء على بطل الريف .

ووصل بيستان في ١٧ تموز «يوليو» ١٩٢٥ فاجتمع مارشالا فرنسا الممتازان ليوتوي وبيستان بالمرشال بريمودي ريفيرا الاسباني ليقرروا فيما بينهم تنظيم الحملة على ابطال الريف المغربي الاشاوس .

الشعب الفرنسي في مواجهة حكومته الاستعمارية

في أثناء هذه اللقاءات شن الحزب الشيوعي الفرنسي هجوماً عنيفاً على البرجوازية الاستعمارية ، وصرح بتأييده لكفاح الريف وقضيته كما راح مئات الأحرار الفرنسيين يثيرون الشعب الفرنسي ضد الحرب الاستعمارية في المغرب . وبالمثل قامت جماعات من الفرنسيين المستوطنين في المغرب بحملة شعواء ضد جنرالات الاستعمار الفرنسي - القتلة - فقبض عليهم بوليس الجنرالات وطردتهم من المغرب ، وقامت نساء فرنسا باعظام تظاهرة شهدتها فرنسا في ذلك الوقت ، وكنَّ يحملن لافتات كتب عليها: «لقد اخذتم رجالنا في الحرب العالمية الأولى ، وتريديون الآن قتل ما تبقى

لنا من ابناء في الحرب الاستعمارية .

وصررت كل من فرنسا واسبانيا حصاراً بحرياً على منطقة الريف لمنع وصول الامدادات والذخائر الحربية والمؤن والاطعمة للسكان والجيش على حد سواء .

وبالرغم من الثقة التي ابداها ليوتي بيتان فان الأخير لم يقابله الثقة بمثلها ، فاعتبر مجئه إلى المغرب سبباً للتحقيق بما يجري . . فراح يحقق مع ضباط ليوتي ، على أمل أن يكتشف مواطن الضعف في خطط منافسه ليوتي ، وشعر ضباط ليوتي بوجود مؤامرة ضد قائهم . ولكن بيتان عاد إلى باريس ، وهناك تقرر مصير ليوتي . فأرسل إليه بانليفيه في ١٨ آب - أغسطس - ١٩٢٥ أمراً جاء فيه: «إن المارشال بيتان سيتولى القيادة العامة للجيوش الحربية في المغرب» وبذلك انزع من ليوتي سلطاته ومسؤولياته بوصفه القائد العام .

وشعر ليوتي بأن كرامته قد اهينت ، ولكنه طوى جوانحه على آلامه وتلقى الأوامر بالطاعة والقبول .

الثمن الباهض . .

ان الانتصار على المحارب الريفي يقتضي عمل ثلاثة مارشالات واربعين جنراً ونصف مليون من الجنود الفرنسيين والاسباني وأن يشتراك في المعارك الاسطولان الفرنسي والاسباني والطائرات الأمريكية والسفون الحربية البريطانية . وهذا اقليل من الغار يتوج جبين المقاومة المغربية الباسلة أبد الدهر .

هجوم الجنرالات

وببدأ الجيش الفرنسي هجومه في وادي ورغة ، فضرب بمدفعيته القطاع بكماله في ١٠ سبتمبر ١٩٢٥ ثم شن هجومه في اليوم التالي ، وراح الجيش الفرنسي يتقدم من موقع إلى آخر ليتمكن من حصار وتطهير كل مرتفع قبل وصوله إلى المرتفع الآخر ، واستمرت العمليات على هذا النحو حتى ٢٧ تشرين الأول «اكتوبر» وبذلك تمكن الجيش من احتلال كل المواقع التي احتلها سابقاً جيش الريف عندما بدأ هجومه في الربيع . ولكنَّ جنرالات فرنسا عجزوا عن الوصول إلى محاصرة «بني ورياغل» قبيلة الأمير الخطابي فقضوا الشتاء في تلك الأماكن الوعرة ولما استأنف الجيش الفرنسي القتال نجح في قطاع تازة وفي هذا القطاع بوشر بتنفيذ خطة الجنرال بيتان الهدافة إلى تحقيق التعاون بين الفرنسيين والاسبان في القتال .

ونزلت حملة اسبانيا على ساحل الحسية في ٦ أيلول «سبتمبر» وفي ٢ تشرين الأول «اكتوبر» ١٩٢٥ راحت تتغل في سهل أجدير ، وفي هذا الوقت كان مجاهدو الريف يهددون مدينة طوان وفي هذا الفصل هطلت الأمطار وسقطت الثلوج فتوقفت الاعمال العسكرية . وكانت خيالة الفرنسيين المتقدمين من تازة قد وصلت في ٦ أكتوبر إلى «سيدي الحسن» واتصلت بخيالة الاسпан المتقدمين من قطاع مليلا وهكذا التقى الزحف من العجانين . ولكن ما لبثت تلك العمليات أن توقفت عندما ساءت الأحوال الجوية ، وترأس «بيتان» مجلساً عسكرياً في فاس في أول نوفمبر ، قبل أن يعود إلى فرنسا .

أما الأمير عبد الكريم فقد نقل عاصمته ومقر قيادته إلى الداخل وإلى الجنوب الغربي من «تارجست» .

ويمكن القول أن هجوم «بيتان» قد فشل ولم يحقق اهدافه وذلك لأن عبد الكرييم بدأ هجومه في الربيع ونجح في تحطيم خط الدفاع الفرنسي عند ورجه . ووصل إلى أبواب تازا ولكنه فشل في دخول مدينة فاس .

ولو أن سكان فاس وما حولها شاروا ضد الفرنسيين لتغير الموقف لصالح عبد الكرييم ولكنهم اكتفوا بقراءة انباء الحرب والاستماع إليها .

كذلك فشل الهجوم الفرنسي - الاسباني الذي شنه الفريقان معاً في الخريف للقضاء على جيش الريف ، كما فشل الهجوم في شطر اقليم الريف إلى شطرين . كذلك فشلوا في اغراء القبائل للتخلص عن مساندة الامير عبد الكرييم في حربه ضدهم .

الأمير عبد الكرييم الخطابي يحرر المزيد من المواقع

وفي هذه المعركة احتل الامير عبد الكرييم تسعة مواقع فرنسية وتمكن من نصف موقعين ، واجبر الاعداء على اخلاء ٣٢ موقعاً . كل ذلك في هجوم الربيع . وبذلك يكون الفرنسيون قد خسروا ٤٣ موقعاً من أصل ٦٦ موقعاً ، ولكن الفرنسيين عادوا واستردوا ٢١ موقعاً منها فيما بعد .

وكان البطل عبد الكرييم قد بدأ الحرب بـ ٣٥ الف مجاهد منهم ٢٥ الف من الريف و ١٠ آلاف من قبيلة الجبالا وانضمت إليه بعد ذلك قبائل عديدة حتى بلغ مجموع قواته حوالي مئة الف وتبقى من هذه القوات ستون ألفاً في نهاية العمليات .

تعزيزات فرنسية إضافية

أما الفرنسيون فقد تلقوا ١١ كتيبة اوروبية وقوات من المدفعية والوحدات المساعدة ، علاوة على قوات المجندين من الجزائريين

والتونسيين وحتى من المغاربة أنفسهم المتعاونين مع الاحتلال الفرنسي .
هذا بالإضافة إلى القوات الأفريقية وقوة الطيران الأميركي .

وقد اعلنت الحكومة الفرنسية أمام لجنة الشؤون المالية في مجلس النواب في باريس يوم ٢١ اكتوبر ١٩٢٥ أن قواتها في المغرب الاقصى بلغت ١٥٨ ألف جندي منهم ١٢ الف فرنسي و ١٢,٨٠٠ من اجناس اوروبية ، و ١٣٣ الف من مجندى المغرب وهذا يعني أن ابناء المغرب الذين خدموا في صفوف القوات الفرنسية المحاربة ضد جيش الأمير عبد الكرييم الخطابي كانت تشكل ٨٥ في المائة من مجموع القوات الفرنسية المحاربة أي أنهم كانوا ضعف قوات عبد الكرييم عند نهاية الحملة ثم زادت القوات الفرنسية عندما وصلتها امدادات من فرنسا قوامها ٢١ كتيبة جديدة لمحاربة البطل عبد الكرييم .

وقد بلغت خسائر الفرنسيين حتى نهاية شهر يوليو ١٩٢٥ ١٢٨٥ قتيلاً و ٥٣٠ جرحاً ثم زادت بعد الهجوم المضاد من أول اغسطس حتى ١٥ اكتوبر بعدد جديد بلغ ٨٩١ قتيلاً و ٢٩٩١ جريحاً وكانت نسبة خسائر الفرنسيين في هذه المعارك أقل كثيراً من خسائر المجندين المغاربة في الجيش الفرنسي ، مما يدل على أن فرنسا كانت قد تركت العباءة الأكبر في القتال على كاهل المجندين المغاربة ضد قوات عبد الكرييم . . أي أنها تركت مجندين مُغرّر بهم من المغاربة يحاربون قوات عبد الكرييم الخطابي - أي القوات المجاهدة . .

أوليس ذلك هو الخيانة التي ما بعدها خيانة في تاريخ الشعوب أن سكان المدن المغربية لم يثوروا للمؤازرة جيش عبد الكرييم كذلك حال سكان الاطلس الاوسط وكان عبد الكرييم يُعول كثيراً عليهم فيما لو ثاروا ضد الفرنسيين لمساعدته على تحطيم جيش فرنسا بكماله ولكنهم خذلوه لأنهم

أثروا الحماية على الاستقلال والتحرير ، ولن تقوم لهم بعد ذلك قائمة إلا بالمقاومة التي قادها الملك محمد الخامس فيما بعد .

انتهت هذه السنة باستقالة الماريشال ليوتى من منصبه كمقيم عام في المغرب الأقصى ، فغادر المغرب إلى غير رجعة مقلعاً من الرباط يوم ١٠ أكتوبر وكان قد قدم استقالته في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٢٥ .

إقالة الماريشال ليوتى

كانت استقالة الماريشال ليوتى شخصية وغير شخصية . من جهته كان مكروهاً من قبل الحكومات الفرنسية المتعاقبة ، بسبب اعتراضاته بحق المغرب بالاستقلال وشادته بتاريخه وتاريخه ملوكه وإصراره على أن يظل سلطان المغرب وخليفة على رأس الدولة المغربية تحت الحماية الفرنسية . .

ولكنه عجز عن كسب رضا سلاطين المغرب ، كما لم يصمد أمام هجوم الفرنسيين الاشتراكيين الذين كانوا يطالبون بتعيين مقيم عام من المدنيين لأن هذا المنصب السياسي يتطلب رجلاً سياسياً وليس عسكرياً .

الجزرال بيتان يخلف ليوتى

وبابتعاد ليوتى عن المغرب لم يبق للسياسة مجال كبير في إدارة المغرب ما دامت فرنسا قد صنمت على مواصلة عملياتها الحربية ضد الأمير عبد الكريم . بقيادة الجنرال بيتان هذا الذي استسلم للقوات النازية فيما بعد ووصم بالخيانة العظمى .

اشاعة روح الهزيمة بين القبائل

وبتغير الجنرالات الفرنسيين من جانب والاسبانيين من الجانب الآخر

ظللت الحرب مستمرة . . ولكن في نطاق الدسائس والمؤامرات ، فراجحت فرنسا تغري القبائل المختلفة حول عبد الكريم بتركه وعقد صلح منفرد معها ، فلبت بعض القبائل دعوة الاستسلام مثل قبائل أبناء مصباح من صنهاجة ، كما سلمت قبائل «الجبالا» والقسم الجنوبي من سكان ورياغل بعد أن احتله الفرنسيون ، وقبيلة مطيوه ، وتفاهمت قبائل «لانجرة» على الصلح مع إسبانيا وهكذا . .

ثم بدأ الفرنسيون يتفاوضون مع عبد الكريم بواسطة الكابتن غوردون كانسغ - الانجليزي - الذي كان يعطف على كفاح أبناء الريف من أجل أن ينالوا استقلالهم وبعد أن وضع وحددت شروط الصلح - سافر كانسغ إلى فرنسا لمقابلة أرستيد بريان الحائز على جائزة نوبيل «النهرية للسلام» وكان قد أصبح رئيساً للحكومة الفرنسية ، فرفض مقابلته فأثار النواب المعارضون هذه المشكلة في مجلس النواب ، وطلب النائب كاشان تفسيراً لموقف الحكومة ، فأصر بريان على موقفه وموقف حكومته ، وطالب بضرورة المحافظة على الامبراطورية واعترف أرستيد بريان «أن فرنسا لا تخسر رجالاً في هذه الحرب ، لأن مجندى المغرب والم الجزائر وتونس هم الذين يحاربون قوات عبد الكريم .

وهنا صاحب النواب المعارضون قائلين : أنت داعية حرب وجائزة نوبيل للسلام التي أعطيت لك كانت تلفيقية برجوازية أوروبية .

استسلام الخطابي

واخيراً استسلم القائد البطل عبد الكريم الخطابي في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٦ ، في الساعة الخامسة والربع من صبيحة اليوم التالي من اطلاق سراح الاسرى الأوروبيين الموجودين لديه ، ركب الأمير فرسه ودخل وسط

خطوط الفرنسيين معلناً بأنه جاء بنفسه ليسلم للعدو سيفه واستقبلته القوات الفرنسية استقبالها لقائد أعلى ، وحيثه التحية العسكرية . . وهكذا أغمد سيف الحق واستسلم البطل الكبير فنقلته القوات الفرنسية إلى جزيرة ريونيون وبعد احدى وعشرين سنة واستجابة لطلب الأمير قررت الحكومة الفرنسية نقله من المنفى إلى باريس .

وفيما كانت السفينة التي تقله تشق طريقها من السويس إلى بور سعيد ، اكتشف طاقم السفينة أن الأمير وأسرته واتباعه قد اختفوا عن ظهر السفينة . ثم صدر بلاغ في القاهرة بعد ذلك يقول : « بأن الأمير عبد الكريم قد طلب حق اللجوء كلاجئ سياسي في مصر وأن حكومة القاهرة قد منحته هذا الحق » .

ومنذ أن ظهر الأمير عبد الكريم سطعت أنواره وتألقت حتى شملت كل المغرب والبلاد العربية فاختفت خفافيش الليل التي كانت تحوم لتصيد وظائف الدولة وهي شبيهة بالفتات التي يلقاها المستعمرون من موائد الاحتلال للمتكسبين والمرتزقة .

آراء وأحاديث في ثورة الخطابي

بعد استسلام الأمير عبد الكريم ظهرت تلك الخفافيش مرة أخرى لتقدم خدماتها وولاءها للمستعمرين على حساب ثورة الريف . وانخدت تطاول بالدس والتصریحات الظالمة ضد ثورة الريف وقادتها .

فمنهم من راح يقول - بعد أن حشا المستعمرون المقولات في أفواههم أن عبد الكريم أنشأ جمهورية ضد النظام السلطاني ليقضي على ذلك النظام فانبرى إليهم المخلصون للمغرب وألقوا بهم أجوبة مسكتة قائلين : « إن الأمير عبد الكريم انطلق من فكرة التحرير لإنقاذ الريف المغربي من

مخالب المستعمرتين الإسبان ، وعندما اعلن عن جمهوريته ، فإنه أراد أن يقيم دولة كي تعرف بها دول العالم ، ولكي تقدم لها المساعدات المالية والعسكرية ، لمواصلة النضال حتى إذا ما انتهت من هزيمة الاعداء في الريف ، استأنف حملته بجيوش أكثر كثافة وبأسلحة أكثر جدة لتحرير سائر المغرب ورفع راية السلطان على جميع بلاد المغرب المحررة .

وأكثر من ذلك فإن الأمير عبد الكريم عندما كان في أوج عظمته وقوته وجه إلى السلطان يوسف رسالة جاء فيها: «إن ثوار الريف هم رعاياه المخلصون» ثم أضاف قائلاً:

«ومن جديد نمد أيدينا إلى جلالتكم متاكدين أنه في هذه الشدة المعنوية التي نجد أنفسنا فيها ، لن تكون حركتنا عبثاً وأن جلالتكم ستنتقدون ابناءكم» .

وقد أكد ذلك المرحوم الاستاذ علال الفاسي فقال أن عبد الكريم ورجال ثورته «لم يريدوا أن يقعوا في الخطأ الذي وقع فيه الزعيم «الهبة» ووالده الشيخ ماء العينين حينما اعلن كل منهما نفسه سلطاناً بعد أن كانوا مخلصين للعرش ومدافعين عنه» .

وثمة دليل آخر أكد هذه المرة الملك محمد الخامس الذي تولى العرش بعد وفاة والده السلطان يوسف ، وذلك عندما زار الملك محمد الخامس القاهرة والتقي بالامير عبد الكريم فثبت له لقب الامارة إذ راح يخاطبه بلقب «الأمير» .

ثم أن ثورة الريف لم تظهر إلا بجيوش دولتين كانتا من أعظم دول ذلك العصر . ولم يكن عام ١٩٢٦ الذي انتهت فيه ثورة الأمير عبد الكريم النهاية الأخيرة لأن الثورات الوطنية ظلت متتابعة في جبال الأطلس الكبير والأطلس

المتوسط والاطلس الصغير حتى عام ١٩٣٤ . أي في الوقت الذي بدأ فيه الجيل الجديد في المغرب يتقلد اعباء الكفاح المسلح ويتسليم القيادة بعد ثورات قادة المغرب العظام .

وظاهرة أخرى خلدت المستعمرين في اصالة الشعب المغربي ، وذلك عندما شاهد المستعمرون المدن المغربية الكبرى كالعواصم والحواضر لا تحرك ساكناً خلال ثورات الريف والجنوب والغرب والشمال . فظن المستعمرون أن سكان المدن يريدون السلام والانسجام مع المستعمرين والعيش بسلام . . والحقيقة أن سكان المدن خُدعوا في أول الأمر ثم ما لبثوا أن استيقظوا على الحقيقة الثالثة . .

هذه الحقيقة تقول أن سكان المدن ذعرموا في أول الأمر عندما شاهدوا باعینهم الات الحرب الضخمة من مدافع الميدان الثقيلة والطائرات والسيارات ناقلات الاسلحة والجنود تمر بالشوارع في طريقها إلى الشوار المغاربة . . ولكن بعد حين دهش أولئك السكان عندما علموا بأن الشوار الذين كانوا يحاريون بأسلحتهم الخفيفة قد دحرروا الات الحرب الثقيلة والجيوش التي زاد تعدادها على ثلث مليون نسمة قد هزمت في عدد كبير من المعارك لدرجة أن الثوار استولوا على معظم اسلحة الاسبان والفرنسيين في إبان انتصارتهم . .

وليس بالأمر الهين أن ترسل فرنسا اعظم مرشالاتها «بيتان» ومعه أربعون جنراً لمحاربة ثوار الريف . فثار الريف إذن أعظم من مارشالات فرنسا وجنرالاتها لأنهم دحروهم في موقع كثيرة قبل أن يلجم الفرنسيون إلى وسائل الخداع باستمالة القبائل الشائرة تارة بالتهديد والوعيد وأخرى بالمسايرة والملاينة ودفع الرشوارات لذوي النفوس الضعيفة كي لا ينضموا إلى ثورة الأمير عبد الكريم . .

كتاب أمير كيون يصفون حرب الريف

ومن أحداث تلك الحرب الطريفة ، أن قدماء الطيارين الأميركيين من محاربي الحرب العالمية الأولى . سمح لهم أن يقاتلوا في صفوف الفرنسيين ، ولتنقل وصف هذه الحرب الغربية عن مؤلف أمريكي هو بول بوتان في كتابه الدراما المغربية ، حيث قال : «لما كانت قوانين فرنسا لا تسمح لاجنبي أن ينضم إلى صفوف القوات المحاربة الفرنسية أياً كان نوعها ، باستثناء الفرقة الأجنبية ، فإن الصعوبة حلت بضم المتطوعين الأميركيين في وحدة اطلق عليها اسم «حرس الجو الشريفي» واستطرد المؤلف قائلاً : أما أن يرى الشبان الأميركيون المتعطشون إلى المغامرة والمجازفة أن من المناسب أن يعملوا في خدمة حاكم أفريقي ، فأمر يدعوه إلى الكثير من الغرابة ، وأما القاهم القنابل وإطلاق الرصاص من رشاشاتهم على قرى خالية من وسائل الدفاع - قرى شعب لم يكن بينه وبين الشعب الأميركي خصومة - شعب يقاتل في سبيل استقلاله فعمل لا يمكن أن يفهمه أولئك الذين كانوا أول من هتفوا لهم بسبب ما قاموا به في الحرب الكبرى ، لقد أدعوا أنهم كانوا يقاتلون عن فرنسا ، ولكنهم كانوا يحاربون من أجلبقاء الريف تحت حكم إسبانيا ، البلاد التي قاتلها الجيل السابق من الأميركيين وطردها من العالم الجديد لأن طغيانها وقوتها زكرت أنوف الناس الطيبين برائحتها الكريهة»^(١) .

لقد برهن رجال الريف على أنهم جزء من الشعب المغربي الذي كان وما يزال يكافح المستعمرات لطردهم من بلاده ، وقدموا أمثلة حية على شجاعتهم وبطولاتهم لم يستطع أحد من المؤرخين الأوروبيين أن ينكرها أو

(١) انظر بول بوتان في كتابه «الدراما المغربية ص ١٣٩» .

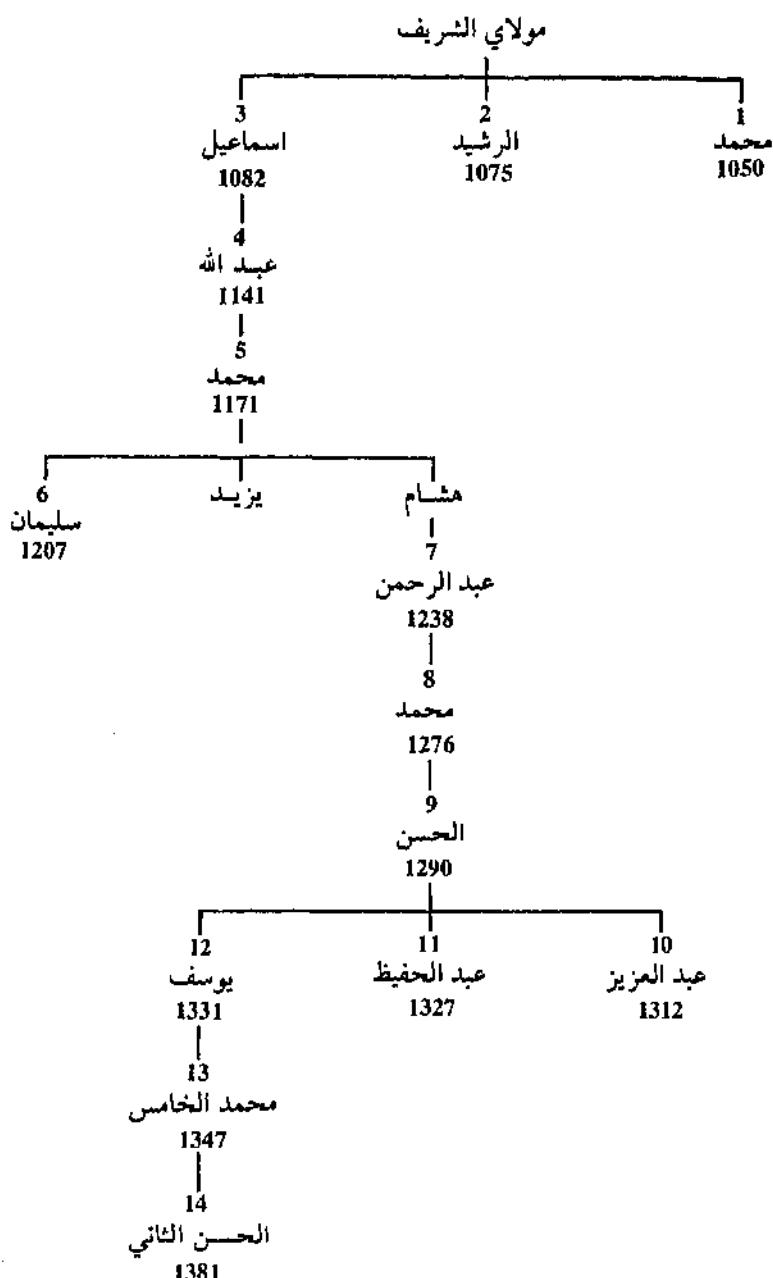
يُمْهَّدُها بالكذب والتضليل ، فجاءت الشهادات التاريخية المدونة مصداقاً لكافح شعب الريف بالرغم من أن فرنسا وأسبانيا أحاطته بجدار كثيف من الحديد والنار ومارستا عليه أبشع أنواع العروب القدرة التي لم يسمع بمثلها أحد

وإذا كانت فرنسا بمارشالاتها الثلاثة وجنرالاتها الأربعين قد حققت فوزاً مؤقتاً على كفاح البطل عبد الكري姆 الخطابي فإن الناس الشرفاء في أوروبا نفسها اعتبروا ذلك النصر باهساً وحقيراً ورخيصاً في ميزان الشجاعة والبطولة المغربية .

قال كارلتون كون الحجة الأميركي في الشؤون الريفية المغربية : «لولا أن خصوم الأمير عبد الكريم استعملوا الطائرات والدبابات لكان بإمكانه أن يقاتل الفرنسيين مدة لا نهاية لها» .

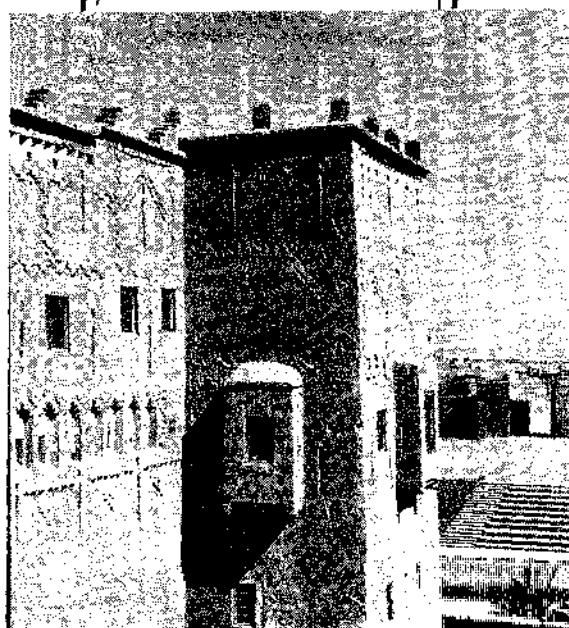
وفي اللحظات الأخيرة من مأساة الريف تخلى بعض انصار عبد الكريم عن مساندته طمعاً بالذهب الفرنسي والاسباني وتخلىت بريطانيا عن مساعدتها له عندما كلفها أن تكون حكماً بينه وبين عدويه اللذدين ولكنها رفضت طلبه ، فبرهنت برفضها ذاك على أنها دولة استعمارية غادرة لا قيمة لوعودها ولا لانسانيتها المزيفة التي تروج لها في المحافل الدولية ، وقد كان غدر الانجليز اياً ما للامير عبد الكريم من مأساة هزيمته .

وبانتهاء حرب الريف انتهى معها وجود المارشال ليوتني في المغرب ، فعيّنت فرنسا مكانه الجنرال ثيودور ستينغ . وكان من قبل حاكماً عاماً على الجزائر .



جدول ملوك الدولة العلوية الشريفة

الباب
الرابع



وزارات

الموسوعة العامة للتاريخ

والإنسان

**الفصل
الأول**

الاستعمار الإسباني في المغرب

كانت إسبانيا أسبق من فرنسا باحتلال أراضي المغرب لأن الفتح العربي بقيادة طارق بن زياد المغربي انطلق من أراضي المغرب فأجهز على غزوة القوط الغربيين الذين استطاعوا بدورهم أن يحتلوا شبه جزيرة إيبيريا والقضاء على الاستعمار الروماني فحلوا محلهم أي استعمار قوطي جديد حل محل الاستعمار الروماني الذي كان قد بدأ يحتل إيبيريا .

وبعد سقوط الاندلس بآيدي أحفاد القوط فيما بعد الأسبان الحاليون شرع هؤلاء يشنون حملات انتقامية على المغرب .

ففي أواخر القرن الخامس بعد الميلاد استطاع الإسبانيون - في عهد احتلال الدولة المغربية الكبرى - أن يفرضوا سيطرتهم على بعض مدن المغرب الواقعة على ساحله الشمالي ، مثل مليلة وسبته والحسيمه وبنون والجزر الجعفرية ، وهي واقعة في منطقة لا تزيد مساحتها على مئة ميل مربع وعدد سكانها حوالي ٢٠٠ الف نسمة ، فميليه كان يديريها المستعمرون الإسبان من «مالقة» المدينة الكنعانية القديمة ، كما كانوا يديرون سبته من

مدينة قادس الكنعانية أيضاً ، وبنون من فيلا سان خورخي .

أما المنطقة المغربية بكمالها التي يحتلها الاسبان في الشمال فتبلغ مساحتها ٨٠٠٠ ميل مربع اكثراً يواجه البحر الابيض المتوسط ومنها تطوان وشاون اما العرائش فانها واقعة على شاطئ المحيط الاطلسي .

وتقع مدينة افني ومقاطعتها على شاطئ المحيط الاطلسي جنوباً ولا تزيد مساحتها عن الف ميل مربع ويقل عدد سكانها عن ٣٠ الف نسمة ، وتدعي اسبانيا أنها احتلتها في القرن الخامس عشر رغم أن المغرب انتزعها من أيدي الاسبان عدة مرات قبل أن يحررها نهائياً . وفي اثناء احتلالها ، اعترفت المعاهدة المغربية الاسبانية المبرمة في عهد السلاطين الضعفاء والموقعة عام ١٨٦٠ باحتلال اسبانيا لها . ولكن اسبانيا لم تنجح بإعادة احتلال افني إلا في عام ١٩٣٤ .

وكان من أهم الاسباب التي جعلت اسبانيا تعطي اهتماماً زائداً لاحتلال شواطئ المغرب ، خوفها من قيام دولة مغربية قوية تحفظها امجاد المغرب التاريخية القديمة على استرداد الاندلس بعد سقوطها في عام ١٤٩٢ ، وثمة سبب آخر لهذا الاغتصاب الاسباني للاراضي المغربية هو فقدان اسبانيا لمستعمراتها القديمة في العالم الامريكي الجديد .

ومع أن اسبانيا كانت في مطلع القرن العشرين أضعف دولة في أوروبا إلا أنها كانت ويا للأسف ! أقوى من دولة سلاطين المغرب الضعفاء المتخاذلين ، ولكن الكنيسة والجيش في اسبانيا كانوا ينطويان على حقد اسود متغلغل في كيانهما ، فلم تنسى الكنيسة الاسبانية وصية الملكة ايزابيلا الكاثوليكية لقومها أن يعملوا بحماس لنشر المسيحية بين سكان المغرب .

اما الجيش الاسباني العائد من هزيمته في كوبا والفلبين سنة ١٨٩٩

فقد أراد أن يضمد جراحه بأثواب المغاربة ، ليجدد أمجاده البائدة التي ابتلعتها رياح المحبيات وعواصف الخلجان .

وفي عام ١٩١٢ سقط شمال المغرب غنيمة في أيدي القوط الإسبان ، وكانت قبل ذلك بسنة واحدة قد احتلت مدينة العرائش ثم مدينة القصر الكبير ثم احتلت تطوان عام ١٩١٣ ، وقد رافقاحتلال هذه المدن عمليات سلب ونهب واغتصاب للاعراض وقتل وترويع يفوق الوصف .

وتشاء الأقدار أن يقطف الريسيوني ثمار الثورة ويجعل نفسه زعيماً لقبيلة جباله القوية وأن يقود ثورتها قبل ظهور الأمير عبد الكري姆 الخطابي ، وأن يوقع بالاسبان خسائر مماثلة يوم زحف ابناء الريف الأبطال على مدينة شauen وحرروها من فلول الجيش الإسباني وأوقعوا به هزيمة منكرة . ولما قاد الأمير عبد الكريم حرب الريف بالفي جندي من المغاربة الأحرار تمكّن من هزيمة جيش تعداده ٦٣٠٠ جندي إسباني ، ولما حاقت الهزائم بالاسبان تمكّن الأمير عبد الكريم من الاستيلاء على جميع عتادهم الحربي بعد أن هزم الجيش الإسباني بكماله الذي فرَّ تاركاً على ارض الميدان كل معداته العسكرية بالإضافة إلى اقواته ومياه الشرب أيضاً .

وفي سنة ١٩٢٣ نشر وزير المالية الإسباني فيلانوفا تقريراً عن خسائر إسبانيا في حرب الريف تبيّن أنها أكثر من ٤٣ مليون جنيه استرليني وقد وصف المغرب آنذاك بأنه «مقبرة الجنود الإسبان والبشر التي ابتلعت ثروته» .

وفي ذلك العام بالذات أصبح بريمو دي ريفيرا دكتاتور إسبانيا وعندما انتصر الفرنسيون على عبد الكريم قال دي ريفيرا متجحاً: «يحق لنا أن نفتخر بأننا من عنصر متفوق وبأننا ننتمي إلى شعب قوي» .

ومع أن السلطان يوسف والد المغفور له الملك محمد الخامس ، قد أرغم على نشر ظهير في ٤ أيار سنة ١٩١٣ وافق فيه على المعاهدة الفرنسية الإسبانية التي وقعت عام ١٩١٢ ، فإن المغاربة لم يقرروا تلك المعاهدة ولم يعترفوا بها . وكان المغاربة يقولون: ما دام المغرب نفسه لم يوقع معاهدة مع إسبانيا فان الإسبان في المغرب إنما كانوا يتمتعون بحقوق المستأجرين الثانويين التي أخذوها من الفرنسيين . والفرنسيون بدورهم لا يعدون كونهم مستأجرين في الأراضي المغربية لذلك كان المغاربة يتطلبون من الإسبان أن يتنازلوا عن ادعاءاتهم تلقائياً عندما تتخلّى فرنسا عن حمايتها للمغرب ، لأن معاهدة الاستئجار الأساسية قد أصبحت لاغية .

وكان السواح في طنجة يقولون: «في اليوم الذي يغادر فيه آخر فرنسي المغرب ، يكون آخر إسباني قد غادر البلاد في اليوم السابق له» .

وكان المندوب السامي الإسباني يقيم في طوان محاطاً بالحرس المغربي لابسي الأقبية البيضاء ، وخصوصاً هم متمنطقة بمناطق خضراء ، وسراباً لهم البيضاء فضفاضة ، وأحذيتهم ذات مهاميز ، وعمائمهم الصغيرة انيقة وقفازاتهم بيضاء وكانوا يشبهون في ذلك فرسان القوقةز في روسيا بملابسهم الشتوية البيضاء ، هذا المظهر الملفت للأنظار لم يحاول الفرنسيون تقليله في الرباط ، حتى الحرس الملكي لم يكن أصلاً من المغاربة ولا كانوا يرتدون مثل هذه الملابس المزخرفة .

وكان خليفة السلطان في طوان يتمتع بمثل هذه المظاهر ، وكان السلطان يعين خليفته في طوان ، وقد اختارت الحكومة الإسبانية ابن عم السلطان المولى المهدي ثم خلفه ابنه الحسن المهدي وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وكان قصره أجمل من قصر السلطان في المغرب .

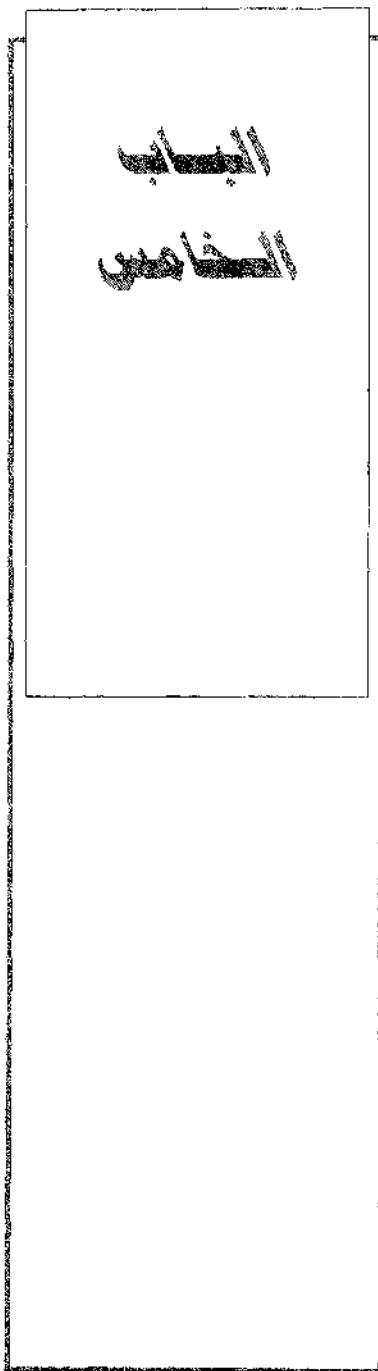
ومما يجب أن يذكر هو أن المغاربة الذين احتلوا الاندلس لم يقتصر احتلالهم لها على مجرد بسط النفوذ بل نفحوها حضارة كان من شأنها أنها كسفت كل حضارة أخرى في أوروبا قاطبة .

ومن المعروف أن الجنرال فرانكو قاد انقلاباً عسكرياً في إسبانيا بواسطة الجنود المغاربة ، وكانت بطولاتهم السبب الأول في تقلده زمام الحكم وقد أقام الجنرال فرانكو علاقات ودية مع العالم الإسلامي ، والجامعة العربية منذ عام ١٩٥٢ ، وقد كان لذلك أسباب ودافع إذ كانت الولايات المتحدة منذ صيف عام ١٩٥١ ، وهي تضغط على حكومة فرانكو لاعطائها قواعد لاستغلال المرافئ المغربية والاراضي المغربية المحتلة لتقيم عليها قواعدها الجوية والبحرية ، ولذا اختار فرانكو ربيع عام ١٩٥٢ - وهو الموعد المعين لإجراء المفاوضات الإسبانية - الأمريكية - لارسال وزير خارجيته ارتاخو على رأس بعثة كبيرة إلى بلدان الشرق الأوسط تهريباً من المفاوضات مع الولايات المتحدة .

وقد دشن السنير ارتاخو اثناء رحلته إلى الشرق معهداً ثقافياً في عمان - الأردن . واتفاقاً للصداقة الإسبانية السورية في دمشق وقدم المنح الدراسية للاجئين الفلسطينيين في الخليل ، وكانت إسبانيا منذ ذلك التاريخ تستورد القطن من مصر والبترول من السعودية لقاء مصنوعات من كتالونية .



الريسوني



الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

**الفصل
الأول**

الطرق الصوفية في المغرب

نشأت الطريقة الصوفية في المغرب في اسرة الوزاني ، التي عاشت في وزان الواقعة في شمال المغرب ، وهي اسرة عرقية النسب ظهر فيها عدد كبير من العلماء منهم سولاي عبد السلام بن مشيش احد كبار العلماء المجاهدين - الذي يعتبر مؤسس الطائفة الصوفية التي انتشرت في المغرب وكان لها اثر كبير في عقيدته الدينية ، وظلت هذه الطريقة يتوارثها كبار الابناء المنحدرين من عبد السلام بن مشيش .

وقد تصدى السلطان اسماعيل لرجال هذه الطريقة في زمانه فاستدعي السيد التهامي شيخ الطريقة في عصره ، ووجه إليه نقداً لاذعاً بسبب ما اسماه «بالعقيدة الكافرة» وكانت قد جرت العادة أن يعهد إلى اثنين من كبار موظفي البلاط لامتحان الشيخ العقائدي ، ولما استدعي الشيخ التهامي لامتحان غضب غضباً شديداً حتى قيل « بأنه انتفخ - وهدد بأنه سيملأ الغرفة كلها بجسده المنتفخ ، فخشى الموظفون وارتادوا من تهديده ، وظهر الارتياع جلياً على الموظفين الكبار الذين كلوا بامتحانه ، فرفعوا الامر إلى السلطان اسماعيل طالبين منه أن يحترم الشيخ الجليل الذي اغدق عليه

السماء برకاتها فتأثير السلطان اسماعيل من شجاعة الشيخ التهامي ، واسرع إلى بيت الشيخ ممتنبياً صهوة جواده ليقدم له احترامه ، وما أن وقعت عيناه عليه حتى ترجل عن جواده ، ولكن الشيخ رجاه أن يمتنبي جواده وامسك بالركاب بينما كان السلطان يعتلي ظهر الجواد ، ومما يؤثر أن السلطان اسماعيل قال : «إنني منذ هذه اللحظة فقط أصبحت سلطاناً حقيقةً فأصبح من المأله بعد تلك الحادثة أن يستدعي كل سلطان من سلاطين المغرب عند اعتلاء العرش كبير الاسرة الوزانية ويطلب إليه أن يقوم بالمراسيم التي بدونها لا يعتبر السلطان سلطاناً شرعياً . وهي أن يمسك الشيخ الوزاني برکاب الجواد عندما يمتنبيه السلطان .

ولكن بعض السلاطين العلوين من بعد اسماعيل لم يحفلوا بذلك التقليد ، إلا أن القصة استمرت روايتها في وزان إلى الزمن الأخير . ومثل هذه القصص عادة تؤثر في العامة فيعتبرونها عجائب ومعجزات جديرة بالتقدير والاكبار . وقد ازدهرت الطرق الصوفية منذ القرن الحادى عشر فانتشرت «زواياها» كمراكز للنشاط الدينى ، فصار لها ملاجئ ومدارس وبيوتات ووصفت بأنها تقوم باعمال الخير .

ثم ما لبثت هذه الطرق الصوفية وزواياها أن راحت تلعب دوراً بارزاً في حياة المغرب ، وعندما كان الإسبان والبرتغاليون يحاولون احتلال اجزاء من المغرب ، كانت تنطلق من هذه الزوايا الصوفية بوادر المقاومة العنيفة .

ولكن بعض الزوايا انحرفت عن اصول العقيدة ، في حين بقيت زوايا اخرى محافظة على التقاليد الاصلية التي كانت ترتفع إلى أوج السمو الديني الصحيح أما الطرق الاخرى فلم يكن يهمها من الأمر سوى التظاهر بالتطور الروحي والاتحاد الصوفي مع الله . أما الطرق المنحرفة فقد اتخذت سبيلاً نحو الانحطاط إلى درجة الخرافية والشعوذة والتدجيل ، ويقال مثل ذلك عن

شيخ الزوايا فكان بينهم الشيخ الولي النبيل ذو السمت الباهر ، والمعصب للدين ذو الغيرة والحماسة كما كان بينهم المهرج الذهيم الذي كان يتخذ من منصبه ذريعة لتحقيق مطامعه في الاثراء وكان الناس يتحققون بهذه الزوايا أو تلك على قدر فهمهم ووعيهم للأمور ، وكان من بين اعضاء هذه الزوايا بعض رجال المخزن «الحكومة المغربية» واصحاب المهن الحرة ، أما الاكثرية الملتحقة بها فكانت من الفقراء والجهال .

وكانت الطريقة الدرقاوية ، التي انشئت في أواخر القرن الثاني عشر تتمتع بسلطنة قوية ونفوذ كبير أما الطريقة التيجانية فكانت حريصة على شؤون الدين تنظيمًا وغاية .

وقد بقىت التهامية الوزانية محافظة على نشاطها الديني حتى أواخر القرن التاسع عشر عندما شرعت تتدخل في السياسة ، ثم ظهرت الطريقة الكتانية في القرن التاسع عشر ، فلم يعبأ بها أحد في أول الأمر ، ولكنها بعد أن توغلت اركان الحماية الفرنسية في البلاد أصبحت ذات قوة يحسب حسابها لسبعين اثنين أولئهما لأنها كانت تتعاون مع سلطات الحماية الفرنسية ، وثانيهما لأنها كانت تناصب السلطان العداء بسبب مواقفه العدائية من الفرنسيين .

وعاشت من هذه الطرق الصوفية الطريقة العيساوية نسبة إلى منشئها محمد بن عيسى في القرن السادس عشر ، إلا أن اتباع هذه الطريقة ما لبשו أن تخليوا عنها وراحوا يمارسون اعمال الدراويش وحركتهم ويقومون بها في مجالسهم الخاصة مثل الرقص الصوفي والتواجد لدرجة فقدان الاحساس والشعور ، ولكن المغفور له الملك محمد الخامس أمر بابطالها والقضاء عليها بعد أن خرجت عن الحدود الدينية المعمول بها .

وكان أفراد بعض هذه الطرق يناصبون الفرنسيين العداء لدرجة الكراهة والبغض الشديدين ، حتى أنها كانت تعتبر الفرنسيين كفاراً ، وكان لها تأثير على الحكومة المغربية يحول دون إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الأوروبية .

وعندما احتل الفرنسيون الجزائر وجدوا أنه من الضروري أن يفوزوا بعطف مشائخ هذه الطرق الصوفية واستماليتهم إلى جانبهم .

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

**الفصل
الثاني**

الفرنسيون والصحاب الطرق

خبر الفرنسيون جيداً هذه الطرق والدور الذي تلعبه ، وثمة وثقتان أولاهما رسالة بعث بها منذ قرن من الزمن المارشال بوجو أول حاكم للجزائر إلى أحد شيوخ الطريقة التيجانية ذات النفوذ الواسع ويقول المارشال في نهاية الرسالة: «عندما تشعر بحاجة إلى شيء ما أو إلى خدمة في أي نوع كانت ، فما عليك إلا أن تكتب إلى مرافقي الذي سيسره أن يبلغني رغباتك»^(١) ويقول أحد المختصين بشؤون الطرق الدينية في شمال إفريقيا وهو بول أودينو: «أن بعض شيوخ الطرق يمليون كل الميل إلى المال والنفوذ ، وهم يعرفون أنهم إذا قاوموا دولة الحماية فإنهم لن يحصلوا على أي شيء منها» .

وإن تعطش بعض الشيوخ من هؤلاء إلى المال والنفوذ كان يحملهم على دعم القضية الفرنسية ، ولكنهم كانوا يricsin على اقناع الفقراء بالانضمام إليهم ، للحفاظ على قوة نفوذهم لدى الفرنسيين .

(١) بول أودينو: الطرق الصوفية في المغرب ووهران ١٩٣٠ ص ٣٣ .

أما الوثيقة الثانية فقد كانت اعلاناً بعث به خليفة الشيخ المذكور الذي تلقى رسالة المارشال بوجو إلى اتباعه بمناسبة الحرب بين فرنسا والامير عبد الكريم سنة ١٩٢٥ يدعو فيه اخوانه إلى مؤازرة الدولة المسيحية ضد مواطنיהם المسلمين .

ويقول الشيخ التيجاني محمد الكبير بن البشير في هذا الاعلان: أن فرنسا تكافيء على الخدمات التي تقدم لها . . . وفرنسا قد انتصرت مؤخراً في حرب ١٩١٤ - ١٩١٩ ، على واحدة من اعظم دول اوروبه واقواها ألا ينصر الله سبحانه وتعالى ويمنح من عباده من يشاء»^(١) .

وعندما نجح الفرنسيون في اكتساب الشيوخ إلى جانبهم أخذ هؤلاء الشيوخ يستغلون أوهام اتباعهم ، فقد اوضحوا أن واقع انتصارات الفرنسيين الأولى في المغرب دليل على أن العون يأتيهم من قوى خارقة للطبيعة ، ولما كانت هذه القوى تعمل بارادة الله فإنه يتوجب على المسلم دينياً أن يؤيد الفرنسيين ، لا أولئك الذين تعاملوا عن معرفة قصد الله وغايته .

وقد لاحظ أودينو في سنة ١٩٣٠ : «أن بعض الطرق الدينية التي كانت تقدم العون للفرنسيين بولاء ظاهر ، كانت تنجح في زيادة عدد الاتباع ويستنتج من هذا كله أن بعض رؤساء تلك الطرق كانوا يعرفون كيف يبررون موافقهم وأعمالهم عند اتباعهم» .

علاقة بعض اصحاب الطرق بدول الغرب

ومع ذلك فإن السياسة التي اتبعتها فرنسا مع اصحاب الطرق الدينية جنت فوائد طيبة بصورة عامة فمن بين الزعماء المشايخ نجدان الطريقيه الدرقاويه «أوصت بالطاعة والتسليم للسلطات الفرنسية» فإن شيخها

(١) بول أودينو: المرجع السابق .

عبد الرحمن لم «يتزدد في سنة ١٩١٢ من ربط مستقبله بمستقبل فرنسا ، على أن هذا لم يحل دون تأييد الدرقاوية لألمانيا فيما بعد لدى نشوب الحرب العالمية الثانية» فقد كتب شيخها بعض رسائل شخصية إلى هتلر ، كما أن اتباعه اجتمعوا في الزوايا المتعددة يشكرون الله لأنه أله هتلر محاربة الفرنسيين . «ومهما يكن من أمر فإن جنود الحلفاء لم تكن تنزل في المغرب «في الحرب العالمية الثانية» حتى اتصل شيخ الدرقاوية بممثلي الولايات المتحدة وبريطانيا وطلب منهم أن يصبح مواطناً أمريكياً ، وأن يكون له خاتم خاص به ، وبيت في طنجه ، وسلطة تعين ممثلي الشخصيين^(١) .

شيخ الوزارة بين بريطانية وفرنسا

وقد ضمنت فرنسا المشيخة الوزارة ، عندما وجد شيخها عبد السلام الوزاني نفسه في مأزق حرج مع السلطان الحسن الأول سنة ١٨٨٣ ، فطلب حماية بريطانيا ، فرفضت الحكومة البريطانية طلبه» وهذا الشيخ هو غير عبد السلام بن مشيش الذي ظهر قبله باكثر من ٢٠٠ سنة فمنحه الحماية الفرنسية ، ويتحقق لفرنسا أن تنهي نفسها على تأييدها للوزانيين لأنها جنت من ذلك فوائد جمة . فالوزانيون هم الذين أيدوا التوغل الفرنسي في الصحراء الكبرى أولًا ثم في المغرب فيما بعد ، وقد قدموا للفرنسيين خدمات جليلة سنة ١٩١٢ وقاموا بدور هام عندما تخلوا عن الثورة الشعبية التي قادها عبد الكريم الخطابي زعيم الريف سنة ١٩٢٥ فكان ذلك أحد العوامل التي أدت إلى فشل الثورة واستسلام قيادتها عام ١٩٢٦ بالبحث والتحقيق .

إن التوغل الفرنسي في الصحراء الكبرى بمساندة الوزانيين يعتبر سبباً

(١) فـ . س فيدال: الأخوة الدينية في السياسة المغربية . ميدل إيست جورنال واشنطن أكتوبر ١٩٥٠ .

مباشراً في احتلال السودان الفرنسي وافريقيا الغربية . . لمن يريد أن يتعقب هذه القضية .

وللمزيد من التفصيات عن عبد السلام الوزاني وزوجته الانجليزية يجب مراجعة ماروكان جورنال «الجريدة الغربية» طبعة روبرت هيل ، لندن ، سنة ١٩٥٢ .

و قبل فتح المغرب بمدة طويلة ، كما يقول بول او دينو ، كانت التيجانية تقدم لنا العون ، ومنذ عام ١٩١١ ونحن نستغل نفوذها القوي في جنوب المغرب وموريتانيا والريف ، وقد لخص جولييان الوضع بقوله: «لقد عرفت الحكومة الفرنسية كيف تستفيد من المتصوفين الذين مولتهم وحمتهم» .

الكتانية - من الدين إلى السياسة

أما الكتانية وشيخها فقد تمكنت ببراعة أن تستغل الامور الدينية وتستعيض عنها بأمور سياسية ومادية ، وكان عبد الحي الكتاني شيخ الكتانية في عهد السلطان محمد الخامس من المع الشخصيات الصوفية المناوئة للسلطان محمد الخامس نفسه ، فقد كان بوصفه شيخ الكتانية «وليتا محترفاً» وكان يوزع بركته بحرية تامة وبشمن يتراوح بين حفنة من النقود الفضية أو رأس غنم أو كيس تمر إلى سجاد عجمي ثمين ، أو مخطوطات نادرة أو تحاويل مالية رسمية ، ولم يكن يستنكف عن قبول أي شيء من هذه الهبات ما دام الواهب على استعداد لأن يهبها .

أنشئت الكتانية في أواسط القرن التاسع عشر على يد جد عبد الحي الكتاني ، وكان لعبد الحي أخ حاول اغتصاب العرش ، فقبض عليه السلطان عبد الحفيظ وأعدمه وعلى الأثر نشأت عداوة عبد الحي الكتاني لحلفاء

السلطان عبد الحفيظ ، بعد أن اقسم يميناً معمظمه على متابعة عدائه للإسرة العلوية ، لذلك فقد كان حليفاً للفرنسيين ، ومن أكابر دعاتهم ضد السلطان وضد قضية المغرب ، وكان يجاذب باقوال وافعال تعتبر في أي دولة خيانة عظمى ، ولكن سلطات الحماية كانت تحمييه .

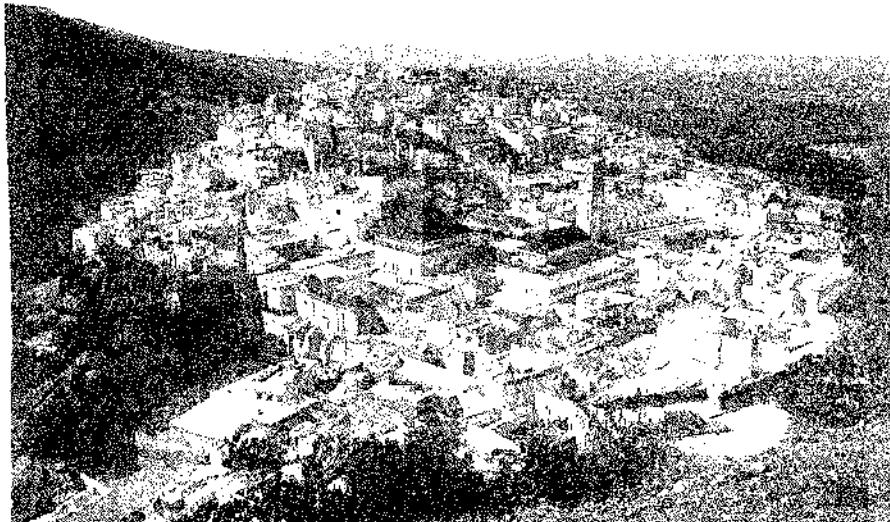
يصح لنا أن نقول هنا أن حماة الدين الإسلامي الشرعيين ونعني بهم علماء جامعة القرويين ، كانوا أشد خصوم هذه الطرق الصوفية وكانوا يعتبرون أولئك المشايخ مشايخ سوء ومنحطين ويعتبرون عملهم طعننة للإسلام .

وكان العامي الأول للايمان في المغرب هو السلطان . . . أما الكتاني فقد اعترف بأنه اضطر إلى التوجه إلى الفرنسيين «الكافار حسبما قال» للمساعدة ، وكتب سنة ١٩٥٣ يقول «أننا ندافع عن أنفسنا جهودنا بتأييد قوي من السلطات» .

وعندما قرر ليوتني محاربة الأمير عبد الكريم زوجه أصحاب الطرق الصوفية بالمعلومات اللازمة لذلك .



بتلالة الملك المنصوري له محمد الخامس



مولاكي أوروص قرعون

الموسوعة العامة للتاريخ

والأندلس

**الفصل
الأول**

ظهور الحركات الاستقلالية في المغرب

لم تمر أحداث الريف وما آلت إليه من هزيمة مفجعة على الشعب المغربي قاطبة من الرياح في يوم عاصف ، ففي أعقاب حرب الريف تكونت في البلاد أفكار جديدة ونظريات سليمة جديدة ، ومفاهيم عصرية جديدة أيضاً ، في عقول جيل جديد من أبناء المغرب بلد الحرور والبطولات وأخذت ردات الفعل تجيش وتتفاعل في صدور سكان المدن أولًا الذين هم أكثر ثقافة وأقل شجاعة من سكان الجبال ضد الأعداء المحتلين الذين اعتمدوا سياسة البطش والتكميل بآبطال ثورة الجنوب ثم ثورة الاطلس وآخرأ ثورة الريف ، فهباوا كأعاصير الشتاء للعمل المجدى ، والتنظيم المثمر .

نجم شمال إفريقيا

في ذلك الجو المشبع برائحة البارود ، ومشاعر الحقد المتأججة في الصدور ضد المستعمرين بدأ ظهور الحركات الاستقلالية ، مثل «جمعية نجم شمال إفريقيا» التي لمع اسمها وتألق في المغرب والجزائر وتونس ،

فإذا كان الأمير عبد الكريم قد حمل السلاح في وجه المستعمرين ، فإن الزعيم مصالي الحاج قد حمل الحجج السياسية والبراهين الدامغة التي تدين المستعمرين وراح ينادي ويطلب بالاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، إذ كان يعتبر نفسه خليفة للقائد الأمير عبد الكريم الخطابي ، وكان يرى في «جمعية نجم شمال المغرب» عملاً متمماً لجهاده وكفاحه ضد الاستعمار .

حلقة فاس والرباط

ثم ظهرت في الوقت ذاته «حلقة فاس» التي ضمت الزعيم علال الفاسي وصحبه الكرام ، وكانت هذه الحركة في أول أمرها تنادي بالقضاء على البدع والشعوذات الدينية وتعمل على تنقية الاسلام من ادعية «المشيخة» من اصحاب الطرق والزوايا وامثالها يضاف إلى ذلك حلقة الرباط بزعامة احد بلفريج الذي جمع حوله المثقفين المغاربة :

الحركة القومية المغربية

وقد ثبت حتى الآن أن الحركة القومية المغربية شهدت النور تحت أغصان شجرة توت في حديقة منزل السيد أحمد بلفريج في مدينة الرباط مساء اليوم الأول من شهر آب - اغسطس - سنة ١٩٢٦ ، في عهد المقيم العام الجديد ثيودور ستينغ ، والسلطان يوسف ، في ذلك الزمان كان العالم الاسلامي بما فيه العالم المغربي خاضعاً لنير الاستعمار الانجليزي - الفرنسي - الاسپاني .

وكان هؤلاء الشبان في حلقة بلفريج يجتمعون ويتبادلون الآراء فيما آلت إليه أوضاع الاسلام والعروبة ، تحت حكم المستعمرين الصليبيين الجدد الذين يحتلون بلاد المشرق والمغرب معاً بالحديد والنار .

ففي ذلك المساء القيت خطب حماسية كثيرة في منزل بلفريج الذي كان يعيش بعد وفاة والده في رعاية حاله وكان في الثامنة عشرة من عمره .

وكان السيد احمد بلفريج قد تلقى علوم القرآن الكريم ولغة العربية في مستهل حياته في إحدى المدارس التي تعنى بتدريس القرآن ولغة العربية . وقد أهله ذكاؤه لأن يدخل مدرسة غورو الثانوية في الرباط ، وفيها نال درجة علمية ممتازة ، ثم انتقل بعدها إلى جامعة فؤاد الأول في القاهرة ، حيث تتلمذ على طه حسين ومصطفى عبد الرزاق ، واستقر في نهاية المطاف العلمي في باريس حيث درس في كلية الآداب والحقوق في السوربون ونال دبلوم الدراسات العليا .

واخيراً عاد إلى وطنه ، وكان آخر الخطباء في تلك الامسية الحافلة بالوطنية المتأججة فختم كلمته بقوله : «وبدون الحرية والاستقلال فإن ظلام القبر أرُوحُ إلى النفس من نور الشمس» .

انصار الحق

وقد اسفر ذلك الاجتماع الليلي التاريخي عن تأسيس جمعية سميت رسمياً «أنصار الحق» وكان للجمعية اسم سري ، آخر هو «العصبة المغربية» كما اسفر ذلك الاجتماع عن انتخاب السيد احمد بلفريج رئيساً للجمعية ، وهو أصغر المجتمعين سنًا .

وفي ذلك الصيف بالذات شاءت محاسن الصدف أن يجتمع في مدينة فاس وفاس كما نعلم قبة الايمان وعاصمة المجد والمسجد والجامعات والذكريات المضمحة برائحة آثار الادارسه وبني مرين وكل ما يعود بالعقل والآفوس إلى أيام المجد الغابر أيام الاستقلال والسيادة عندما كان المغرب امبراطورية كبيرة واسعة الارجاء متراجمة الجوانب . نقول حصل في فاس

اجتمع اصبع تاريجياً فيما بعد وقد شهدته مدرسة القرويين وفي احدى غرف النوم التي يستعملها الطلاب عادة في الهزيع الاخير من تلك الليلة وقف شاب في الثامنة عشرة من عمره ابيض اللون . شعره ضارب إلى الصبه ، ذو عينين تألق فيهما لون زرقة السماء كان ذلك الشاب هو الطالب علال الفاسي . خطيب الجامعة وشاعرها ومعه بعض رفاقه التلامذة .

أما سبب الاجتماع فكان للبحث عن رد مفهوم للعقائد الهدامة التي كان ينشرها «الشيخ» عبد الحي الكتاني أحد أساتذة جامعة القرويين ، وكان هذا الرجل العجيب الغريب في تكوينه وتعاليمه يحاول أن يروج وفي أكبر جامعة وأعرقها وأقدمها بتدريس علوم الدين الإسلامي - عقائد هدامة خارجة عن الدين وتشهّر بالاسلام مستمدّة من المخارات والأكاذيب والأباطيل المضللة عامداً متعمداً بصفته عميلاً للمخابرات الفرنسية ، ومساعداً للشرطة الفرنسية التي جعلت منه جاسوساً على الطلبة .

ولما وقف الطالب علال الفاسي القى خطاباً حماسياً جاماً لكل الأسباب التي اجتمعوا من أجلها ثم ختم خطابه قائلاً: «ولكن قبل أن نصلح الآخرين يجب أن نبدأ باصلاح انفسنا ، وإذا ما أردنا أن نبشر بالاسلام الصحيح فإننا يجب أن نقود البلاد إلى مستقبل باهر ، فلنحرر انفسنا كي تحرر أجسادنا» .

وكانت كلمته النارية تلك تبعث من اصداء تعاليم المصلح الكبير جمال الدين الافغاني . وتعاليم الشيخ محمد عبده وكلاهما كان يؤمن بأن لا سبيل إلى تجديد الحياة الطبيعية إن لم تسبق ذلك ولادة ثانية للروح .

اتحاد الطلاب

وانتهى الاجتماع باتخاذ قرار لتأسيس حركة سرية غايتها النهوض

بالمغرب عن طريق إشاعة وتوضيح الاسلام الصحيح الخالي من البدع والشعوذات . ولم يمض وقت طويلا على «اتحاد الطلاب» حتى أخذ علال الفاسي على عاتقه انشاء جماعات محلية في جميع المدن المغربية .

ومن هنا يتضح أن الباعث على نشوء الحركة القومية الاستقلالية كان حرب الريف التي انتهت في عام ١٩٢٦ ، لأن جهاد الامير عبد الكري姆 الخطابي بعث الروح الوطنية في صدور شبان المغرب ، وأن مقاومته المسلحة ، خلقت في صدور الشبان حواجز الثورة المغربية الجديدة ، وهي الثورة التي اعتبرت احتجاجاً صارخاً وتعبيرأً أكيداً عن ثورة المسلمين ضد مادية المستعمرین .

وقد كان الطلبة في جامعة القرويين يتداولون فيما بينهم خطب الامير عبد الكريمة والمأثور من تصريحاته المدوية «عندما كان يحمل بشدة على مدينة الحديد والبارود الآتية من الغرب والتي جعلت من المستعمرین برابرة متوجهين يحاربون شعوباً اسلامية شبه مجردة من السلاح» .

ولا غرو فقد زين الغرور للمستعمرین ، أنهم من جنس متوفق يتسامى بعنصريته على الشعوب العربية والاسلامية الأمر الذي جعلهم ينظرون إلى العرب والمسلمين نظرة احتقار واستخفاف بتاريخهم وحضارتهم وعتقداتهم الدينية . ومن هذا الغرور المرذول والتغصّب الاعمى نشأت لدى المستعمرین على الأرجح فكرة مناهضة الاسلام بالمؤسسات التبشيرية ، ومكافحة التاريخ الاسلامي بتشويه أمجاده وعظائمه ، ومناهضة الحضارة الاسلامية بانكار وجودها أصلاً . . .

وبهذه الافكار ويا للأسف الشديد ما زال المستعمرون القدماء وحتى يومنا هذا وبواسطة الاستعمار الاقتصادي والتجاري المقنع يشوهون التعاليم

الاسلامية والتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية .

وكانت تهجد على المغرب والعالم العربي بين الوقت والآخر رياح ساخنة منطلقة من صدور زعماء أمثال كرسوا انفسهم لأحياء التعاليم الاسلامية الصحيحة ، واعمال نيران الثورة العربية الاسلامية الجديدة ، وايقاظ الشعور الوطني في قلوب ابناء العرب والمسلمين في جميع اقطارهم ومن هؤلاء السادة المصلحون : جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، واحمد عرابي ، وشكيب ارسلان . واحمد عارف وفهمي الحسيني وحمدي الحسيني من غزة في فلسطين وغيرهم من الكتاب والشعراء المعاصرین وفي مقدمة هؤلاء الشعراء أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران ، وأحمد حسن الزيات ومصطفى الرافعی وغيرهم . ولما اصدر المستعمرون الفرنسيون «الظهير البربری» الرامي إلى تنصير البربر المغاربة في ١٦ أيار سنة ١٩٣٠ ، اتخذته الحركة الوطنية مناسبة لفضح التدخل الفرنسي في الشؤون الاسلامية ونوايا فرنسا في التفرقة بين المسلمين .

دور الجمعيات التبشيرية الهدام

وإذا اضفنا إلى ذلك الجمعيات التبشيرية البروتستانتية التي عممتها الانجليز في فلسطين ومصر ، والجمعيات الكاثوليكية والاورثوذكسيّة التي عممتها الفرنسيون في سوريا ولبنان تتضح لنا النوايا الشريرة التي كان يتبنّاها المستعمرون لاضعاف العقيدة الاسلامية وزعزعتها تمهيداً للقضاء على الاسلام . . وما تزال هذه الجمعيات التبشيرية تمارس اعمالها في معظم الدول العربية والاسلامية حتى بعد أن نالت تلك الدول استقلالها ، بأساليب مقنعة على شكل جمعيات ومؤسسات ثقافية كاذبة ومضللة ، تستخدمن كتاباً وشعراً لترويج أضاليلها ضد الاسلام والقرآن واللغة العربية والشعر العربي على السواء ويتمثل ذلك افضل تمثيل في المؤسسات المماثلة الموجودة في

لبنان حيث تجري منذ عام ١٩١٧ إلى يومنا هذا عمليات غسل أدمغة لبعض فئات من اللبنانيين واستئصال فكرة العروبة والدين واللغة من رؤوس البعض من أبنائه المخدوعين .

الشباب المغربي يقود حركة الوعي

لقد كان مولد المؤسسات الوطنية الاستقلالية في الرباط وفاس دليلاً على أن الثورات والمحروbs الوطنية التي اندلعت في المغرب لم تذهب سدى .

ولكن هذا البعث الجديد في النفوس والافكار كان يحتاج إلى بلورة ، وإلى نظام قوي ، وشخصية مغربية قوية ، لكي تتزعم الحركة الوطنية المغربية واهدافها الاستقلالية . ولكن يقود عناصر الشبان وأفكارهم المضيئة قيادة سليمة نحو تحقيق أهدافها .

وما أن اعتلى السلطان محمد الخامس بن يوسف عرش المغرب حتى وجد فيه المغرب الزعيم المنشود الذي سيقود سفينته المغرب نحو الحرية والاستقلال . فالثقت حوله المؤسسات الحزبية المكونة من عناصر الشبان الذين اسسوا جمعياتهم العلنية والسرية في الرباط وفاس في اعقاب هزيمة حرب الريف .



أحد المهرجانات الشعبية التي يحييها الشعب المغربي في مدينة «مراكش»

(انتهى الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس)

٣٤٥ - ٣١٠	
٣٠٧ - ٢٣٢ - ٢٠٦ - ١٣٧ - ٩	اسلام
١٧٥ - ١٧٤	اسرائيل
٢١٨ - ١٧٤ - ١٦١ - ١٨	افارقة
- ٦٨ - ٦٧ - ٦٥ - ٦٢ - ٤٣ - ١٩ - ٩	افريقيا
- ١٧٤ - ١٦١ - ١٤٠ - ٩٨ - ٧٠ - ٦٩	
- ٢٦٧ - ٢٣١ - ٢١٨ - ٢١٧ - ١٨٨	
٣٥٤ - ٣١٠ - ٣٠٣ - ٢٧٢ - ٢٦٨	
- ٢٢٥ - ٢٢٤ - ٢١٠ - ٢٠٦ - ٢٥	المانيا
٢٦٠ - ٢٥٨ - ٢٣٧	
٣٠٥	أمازيغ
٧٣	الامارات العربية
١٨٠ - ١٣	اموريون
٩٨	اميركا
. ١٨٩	انجرة (قبيلة)
١٧٢	انكشارية
- ١٢٩ - ١٢٨ - ٧٣ - ٦٢ - ٢٠ - ١٨	أوروبا
- ١٥١ - ١٥٠ - ١٤١ - ١٤٠ - ١٣٠	
- ١٧٩ - ١٧٧ - ١٦٠ - ١٥٩ - ١٥٢	
- ٢٠٩ - ٢٢٥ - ٢١٦ - ١٩٢ - ١٧٢	
- ٣٠٨ - ٢٧٠ - ٢٦٨ - ٢٦٧ - ٢٦٦	
٣٤٩ - ٣٤٦ - ٣٤٥ - ٣٠٩	
- ٢٠٣ - ١٧٢ - ١٥٢ - ١٣٦ - ١٣	ايطاليا

- ٢٣٧ - ٢٢٧ - ٢١٠ - ٢٠٨ - ٢٠٦

- ٣٢٨ - ٣١٠ - ٣٠٩ - ٣١٤ - ٢٤٩

٣٧٣

- ب -

٩٢

البرازيل

- ١٣٥ - ١٢٦ - ١١٧ - ١١٣ - ٩٧ - ٩

بربر

١٥٣

بريطانية

- ٩٩ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٢ - ٧٠ - ١٩

- ١٤٠ - ١٣٦ - ١٢٩ - ١٠٤ - ١٠٣

- ٢٠٣ - ٢٠٠ - ١٩٩ - ١٩٦ - ١٨٦

- ٢٤ - ٢١٠ - ٢٠٩ - ٢٠٨ - ٢٠٤

- ٢٦٦ - ٢٤٩ - ٢٣٩ - ٢٣٠ - ٢٢٧

٣٣٩ - ٣٢٢ - ٣٠٣

٣٥٦ - ٢١٠ - ١٣٧ - ١٠٥ - ٩٩ - ٩٢

برتغال

٢١٠ - ١٩٢

بلجيكا

١٠٢

بنوبويه

٣٢٤

بنوزروال

٣٣٠ - ٣١١ - ٣٠٥

بنوربياغل

٧٣

بوركينافاسو

١٣

بولونيا

٤٧ - ٤٦

بوليساريو

١ - فهرس الأعلام

-١-

١٥٠	ابراهيم (ابن السلطان سليمان)
٧١ - ١٣	ابن بطوطة
١٣	ابن خلدون
١٣	ابن رشد
١٣	ابن طفيل
٢٨	ابن عرفة
٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٨	ابو أحمد (مستشار السلطان عبد العزيز)
١٨٠	ابو جعفر المنصور
٢٥٣ - ٢٥١ - ٢٢١ - ٢٢٠	ابو حمارة
١٨٠	ابو دلامة
١٨٣	ابو العلاء المعربي
١٠٣	ابو الفرج الأصفهاني

٢٣٢	اتيان
١٦٢	أحمد (باي تونس)
٣٧٣ - ٣٧٢	أحمد بلفريج
٩٦ - ٩٥ - ١٩	أحمد بن (السلطان محمد)
٣٧٦	أحمد حسن الزيات
١٠٠	أحمد (الدلاي)
١١٣ - ١١٠ - ١٠٩	أحمد الذهبي (بن اسماعيل)
- ٣١٠ - ٣٠٦ - ٢٢١ - ٢١٩ - ٢١٨	أحمد الريسوني :
- ٣٢٠ - ٣١٩ - ٣١٦ - ٣١٥ - ٣١٣	
٣٤٧	
٣٧٦	أحمد شوقي
٣٧٦ - ٢٠٣	أحمد عرابي
٣٧٦ - ٢٠٣	أحمد عارف
٥٠	أحمد عسفة
١٣	الإدريسي
٩	إدريس الأول
٢٢٨ - ٢٢٧	أدوارد السابع
٣٤٩	ارتاخو
٣٣٤	ارستيد بريان
١٧٨	اسكندر المقدوني
- ٨٩ - ٧٩ - ٦٩ - ٥٠ - ١٩ - ١٨	اسماعيل (المولى)
- ١١٧ - ١٠٩ - ١٠٣ - ١٠١ - ٩٩	
- ١٥٢ - ١٤٥ - ١٤١ - ١٢١ - ١١٨	

٣٥٦ - ٣٥٥ - ١٦٩ - ١٥٣	إسماعيل (الخديوي)
٢٠٣ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٩٩	البيزابيت الأولى
. ٩٧	الأمين العباسى
١٠٣ - ١٠٢	أندريله تارديو
٢٣٩	انطوان دي بوربون
١٩	انطونيو مورا
٢٣٠	أوغسطين برنار
٢٤٢ - ٢٣٥	ايزابيلا
٢٤٦	

- ب -

٣٠٧	بالباو
٣٢٩ - ٣٢٧	بانليفيه
٤٩	بدجت ميكن
١٤١ - ١٠١ - ١٢٢ - ١١٣	البخاري
٣١٨ - ٣١٧ - ٣١٦	برانخي
٢١٩	برديكارس
٣٤٧ - ٣٢٨ - ٣١٨	بريمودي ريفيرا
١٠٢	بغا
- ٣٦٢ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦١ -	بوجو
٣٦٢	
٣٦٤ - ٣٦١	بول أودينو
٣٣٨	بول بوتان
٣٠٠	بومير و

٤٩	بونللي ^١
٣٢٧ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٣ - ٣٣٣ -	بيتان (الجنرال)
٣٣٧	
٣١٥ - ٣١٤ - ٣١٢ - ٣١١ - ٣١٠	بيرنخر
١٨٢	بيغن
- ت -	
٣٥٥	التهامي الوزاني
٢٠٣	توفيق (الخديوبي)
٢٣٩ - ٢٣٦ - ٢٣٤ - ٢١٩	تيودور روزفلت
٣٧٢ - ٣١٩	تيودور ستيف
- ج -	
٤٩	جاكسون
٥٠	جرابرج
٤٧ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٣	جرميين أيashi
٨٣	الجزولي (أبو حسون)
٢٨٧ - ٢٨٦ - ٢٨١ - ٢٨	الجلاوي
٣٧٦ - ٣٧٤	جمال الدين الأفغاني
١٣٦	جورج واشنطن
٢٥٢ - ٢٢٣ - ٢٢٢	جورييس
١٥١	جوزف بونابرت
٣٦٤	جوليان
٧١	جييرارد رولف

-ح-

٣٧٦	حافظ ابراهيم
٢٩٣	الحجاوي
٢٨٨ - ٢٨١ - ١٧	الحسن الداخل
- ٢٠٦ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ١٩٩ - ٢٠	الحسن الأول
- ٢١٢ - ٢١١ - ٢١٠ - ٢٠٨ - ٢٠٧	
٢١٩	
١٩١ - ٤٣ - ٣٦ - ٣٥	الحسن الثاني
٩١ - ٨٢	الامام الحسن بن علي
٣٤٨	الحسن (المهدي)
٩٢ - ٨٧ - ٨٢ - ١٧	أبو حسون السملالي
١٦٠	حسين (الدai)
٣٧٦	حمدي الحسيني
١٧٩ - ١٧٨	حمورابي

-خ-

٣٧٦	خليل مطران
٣٠٨	خورданا (الجزرال)

- د -

٣٨٧	داريوس
١٣٥	
٢٧٩	داليه

٣٠٠	الدرقاوي
٢٠٠	دسرائيلى
٢٦٠ - ٢٣٦ - ٢٢٩ - ٢٢٤ - ٢٢٣	دلكاسيه
٢٦٠	دوسلف
١٠٤	دوكين
٢٣٦	دي فوال
١٠١	دي كاستري
٢٤١	ديغول
١٦٤	دي مشيل
١٧٩	دوبلو

- ر -

. ٩٩ - ٩٥ - ٩٢ - ٩١ - ٨٨ - ١٨	رشيد (المولى)
٥٠	ركلوس
٣٦٤	روبرت هيل
٢٠٠	روتشيلد
٢٤١	روجين
٢٣٢	روفيه
٧٠	رينيه كايبه

- ز -

١٠٣ - ١٠٢	زبيدة
١٢٧ - ١٢٦	زين العابدين (زيدان)

- س -

٣٢١

سايكس - بيكتو

سلیمان بن محمد الثالث (المولى^١) ١٩ - ١٤٦ - ١٤٥ - ١٤٩ - ١٥٠ -

١٥٣ - ١٥٢ - ١٥١

١٧١ - ١٧٠

سلیمان القانوني

١٧٢ - ١٧١

السلطان سليم الثالث

١٥٩

سنان باشا

٤٣

سنغور (ليوبولد)

- ٣١٤ - ٣١٣ - ٣١٢ - ٣١١ -

سیلفستري

٣١٥

- ش -

٩٩

شارل الثاني

١٥٧

الشرادي

٩٥ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٢ - ١٧

الشريف بن علي

٣٧٦

شكيب ارسلان

٢٥٤

شتايدر

٢٥٤

دي شانيون

٥٠

شينيه

- ط -

٣٧٣

طه حسين

٢٤٩ - ٢٤٠ - ٢١٩ - ٤٦ - ٢٦ - ٢٠	عبد الحفيظ (المولى)
٢٥٩ - ٢٥٣ - ٢٥٢ - ٢٥١ - ٢٥٠	
٢٧٧ - ٢٧١ - ٢٦٤ - ٢٦٣ - ٢٦٢	
. ٣٦٥ - ٣٦٤ - ٣٠٦ - ٢٨٠ - ٢٧٩	
١٣٨	عبد الحميد الأول
٢١١ - ١٧٠	عبد الحميد الثاني
٣٧٤ - ٣٦٤	عبد العزيز الكتاني
٣٦٣	عبد الرحمن الدرقاوي
١٨٨	عبد الرحمن بن سليمان
١٥٣ - ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٦ -	عبد الرحمن بن هشام
١٨٧ - ١٦٩ - ١٦٨	
٣٦٣ - ٣٥٠	عبد السلام بن مشيش
٣٦٤ - ٣٦٣	عبد السلام الوزراني
	عبد العزيز بن الحسن الأول
٢١٧ - ٢١٦ - ٢١٥ - ٢٦ - ٢٠	(المولى)
٢٢٢ - ٢٢١ - ٢٢٠ - ٢١٩ - ٢١٨	
٢٢٨ - ٢٢٧ - ٢٢٦ - ٢٢٥ - ٢٢٣	
٢٤٣ - ٢٤٠ - ٢٣٩ - ٢٣٥ - ٢٣٤	
. ٢٧٩ - ٢٥١ - ٢٥٠ - ٢٤٩ - ٢٤٤	
١٧٠	عبد العزيز (العثماني)
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩١ -	عبد القادر الجزائري
٢٠٣	

عبد الكري姆 الخطابي :

- ٣١٤ - ٣٢٣ - ٣١٢ - ٣٠٣ - ٢٦
- ٣٢٠ - ٣١٩ - ٣١٧ - ٣١٦ - ٣١٥
- ٣٢٥ - ٣٢٤ - ٣٢٣ - ٣٢٢ - ٣٢١
- ٣٣٢ - ٣٣١ - ٣٣٠ - ٣٢٨ - ٣٢٦
- ٣٤٧ - ٣٣٩ - ٣٣٧ - ٣٣٦ - ٣٣٥
 ٣٧٥ - ٣٧٢

٧١

١٩

- ١٢٥ - ١٢٢ - ١١٨ - ١١٧ - ١٠٠
 ١٤٥ - ١٣٥ - ١٢٨ - ١٢٧ - ١٢٦

٢٠٥

١١٣ - ١١٠

١٣٠

١١

٢١١ - ١٧٢ - ١٧١

٩

٣٧٥ - ٣٧٤ - ٣٣٦ - ٢٨٦

٩١

١٥٤ - ١٢١

٣٠٦

عبد الله بن ياسين

عبد الله السعدي

عبد الله بن اسماعيل

الملك عبدالله

عبد الملك (السلطان)

عبد المجيد (السلطان)

عبد المؤمن بن علي

عطا الله افendi

عقبة بن نافع

علال الفاسي

الامام علي بن أبي طالب

علي الأعرج (السلطان)

عمر بن الخطاب

- غ -

٢٨١

١٣٧

غاندي

الغزال

٣٧٣ - ٣٢٨ - ٢٩٣ - ٢٧٩ - ٢٧٨

غورو (الجزر الـ)

٣٢٨ - ٢٩١

غيوم (الجزر الـ)

- ف -

١٧٢

فاردة

٨٢

فاطمة الزهراء

١٠٢

الفتح بن خاقان

٢٠٠

فردينان دي ليسبيس

٢٠٣

فرناندو السابع

٣٤٩ - ١٩١

فرانكوا

١٩

فرنسوا الأول

٢٨

فرنسوا مورياك

٣٧٦

فهمي الحسيني

٢٥٩ - ٢٣٤ - ٢٢٠

فون بلوف

٣٧٣

فؤاد الأول

٢٤٠

فيكتور عمانوئيل

٢٢٣ - ١٩

فيكتوريا (الملكة)

٢٢٤

فيلكس مايثوس

٢٣٦

فينوستا

- ق -

١٦٠

القرمانلي

١٨٢

كارتر

٣٣٩

كارلتون كون

٢٣٧	كافور
٢٤٥	كلوب باشا
- ل -	
٥٠	لانوي
١٩	لويس الثالث عشر
١٨ - ٩٥ - ٩٧ - ١٩ - ١٠٤	لويس الرابع عشر
٩٧	لويس الخامس عشر
٦٩	ليون العاشر
٢٠	ليون غودار
- ٥٠ - ٢٦٤ - ٢٦٣ - ٢٢١ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٦٤ -	ليوتي (الجنرال)
- ٢٥١ - ٢١٠ - ٢٧٧ - ٢٧٦ - ٢٧٥	
- ٢٨٨ - ٢٨٧ - ٢٨٦ - ٢٨٥ - ٢٦٨	
- ٣٢١ - ٢٩٩ - ٢٩٨ - ٢٩٢ - ٢٩١	
- ٣٢٩ - ٣٢٨ - ٣٢٦ - ٣٢٥ - ٣٢٢	
٣٦٥ - ٣٣٩ - ٣٣١ - ٣٣٠	

- م -

. ٣٦٦ - ٢٨٦ - ٢٧٩ - ٢٤٣ - ٢٦	ماء العينين
. ١٠٣ - ١٠٢	المأمون (العباسي)
٣٠٦	مانسماان
١٠٢	مارية (التركية)
١٠٢	المتوكل (العباسي)
٢٧٣ - ٨٢ - ١٧ - ٩	محمد رسول الله (ص)

٣٦٢	محمد التيجاني
٣٠٤ - ٣٠٣	محمد أمزيان
١٧٠	محمد الثاني (العثماني)
١٢٥	محمد الثاني (بن إسماعيل)
- ١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٥ - ١٢٨ - ١٢٧	محمد الثالث
١٤٥ - ١٤٤ - ١٤٠	
- ١٩٣ - ١٩١ - ١٨٩ - ١٧٨	محمد الرابع
٢٠٣ - ١٩٤	
- ٢٣٣ - ٣٧٠ - ٣٥ - ٢٨ - ٢٧ - ٢٥	محمد الخامس
٣٧٧ - ٣٦٤ - ٣٥٧ - ٣٤٨ - ٣٣٦	
٩٥ - ٩٢ - ٩١ - ٨٧ - ٨٣ - ٨٢ - ١٧	محمد الشريف بن علي
١٥٠	محمد بن عبد الوهاب
١٧٠	محمد رشاد
٢٠٠	محمد سعيد
٢٣٧	محمد الطوري
٢٠٠ - ١٩٩	محمد علي باشا
٣٧٦ - ٣٧٤	محمد عبده
١٧٢ - ١٧٠	محمود الثاني
١٧٠	مراد (السلطان)
١٠٢	مراجل
١٢٧ - ١٢٦ - ١٢٥	المستضيء (بن إسماعيل)
١٤٥	مسلمة بن محمد
١٠٣	المسعودي

٣٧٢	مصالى الحاج
٣٧٦	مصطفى الرافاعي
٣٧٣	مصطفى عبد الرزاق
١٠٣ - ١٠٢ - ١٨	المعتصم العباسى
٦٨	منسّاموسى
١٠٢	المنصور (أبو جعفر)
٩٨ - ٩٦ - ٨٢ - ٧٢	المنصور الذهبي
٣١١	موذليس
٧٠	مونجوبارك
٢٥٤ - ٢٢٩	موريل
٢٤٢	موشان
٢٥٦ - ٢٥٤	موانيه
٢٨٥	مونجان (الجنرال)
٣٤٨	المولى المهدى
- ن -	
. ٥٩ - ٥٨ - ٥٢ - ٥١ - ١٥ - ٩	نابوليون بونابرت
٣١٤ - ٣١٢	نافارو (الجنرال)
٣٢٧	ناولان
١٠٠ - ٩٦ - ٩٢	الناصري
٢٨١	نهره
٣٣٤ - ١٨٢	نوبيل

-٥-

١٠٢	هارون الرشيد
٢٣٩	هارولد نيكسون
٢١٩	هاري فولتر
٢١٩	هاري ماكلين
٧٠	هايتريش بارت
٢٠٣	هالت
٢٧٤ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨٥ - ٢٨٥	الهبة بن ماء العينين
٢٨٦ - ٢٨٧ - ٣٣٦	
٣٦٣ - ٢٧٠	هتلر
١٤٥ - ١٤٦ - ١٦٩	هشام بن محمد
٣٢٧	هرييو
١٩	هنري الرابع
٣١٤	هنييبل

-٦-

١٠٢	الواثق العباسي
١٧	وحيد الدين
١٩	وليد
٢٢٠ - ٢٣٤ - ٢٦٠	وليم الثاني
٣٢٨	ويغان

-٧-

يزيد بن محمد الثالث ١٤٥ - ١٣٥

يوحنا (القديس)

١٥٩

يوجين رينو

٢٦١

يوسف بن تاشفين

٧٢ - ٧١ - ١٠

(يوسف السلطان)

- ٢٨٦ - ٢٨٥ - ٢٨١ - ٢٨٠ - ٢٦

٣٤٨ - ٣٣٦ - ٣١٨ - ٢٨٨

٢ - فهرس المحتوى والأماكن

أ-

١٥٨	أبو زينة
١٢٧	أبو فكران
٣٣٠ - ٣١٧ - ٣١١ - ٣٠٨	أجدير
٦٧ - ٦٦	أدرار
١٧٢	استانة
١٨١	اسكندرتون
٢٧٩	اسفي
٦٧	اسيوط
١٢ - ١١	اشبيلية
٩٩	اصيلا
- ٢٠٩ - ٢٠٨ - ٢٠٤ - ١٣٩ - ٧١	اغادير
٢٦٠	
٨٨	الأغواط

٣٤٦ - ٢٥٣ - ٢٠٥ - ١٩١ - ٤٤	أفنبي
١٩٢	اكدال
٦٧	آماسنين
- ١٥٧ - ٧٢ - ٦٦ - ١٢ - ١١ - ١٠	اندلس
- ١٩٩ - ١٩٧ - ١٩٢ - ١٨١ - ١٥٨	
٣٤٩ - ٢٤٦ - ١٨٨ - ١٣٩	
١٣٩	أنفا
١٨١	انطاكيه
- ٣١٥ - ٣١٣ - ٣١٢ - ٣١١ - ٣٠٧	أنوال
٣١٨ - ٣١٦	
١٦٢	أورانيا
٣١١	ايجربين
٦٠	إيفران
٢٠٤ - ١٨٩ - ١٦٨ - ١٦٦	إيلي
٦٦	إغلي
- ب -	
- ٢٦٤ - ٢٢٧ - ٧٠ - ٢٩	باريس
٣٠٣ - ٢٧٤ - ٢٧٣	
١٥٩	باب المندب
٦٦	بشر الخزايم
- ١٢ - ٤٤ - ٥٨ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢	البحر المتوسط
- ٢٠٨ - ١٥٨ - ١٥١ - ١٦٠ - ٦٦	
- ٣١٠ - ٣٠٤ - ٢٣٠ - ٢١٠ - ٢٠٩	

٢٤٣ - ٦٦	بركنت
٧١	برمين
٢٦٤	برلين
٢٤٣ - ٦٧ - ٦٦	بشار
١٣	بصرة
٢٦٤	بطرسبورغ
١٠٣ - ١٠٢ - ١٨ - ١٣	بغداد
١٧١	البلقان
١٣٦	البندقية
٢١٢	بنزرت
٦٤ - ٦٣ - ٤٥	بنون
٦٧	بورنو
٦٦	بوزكان
٣١٩	بوحارييد
٣٣٥	بور سعيد
١٧٨	بيروت

- ت -

٢٨٦ - ٢١١ - ١٢٢ - ٥٨	تادلا
٣٣٠	تارجست
٥٩	تارودانت
- ٣٢٦ - ٢٩٢ - ٢٢٠ - ٩٦ - ٩٢	تازة
٣٣١ - ٣٣٠	

٣١٦ - ٣١٠	تازروت
٢٤٣ - ٨٣ - ٦٧	تافيلالت
١٦٢	تافنا
٦٦	تامنراست
٦٦	تاوديني
٢٠٥ - ٦٦ - ٥٨	ترنيت
٦٦	تشلة
- ١٨٩ - ١٣٧ - ١٢٦ - ١٠٥ - ٨٣	تطوان
- ٣١٨ - ٢٦٧ - ٢٠٥ - ١٩٣ - ١٩٠	
٣٤٨ - ٣٤٦ - ٣٣٠ - ٣٢٢ - ٣١٩	
- ١٦٦ - ١٦٥ - ١٤٩ - ٨ - ٦٧ - ٦٦	تلمسان
١٨٧	
٣٠٨	تفرسيت
٧٠ - ٦٩ - ٦٦	تمبكتو
٦٦	تندرارة
٦٦	تندوف
- ٢٦ - ٢٦ - ٢٠ - ١٣ - ١١ - ١٠	تونس
- ١٦٦ - ١٥٩ - ١٥٢ - ٧٣ - ٦٦	
- ١٨٨ - ١٧٢ - ١٧٠ - ١٦٩ - ١٦٧	
٣٧١ - ٢٦٤ - ٢٣٢ - ٢١٥	
٦٧	تيجو
٣١٦	تizi عزة:

-ج-

١٣	جامع الأزهر
٣٧٥ - ٣٧٤ - ٣٦٥ - ١٩٩ - ١٢ - ١٢	جامعة وجامع القرويين
١٣	جامع الزيتونة
- ١٠٤ - ٦١ - ٥٩ - ٥٨ - ٥٧	جبال أطلس :
- ٢١٠ - ٢٠٦ - ١٢٦ - ١١٧ - ١١٠	
. ٣٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٥	
٦٠ - ١٥٩ - ١٦٦ - ١٦٩ - ٢٦٧	جبال الريف :
. ٣١٩	
٣١٤	جبل خور خو
٣١٨	جبل درسة
- ١٩٢ - ١٣٧ - ١٦٨ - ١٠٤ - ٦١	جبل طارق (الفتح)
٢٦٣	
٨٧	جبل عياش
٣١١	جبل عieran
٣١٧	جبل عروس
١٣٧	الجديدة
١٣٧	جرسيف
٣٤٥ - ١٨٩	الجزر الجعفرية
- ٢٤٢ - ٢٣٨ - ٢٣٦ - ٢٤٠	الجزيرة الخضراء
٢٤٤ - ٢٥١ - ٢٥٩ - ٢٦٠	
٣٣٥	جزيرة ريونيون

- ح -

٦٦	حاسي حرك
٦٧	حاسي الخرنك
٢٧٨	حجرة الكحيلة
٦٧	حرسوق
٢٩٨	الحري
١٠٠ - ٣١٦ - ٣١١ - ٣٠٨ - ٣٠٥ - ٣١٢ -	الحسيمة :
٣٤٥ - ٣٣٠ - ٣١٧	
٧٣	حضرموت
٩٩	حلق الوادي
٦١ - ٦٠	حوز مراكش

- خ -

١٠٢	خراسان
١٨٨	خليج تكساس
٢٩٩ - ٢٩٧	خنيفرة

- ٣ -

٢٧ - ٤٩ - ١٣٩ - ٢٤٢ - ٢٥٣ -	الدار البيضاء
٢٥٦ - ٢٥٤	
٦٦	داخلة
١٨٩	داعيت
٧٥	دجلة
١٩١	دكالة.

٦٦	دكنا
٣٤٩ - ١٣	دمشق
- ج -	
- ١٣٦ - ١٢٧ - ١١٧ - ٤٩ - ٤٣ - ٣٦	الرباط
- ٢٧٨ - ٢٧٧ - ٢٧٦ - ٢٧٥ - ١٩٢	
٣٧٧ - ٣٧٣ - ٣٧٢ - ٢٧٩	
٦٦	رأس مرك
- ج -	
٦٧	الزاوية الكحلاء
١٨٩	زفارين
٢٩٧ - ٢٧٨	ريان
- س -	
١٦٩	ساسي
٢٨٨ - ٤٦ - ٤٤	الساقية الحمراء
٦٦	سالي
١٠٢	سامراء
١٥٨	سانت هيلانة
٣٤٦	سان خورخي
- ١٤٥ - ١٣٧ - ١٠٠ - ٦٦ - ٤٦ - ٤٤	سبتة:
- ١٩٠ - ١٨٩ - ١٥٢ - ١٥١ - ١٥٠	
- ٢٦٣ - ٢٦٠ - ٢٥١ - ٢٣٠ - ٢٠٨	
٣٤٥ - ٣٢٠ - ٣٠٣ - ٢٦٤	

٥٧	سيبو (نهر)
١٢٥ - ١١٠ - ٨٧ - ٨٢ - ١٧	سجل ماسة:
٦٦	سرطة
٢٨٥	سطاط
١٦١ - ١٠٥ - ٨٣	سلا
٣٨٣ - ١٣	سوربون
- ١١٠ - ٩٢ - ٨٢ - ٦١ - ٦٠ - ١٧	سوس
٢٨٠ - ٢٠٦ - ٢٠٥ - ١٣٦	
٦٩	سوتفية
٣١٠	سيدي بيسان
٣٣٠	سيدي الحسن
١٦٢	سيكاك
١٠٢	سيميرا
- ش -	
١٣٩	الشام
٢٧٨ - ٢٤٢	الشاوية
٩٢ - ٨٣	الشباتات
٢٧٠ - ١٩٢ - ١٨	الشرق الأوسط
٣٤٧ - ٣٤٦ - ٣١٩ - ٣١٨	شفشاون
- ١٨٧ - ١٥٨ - ٦٦ - ٦٢ - ١٩ - ٩	شمالي افريقيا
- ٢٤٩ - ٢٤٢ - ٢١٩ - ٢١٧ - ١٨٨	
٣٦١ - ٣٢٣ - ٣١٠ - ٢٦٣	
٦٨ - ٤٦	شنقسط

- ص -

٤٦	صافي
٣٥	الصحراء المغربية
٢٠٩ - ٩٩	
١٥٨	الصخيرات
٦٧	صفاقس
٢٧٩ - ٢٤٣ - ١٤٠ - ١٣٩ - ٤٦	الصويرة

- ط -

١١	طرابلس (ليبيا)
٦٧ - ٦٧ - ٧٠ - ٧١ - ١٣٩ - ١٦٠ -	
١٨٨ - ١٦٧ - ١٦٦	
٦٦ - ٤٦ - ٤٤	طرفاية
٦٠ - ٦٠ - ٩٩ - ١٠٤ - ١٢٧ - ١٣٥ -	طنجة
١٣٧ - ١٩٤ - ١٩٣ - ١٨٩ - ١٦٦ - ١٣٧	
٢٢٥ - ٢٢٠ - ٢٥٣ - ٢٠٤ - ١٩٤	
٢٦٤ - ٢٥٣ - ٢٤٣ - ٢٤٠ - ٢٢٨	
٣٤٨ - ٣٢٢ - ٣٠٤ - ٢٦٩ - ٢٦٨	
. ٣٦٣	

- ع -

٧٥	نهر العاصي
١٠٥	عدن
٥٨ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٥٨ - ٢٥٣ -	العرابيش
٣٤٧ - ٣٤٦ - ٣١٠	

٦٦	عروان
٤١٨	عربيت
٤٦	طار
٦٦	عين غاريت
٦٦	عين كزام
٨٨	عين ماضي
٦٦ - ٦٢	العيون

-غ-

٦٧	غات
٦٧ - ٦٦	غدامس
١٢	غرناطة
٣٧٦	غزة
٩٢ - ٨٣	غيلان

-ف-

- ٦٧ - ٦٠ - ٤٩ - ١٣ - ١٢ - ١١	فاس
- ١٠٠ - ٩٧ - ٩٢ - ٨٧ - ٧١ - ٧٠	
- ١٢١ - ١١٧ - ١١٣ - ١٠٥ - ١٠١	
- ١٩٢ - ١٤٥ - ١٢٨ - ١٢٦ - ١٢٥	
- ٢٥٩ - ٢٥٦ - ٢٢٠ - ٢١٦ - ٢٠٧	
- ٢٧٤ - ٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٧١ - ٢٦١	
- ٣٠٧ - ٢٩٩ - ٢٩٧ - ٢٨٧ - ٢٨٥	
٣٧٧ - ٣٧٢ - ٣٣٧ - ٣٣٠ - ٣٢٣	

٧٥	فرات
١٠٠	فرساني:
٦٧	فشر
١٣٩	فضالة
٦٦	فم الحصن
٨٨ - ٨٧ - ٧٢ - ٧١ - ٦٧	فيينا

- ق -

٦٧	قابس
٣٤٦	قادس
٣٧٣ - ٣٣٦ - ٣٣٥ - ٢٠١	القاهرة:
١٢	قرطبة
٦٥	قرطاجة
٢٤٣	قرطاسة
١٦٣ - ١٦٢	قسطنطينة
١٠١	قصر البدائع
٩٩	قصر الرياض
٢٠٦	قصر السوق
٣٢٠	القصر الصغير
٤٣٧ - ٢٥٣	القصر الكبير

- ك -

٦٦	كانو
٣٤٩	كتالونيا

- ل -

لندن
- ٢٦٤ - ٢٢٩ - ٢٢٥ - ١٠٤ - ٧٠ - ٣٦٤

- م -

مالقة
المحيط الأطلسي:
- ٦٦ - ٦٢ - ٦١ - ٥٨ - ٥٧ - ١٢ - ٩
- ٢٩٧ - ٢٥٣ - ١٩٠ - ٧٢ - ٧١ - ٦٧
٣٤٦ - ٣١٠ - ٣٠٥ - ٣٠٤ - ٢٩٨

١٣٩

المحمدية
مراكش:
- ٨٧ - ٦٧ - ٦٠ - ٤٩ - ١١
- ١٢٦ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٦ - ٩٥ - ٩٢
- ٢٠٥ - ١٩٢ - ١٣٦ - ١٣٥ - ١٢٧
- ٢٧٩ - ٢٥١ - ٢٥٠ - ٢٤٢ - ٢٢٠
٢٩٩ - ٢٩٧ - ٢٨٦ - ٢٨٥

مديريد:
٣٠٨ - ٣٠٧ - ٢٦٤ - ٢٥٣ - ٢١٠

٦٦

مرعيتي
المعمورة
معافرة
المقطوع
مكناس:
- ١٠٥ - ١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٥ - ٩٠
- ١١٣ - ١٢٦ - ١٣٥ - ١٤٥ - ١٥٤ - ١٥٣
١٧٩

١٣٨ - ٦٧ - ١٣	مكة
- ١٥٠ - ١٤٥ - ١٠٠ - ٦٦ - ٤٤	مليلة
- ٣٠٤ - ٢٣٠ - ٢٠٨ - ١٥٢ - ١٥١	
- ٣١٣ - ٣١٢ - ٣١١ - ٣١٠ - ٣٠٨	
٣٣٠ - ٣٢٩ - ٣٢٧ - ٣٢٠ - ٣١٤	
٢٩٩ - ٢٤٣ - ٢٠٦	ملوية
١٣٦	المنصورة
٦٦	ممغرة
٦٦	المون
- ن -	
١٥٨	نابولي
١٩	نافار
٢٩٩ - ٢٩٧ - ٢٨٥ - ٥٨	نهر أم الريبع
٥٩	نهر توكلة
٥٩	نهر داداس
٧٠	نهر بینو
٧١	نهر السنغال
٧٠	نهر شاري
نهر العاصي	
٧٥	
٣١٥ - ٣١١	نهر القرط
٧٥	النهر الكبير
٧٥	نهر الليطاني

٦١ - ٥٨	نهر الملوية
٧٥	نهر النيل
٧١ - ٧٠	نهر النيجر
٥٨	نهر ورغة
٦٦	نواديب
٦٦	نواكشوط
- ٩ -	
١٤٠ - ٥٩	وادي درعة
٤٦ - ٤٥	وادي الذهب
٥٨	وادي جيجو
٥٨	وادي أبو رقراق
٥٨	وادي الأخضر
٥٨	وادي البهت
٥٩	وادي بولمان
٥٨	وادي دوم
٨٨	وادي تافتا
٥٩	وادي ادفورة
١٢٢	وادي الربيع
١٢٦	وادي زم
٢٠٦ - ٥٩	وادي زيز
٥٨	وادي العابد
٢٩٤	وادي عنان
٥٨	وادي فاس

٣١٨	وادي لاو
٥٨	وادي مكناس
٥٩	وادي كريفلة
٥٩	وادي كرييس
١٤٠	وادي نون
٧٣	وادي النيل
٥٩	وادي ورزازات
٣٣٠ - ٣٢٤ - ٢٩٩	وادي ورغة
١٦٧ - ١٦٥ - ١٥٨	واترلو
- ٢٠٧ - ١٩٧ - ١٨٩ - ٦٦ - ٦٢	وجدة
٢٩٣ - ٢٥٤ - ٢٤٣	
٦٦	وركان
٣٥٥ - ٣٠٠ - ٢٩٩	وزان
٢٠٣ - ١٦٢ - ١٦٠	وهران
- ي -	
٦٦	بلوة

٣ - فهرس البلات والقبائل والشعوب والأمم

- أ -

الاتحاد السوفيaticي	١٧٤	٣٨٢ - ٣٨٨
اتراك	١٠٢	
ادراسة:	١١	٣٧٣ - ٣٧٣
اردن	٣٢١	
آسيا	١٧١	
اسبانيا:	١١	- ٩٩ - ٩٢ - ٤٦ - ٢٦ - ٢٠ - ١١
	١٠١	- ١٠٤ - ١٠٥ - ١٣٥ - ١٣٧
	١٣٩	- ١٣٩ - ١٥٢ - ١٥١ - ١٨٨ - ١٨٩
	١٩٠	- ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٨
	٢٠٩	- ٢١٠ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩
	٢٢٤	- ٢٢٦ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٥٢
	٢٦٦	- ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٢٧١
	٢٧٢	- ٢٧٢ - ٣٠٣ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩

- ث -

٢٩٤ - ٢٩٣	تسول (قبائل)
٢٠٦ - ٧٣ - ٧٠ - ٦٧	تشارد
٦٩	تيجانية

- ج -

١٨٨	جامايكا
٢١٦	بنو جامع
٣١٩ - ٣١٥ - ٣٠٦ - ٣٠٥ - ٣٠٠	الجبالا (قبائل)
٣٣١ - ٣٢٤ - ٣٢٠	
- ٤٥ - ٤٣ - ٤٠ - ١٩ - ١١ - ١١	الجزائر
- ١٤٩ - ١٣٩ - ١٠٠ - ٧٣ - ٦٢ - ٤٦	
- ١٦٣ - ١٦٠ - ١٥٩ - ١٥٢ - ١٥١	
- ١٧٢ - ١٧٠ - ١٧٩ - ١٦٧ - ١٦٦	
- ٢١٠ - ٢٠٧ - ١٨٩ - ١٨٨ - ١٨٧	
- ٢٥٢ - ٢٤٢ - ٢٣٢ - ٢٢٠ - ٢١٥	
- ٣١٠ - ٣٠٩ - ٣٠٨ - ٢٦٤ - ٢٦٣	
٣٧١ - ٣٤٩ - ٣٤٦ - ٣٤٥ - ٣٣٩	
١٥٠	الجزيرة العربية

- ح -

٧٣	الحبشة
١٣٩	الحجاز

- د -

٢١٠ - ٣٧ - ٣٦	دانمارك
٩٢ - ٩١ - ٨٧ - ٨٣	الدلاييون

- ر -

- ٢٣٩ - ٥٦ - ١٧٤ - ١٧٢ - ٢٣٧ -	روسيا
٢٥٤	
- ٣٠٥ - ٦٦ - ١٧٧ - ١٧٦ - ٣٠٥ -	رومان
٣٤٥ - ٣١٤	

- س -

١١٨ - ٩١ - ٨٢ - ١٧ - ١٢	سعديون
٣٤٩ - ٧٤ - ٧٣	المملكة العربية السعودية
٧٢ - ٧١ - ٦٦ - ٤٦ - ٤٣	سنغال
٩٨ - ٧٣ - ٧٢ - ٧٠ - ٦٥ - ٦٦ - ٤٣	سودان
٣٢١ - ١٧٨	سوريا
٢١٠	السويد
٧٠	سيراليون

- ص -

١٣٦	صقلية
١٦٢ - ١٥٤ - ٧١ - ٦٥	صنهاجة
٣٥٥	الصوفية (طرق)
٧٣	الصومال
١٧٤	الصين

- ط -

٣٥٧	الطريقة التهامية الوزانية
٣٥٧	الطريقة الشيجانية
٣٦٣ - ٣٦٢ - ٣٥٧	الطريقة الدرقاوية
٣٥٧	الطريقة العيساوية
٣٦٤ - ٣٥٧	الطريقة الكتانية
٦٨ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٥	طوارق (قبائل)

- ع -

١٨٠ - ١٠٢ - ١٣	عباسيون
- ١٤٩ - ١٣٨ - ١٠٥ - ٨٨ - ٢٠ - ١٠	عثمانيون
- ١٧٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٧١ - ١٧٠ - ١٧٢ -	
. ٢٦٣ - ٢٠٣ - ١٩٩ - ١٧٢	
. ٣٢١ - ١٧٩ - ١٥٠	العراق
- ١٠٢ - ١٠١ - ٩٧ - ٦٦ - ١٣ - ٩	: عرب
- ١٧٤ - ١٧١ - ١٦٧ - ١٣٥ - ١٠٣	
١٩٩	
- ١٢٦ - ١٧ - ٧٠ - ٨١ - ٩١ - ٩١ - ١٢	الأسرة العلوية (علويون)
. ٣٦٥ - ٣٥٦ - ٢٨٠ - ١٤١ - ١٢٨	
١٧٩	عمرؤون

- غ -

٧٢ - ٧١ - ٦٩ - ٦٨ - ٦٥	غانجا
٢٩٤	غيبة (قبائل)

غنية

٦٩ - ٦٠

- ف -

فرنسا

- ٩٢ - ٤٣ - ٢٨ - ٢٦ - ٢٠ - ١٩
 - ١٣٥ - ١٠٤ - ١٠٣ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٥
 - ١٥٧ - ١٥٢ - ١٥١ - ١٤٠ - ١٣٧
 - ١٦٧ - ١٦٥ - ١٦٣ - ١٦٢ - ١٥٨
 - ١٨٨ - ١٧٧ - ١٧٤ - ١٧٢ - ١٧٩
 - ٢٠٨ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ٢٠٠ - ١٩٤
 - ٢٣٧ - ٢٣٥ - ٢٢١ - ٢١٥ - ٢١٠
 - ٢٥٨ - ٢٥٧ - ٢٥٢ - ٢٥١ - ٢٤٠
 - ٢٧١ - ٢٧٠ - ٢٦٨ - ٢٦١ - ٢٥٩
 . ٣٢٣ - ٣٠٣ - ٢٧٢

فلسطين

- ١٨١ - ١٨٣ - ١٨١ - ١٧٥ - ١٧٤
 ٣٧٦ - ٣٢١ - ١٩٩ - ١٨٣

فندال

٦٦

فولتا العليا

٧٣

الفيليبين

٣٤٦ - ٣٠٣

- ق -

قادرية

٦٩

قبرص

٣٣٥ - ٢٠٠ - ١٩٩

قناة السويس

٣٤٧ - ٣٤٥

قوط

- ك -

كنعانيون ٣٠٥ - ١٧٩ - ١٧٨ - ٦٥ - ٥٧

كندا ١٨٨

كوبا ٣٤٦ - ٣٠٣

الكونغو ٢٦٠

- ل -

لانجرا ٣٣٤ - ٣٢٠

لبنان ٣٢١ - ١٨٣ - ١٧٤

لمتونة ٦٥

ليبيا ٧٣ - ٤٦

- م -

مالي ٧٢ - ٧٠ - ٦٩ - ٦٨ - ٦٥

مدغشقر ٢٩ - ٢٨

مرايطنون ٨٧ - ٨٣ - ١١ - ١٠

مرينيون ٣٧٣ - ٤٩ - ٤٥ - ١٣ - ١٢ - ١١

مسلمون: ٣٧٤ - ٣٧٢ - ١٧٤ - ١٧١ - ١٦٧

٣٧٦ - ٣٧٥

مصر - ١٥٠ - ٩٦ - ٧٣ - ١٧٤ - ٣٩ - ١٣

- ٣٤٩ - ٢٠٣ - ٢٠٠ - ١٩٩ - ١٥٥

٣٧٦

المغرب - ١٧ - ١٣ - ١٢ - ١١ - ١٠ - ٩

- ٣٥ - ٢٧ - ٢٥ - ٢٠ - ١٩ - ١٨

- ٥٠ - ٤٧ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٤ - ٤٣
 - ٦٦ - ٦٥ - ٦٠ - ٥٧ - ٥٦ - ٥٥
 - ٨٣ - ٨٢ - ٨١ - ٧٢ - ٧١ - ٧٨
 - ٩٩ - ٩٢ - ٩١ - ٨٧ - ٨٥ - ٨٤
 - ١٢٨ - ١٢١ - ١١٨ - ١٠٥ - ١٠٤
 - ١٣٨ - ١٣٧ - ١٣٥ - ١٣١ - ١٣٠
 - ١٥٢ - ١٥١ - ١٤٩ - ١٤٦ - ١٤٠
 - ١٦٨ - ١٦٧ - ١٦٥ - ١٦١ - ١٥٢
 - ١٨٧ - ١٨٥ - ١٨٤ - ١٧٠ - ١٧٩
 - ٢٠٨ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ١٩٣ - ١٩٠
 - ٢١٨ - ٢١٦ - ٢١٥ - ٢١٠ - ٢٠٩
 - ٢٣٧ - ٢٢٦ - ٢٢٤ - ٢٢٣ - ٢٢٢
 - ٢٤٣ - ٢٤٢ - ٢٤٠ - ٢٣٩ - ٢٣٨
 - ٢٥٦ - ٢٥٥ - ٢٥٤ - ٢٤٩ - ٢٤٤
 - ٢٦٢ - ٢٦١ - ٢٦٠ - ٢٥٩ - ٢٥٨
 - ٢٧٩ - ٢٧٧ - ٢٧٥ - ٢٧٢ - ٢٧١
 - ٣١٨ - ٣١٦ - ٢٨٥ - ٢٨١ - ٢٨٠
 - ٣٤٩ - ٣٤٨ - ٣٤٥ - ٣٣٠ - ٣٢٠
 . ٣٧٦ - ٣٧٢ - ٣٦٥

٧٠

مكسيك

١٨

مماليك

٢٠٧ - ١٥٤ - ١٣ - ١١

موحدون

٩٨ - ٧٢ - ٦٨ - ٤٣

موريطانيا

-ن-

٢١٠ - ١٧٢ - ١٥٨	نمسا
٢١٠	نورويچ
- ٧١ - ٦٩ - ٦٧ - ٦٦ - ٦٥ - ٤٦	نيجر
٧٣ - ٧٢	نيجريا
٦٩ - ٦٨	

-ه-

٩٥ - ٨٣	بنو هلال
٢٨١ - ١٩٩	الهند
٢١٠ - ١٠٣ - ٩٢	هولندة

-و-

١٥٧ - ١٤٣	الودايا
١١٨ - ١٢	بنو وطاس
- ١٦٠ - ١٣٦ - ٧٠ - ٦٢ - ٦١ - ٥٦	الولايات المتحدة
- ٢١٠ - ١٩٢ - ١٨٢ - ١٨١ - ١٧٤	
- ٣٤٩ - ٣٢٣ - ٢٣٩ - ٢٣٧ - ٢٢٤	
. ٣٦٣	

-ي-

٥٦	اليابان
١٥٩ - ٧٣	يمن
٢٢٢ - ٢٠٨ - ١٨٣	يهود

٤ - فهرس المصادر

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصرى الدار البيضاء

. ١٩٥٦

البرق اليماني في الفتح العثماني - قطب الدين المكي

تاريخ تطوان - محمد داودو - معهد مولاي الحسن تطوان ١٩٥٩ .

تاريخ العرب المطول - فيليب حتي - بيروت

الاعلام - خير الدين الزركلي - بيروت

كتاب المغرب - الاستاذ الصديق بن العربي - دار الغرب الاسلامي .

الوثائق : مجموعات دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية - المطبعة

المملكة الرباط ١٩٩٢ .

الوكالة الحضرية للدار البيضاء - نشرة صادرة عن وزارة الداخلية في

المملكة المغربية .

عدد خاص ممتاز عن السياحة في المغرب رقم ١١٤ آب / اغسطس

. ١٩٧٣

وثيقة تاريخية عن تطوان - محمد بن تاويت - ١٩٥٦ .
 مجلة العربي عدد ٢٢٩ / ١٩٧٧ - فهمي هويدة .
 التقارير السرية في المعاهدة الفرنسية الإيطالية حول ليبيا ١٩٢١ .
 صحيفه الاستقلال المغربية عدد ٢٣ سنة ١٩٥٢ .
 نشرة الأنبياء المغربية - نيويورك ٢٨ / ١١ / ١٩٥٢ .
 تاريخ المغرب في القرن العشرين - روم لاندو ترجمة نقولا زباده
 بيروت ١٩٨٠ .

المصادر الأسبانية

- historia de España - Aguado Bleye pedro 1928
- La España de Franco (1936 -1945) Madrid 1983 por Antonio Marquina Barrio.
- Franco visto por sus ministros - de varios planeta.
- «La España real» julián Mariás - Espasa calpe 1975.
- EL Escándalo del islam - J - M Gironella planeta 1982.
- España - servicio informativo espñpol Madrid 1963.
- Textos - sección de documentación mimistro de informción Madrid.

المصادر الفرنسية

- Raynard, Robert. le livre Jaune Francais.
- Ricard, Prosper (les guides bleus) - Paris 1948.
- Victor Berti; les evenementd de Casablanca August - sepetembre 1953.
- Lyautey, L. H. G, paroles d'actions Paris 1927.
- Odinot, Paul: rôle politique des Confreries Religieuses et des zaouias au Maroc orán 1930.
- Albert Musset: lanegociation Franco-Espagnole sur le Maroc - le

Monde 10 sep. 1954.

- Documents diplomatiques (affaires du Maroc 1910 - 1912 N 428.
- Dr Weissgerber: Au seuil du Maroc moderne - la Porte - Rabat.
- Marcias G - L'Algérie du Nord française dans l'histoire Paris 1937.
- Atlas des civilisations africaines.- Nathan.
- Maroc: office National Marocain du tourisme séjours au Maroc.
- Encyclopédie Noms propres de la langue française

المصادر الانكليزية

- Walter. B. Harris - Morocco that - Was london 1921.
- E. D. Morel - Morocco in diplomacy. london 1912
- Parliamentary Papers (cd. 5969) 1911 H. M stationery office.
- Parliamentary papers 9cd 2384) 1905 H. M stationery office.
- Eugene Aubin. Morocco of to - day london 1906.
- Harold Nicolson, sir Arther Nicolson 1930.
- Prince van Bulow deutsch land und die mächte 1930.
- Archives of the American legation at Tangier 1930.
- F. S. Vidal Religious brotherhoods in Morocco politics - Middle East Journal washington october 1950.
- Hassan II King of Morocco - the challenge Translated by Antony Rhodes 1978.

٥ - فهرس المحتويات

٥	الباب الأول
٧	الفصل الأول
٩	المقدمة الأولى - المغرب والحضارة
١٠	العثمانيون يحاولون ضم المغرب الى امبراطوريتهم
١١	ازدهار الحضارة المغربية الاندلسية في عهد الموحدين والمرinيين
١٣	منارة فاس المتألفة
١٥	الفصل الثاني
١٧	الدولة العلوية في المغرب
١٩	الاطماع الفرنسية في المغرب
٢١	الفصل الثالث
٢٥	المقدمة الثانية محمد الخامس - الملك القائد
٢٨	خطوة واحدة الى الوراء وخطوتان انتنان الى الأمام
٣١	الفصل الرابع
٣٥	الملك الحسن الثاني
٣٧	الباب الثاني

الفصل الأول	٤١
المساحة والسكان	٤٣
في سبيل المغرب الكبير	٤٥
المسيرة الخضراء	٤٨
عدد سكان المغرب	٤٩
الفصل الثاني	٥٣
طبيعة المغرب	٥٥
أنهار المغرب وأوديته	٥٧
مخزون المياه ومعدل الأمطار في المغرب	٦٠
المغرب هبة الأطلس	٦١
الفصل الثالث	٦٢
طرق القبائل والقوافل القديمة	٦٥
هكذا انتقل الاسلام الى افريقيا السوداء	٦٨
متى عرف الاوربيون افريقيا	٦٩
عبد الله بن ياسين ينشر الاسلام في افريقيا	٧١
يوسف بن تاشفين بين افريقيا والأندلس	٧١
الصحراء الكبرى	٧٢
خطر زحف الصحاري على البلاد العربية	٧٣
الباب الثالث	٧٧
الفصل الأول	٧٩
الدولة العلوية اسرة الشرفاء - الحسن الداخل	٨١
الفصل الثاني	٨٥
الشريف محمد الأول بن علي	٨٧

الفصل الثالث	٨٩
الرشيد بن الشريف بن علي	٩١
الفصل الرابع	٩٣
الشريف اسماعيل المظفر بالله . . . من مآثر السلطان اسماعيل . . .	٩٥
مكناس في عهد السلطان اسماعيل	١٠٠
على خطى العباسين	١٠٢
التوازن السياسي في عهد السلطان اسماعيل	١٠٣
تسامح السلطان اسماعيل	١٠٤
الفصل الخامس	١٠٧
السلطان أحمد الذهبي بن اسماعيل	١٠٩
الفصل السادس	١١١
السلطان عبد الملك - أبو مروان	١١٣
الفصل السابع	١١٥
المولى عبد الله بن اسماعيل	١١٧
الفصل الثامن	١١٩
السلطان على الأعرج بن اسماعيل	١٢١
الفصل التاسع	١٢٣
السلطان محمد الثاني بن اسماعيل	١٢٥
الزنج يستدعون المستضيء	١٢٧
الحروب الأهلية أخرب المغرب وأعاقت تقدمه	١٢٨
التقدم الصناعي الأوروبي	١٢٨
الفصل العاشر	١٣٣
السلطان محمد الثالث بن عبد الله بن اسماعيل	١٣٥

الانفتاح على المغرب	١٣٦
المغرب يعترف باستقلال الولايات المتحدة	١٣٦
المعاهدات تحسن العائدات	١٣٦
باقورة النزاع المغربي - الفرنسي	١٣٧
المغرب رائد التضامن الإسلامي	١٣٨
بعض مآثر السلطان محمد الثالث	١٣٩
الفصل الحادي عشر	١٤٣
السلطان يزيد بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل	١٤٥
الفصل الثاني عشر	١٤٧
السلطان سليمان بن محمد الثالث	١٤٩
أثر التسامح والارتجال على الوضع في المغرب	١٥٠
الفصل الثالث عشر	١٥٥
السلطان عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله	١٥٧
أعمال القرصنة وأسبابها	١٥٨
بدء الغزو الفرنسي للجزائر	١٦٠
الجيش الفرنسي يدخل الجزائر	١٦١
الزعيم عبد القادر الجزائري	١٦٢
الفرنسيون يعلنون حرب الدعاية ضد عبد القادر الجزائري	١٦٥
وقوف المغرب إلى جانب الثورة الجزائرية على الفرنسيين	١٦٥
معركة إيلي وفشل ثورة عبد القادر	١٦٦
أوروبا ترتج بضاعة الاستعمار	١٦٧
المغرب في حداد على خسائره الفادحة في إيلي	١٦٨
بريطانية تتحرك	١٦٨

الدول الأوروبية المتصرة تتوزع الغنائم.....	١٦٩
المغاربة يزيدون من نشاطهم الزراعي	١٧٠
نهاية الرجل المريض - تركيا	١٧٠
أسباب أخرى أدت إلى إنهيار الرجل المريض	١٧١
الغرب يفرض هيأته الدولية على الشرق	١٧٣
لماذا لم تقم هيئة دولية عربية - اسلامية؟ ..	١٧٤
فرنسا تطبق القوانين الرومانية على مستعمراتها ..	١٧٧
حاجتنا إلى القوانين	١٨٠
لماذا تميز الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن؟ ..	١٨١
الفصل الرابع عشر ..	١٨٥
السلطان محمد الرابع ..	١٨٧
دول الغرب ومؤتمر فيينا ..	١٨٧
شروط الصلح مع إسبانيا ..	١٩٠
السلطان محمد الرابع ينشيء جيشاً وطنياً ..	١٩١
انطلاق عجلة التقدم ..	١٩١
رفع التمثيل الدبلوماسي مع المغرب ..	١٩٣
حذار التقليد ..	١٩٤
الفصل الخامس ..	١٦٧
السلطان الحسن الأول ..	١٩٩
إنشاء قناة السويس ..	٢٠٠
الثورة العرابية في مصر ..	٢٠٣
أسباب تزاحم فرنسا وبريطانيا على احتلال المغرب ..	٢٠٣
الحسن الأول يعيد تنظيم الجيش المغربي ..	٢٠٤

البعثات الطلابية في عهد الحسن الأول ٢٠٦
اصلاح المخزن ٢٠٧
اصلاحات الحسن الأول ٢٠٧
الحسن الأول يرفع الغطاء عن الامتيازات الأجنبية ٢٠٨
الحسن الأول ومؤتمر مدرید لعام: ١٨٨٠ ٢١٠
الحسن الأول يستنجد بالعثمانيين ٢١١
الفرنسيون يحتلون تونس ٢١١
الفصل السادس عشر ٢١٣
السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول ٢١٥
السلطان عبد العزيز يقع في قبضة المنحرفين ٢١٦
اضطراب الوضع الداخلي واحتطاف الأجانب - الريسوني ٢١٨
أبو حمارة ٢٢٠
كيف احتالت بيوت المال الأوروبية على السلطان عبد العزيز ٢٢١
تخوف السلطان وتوسطه لدى بريطانية ٢٢٣
ازدياد الضغط الفرنسي على السلطان عبد العزيز ٢٢٤
فرنسا تمهد لاعلان الحماية على المغرب ٢٢٦
كيف ضمنت فرنسا عدم معارضه الدولة الأوروبية ٢٢٧
المعاهدة الفرنسية - البريطانية ٢٢٨
المخاوف الاسپانية من المعاهدة ٢٣٠
المخاوف الألمانية ٢٣٢
مؤتمر الجزيرة الخضراء ٢٣٣
قيصرmania في طنجة ٢٣٤
رؤساء الوفود في مؤتمر الجزيرة الخضراء ٢٣٦

حياد الولايات المتحدة وروسيا	٢٣٧
قرارات المؤتمر وغاياته	٢٤٠
التدخل الفرنسي السافر والاحتلال الدار البيضاء	٢٤٢
احتلال الرباط	٢٤٣
الفصل السابع عشر	٢٤٧
السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول	٢٤٩
أبو حمارة يوسع حدوده	٢٥١
نهاية أبي حمارة	٢٥١
اسبانيا تنزل جيوشها في شمال المغرب	٢٥٢
التواطؤ الاسباني الفرنسي	٢٥٣
لجنة المغرب الفرنسيية	٢٥٤
احتلال فاس	٢٥٥
الرعايا الالمان في المغرب يطلبون النجدة من بلادهم	٢٥٨
الفهد الالماني في أغادير	٢٥٨
اتفاق فرنسي - الماني واطلاق يد المانيا في الكونغو	٢٦٠
ماهدة فاس والحماية الفرنسية على المغرب	٢٦١
دور الكتاب الفرنسيين في تثبيت الاحتلال	٢٦٢
نصوص معايدة الحماية	٢٦٤
اقطاع طجنة وتدويلها	٢٦٨
لو يتعظ المستعمرون	٢٦٩
الشعب المغربي يقود ثورته المسلحة	٢٧٠
السلطان عبد الحفيظ يحتاج على الوجود الفرنسي	٢٧٢
الجماهير المغربية تندد بالحماية	٢٧٢

مدينة فاس ترفع لواء الثورة على المستعمرین ۲۷۳	
السلطان عبد الحفيظ يحضر على الثورة ۲۷۴	
الهبة بن الشيخ ماء العينين يقود الثورة ۲۷۴	
انتقال السلطان عبد الحفيظ من فاس الى الرباط ۲۷۵	
بين ليوتی وعبد الحفيظ ۲۷۷	
تدابير الجنرال ليوتی لاحتواء الثورة ۲۷۷	
ثورة الزعيم ماء العينين في الجنوب ۲۷۹	
الفرنسيون يتخلصون من السلطان عبد الحفيظ ۲۸۰	
الفصل الثامن من عشر ۲۸۳	
السلطان يوسف بن الحسن الأول ۲۸۵	
ليوتی يعتمد على التهامي الجلاوي ۲۸۵	
الفصل التاسع عشر ۲۸۹	
ثورة الأطلس الأوسط ۲۹۱	
الجنرال ليوتی يحاول تطويق الثورة ۲۹۲	
الحجاوي يقود قبائل التسول ۲۹۳	
الجنرال ليوتی يستخدم سلاح الطيران ۲۹۳	
الفصل العشرون ۲۹۵	
محا أو حمو والمعارك في زيان ۲۹۷	
الفرنسيون يسيطرون على طريق فاس خنيفرة - مراكش ۲۹۹	
معارك وادي ورغة ووزان ۲۹۹	
الفصل الواحد والعشرون ۳۰۱	
ثورة جبال الريف - من محمد أمزيان الى عبد الكريم الخطابي ۳۰۳	
الأمير عبد الكريم الخطابي ۳۰۵	

٣١٠	معركة أنوال
٣١٦	مناورات الجنرال برانخي
٣١٧	الخطابي ينشيء حكومة محلية
٣١٨	الخطابي يسيطر على الطرق الرئيسية في الشمال
٣٢٠	الحكومة الاسانية تناور لاكتساب الوقت
٣٢٢	القمر يطلع من المغرب
٣٢٣	ليوتي يطالب بهجوم فرنسي - اسپاني - بريطاني للقضاء على ثورة الخطابي
٣٢٤	ليوتي يطلب المزيد من القوات الفرنسية
٣٢٥	ابطال الجبال يتغلبون في قلب الخطوط الفرنسية
٣٢٧	الجنرال بيتان يتوجه الى المغرب
٣٢٨	الشعب الفرنسي في مواجهة حكومته الاستعمارية
٣٢٩	الثمن الباهظ
٣٣٠	هجوم الجنرالات
٣٣١	الخطابي يحرر المزيد من المواقع
٣٣١	تعزيزات فرنسية اضافية
٣٣٣	اقالة المارشال ليوتي
٣٣٣	الجنرال بيتان يخلف ليوتي
٣٣٣	اشاعة روح الهزيمة بين القبائل
٣٣٤	استسلام الخطابي
٣٣٥	آراء وأحاديث في ثورة الخطابي
٣٣٨	كتاب اميركيون يصفون حرب الريف
٣٤١	الباب الرابع

الفصل الأول	٣٤٣
الاستعمار الاسباني في المغرب	٢٤٥
الباب الخامس	٣٥١
الفصل الأول	٣٥٣
الطرق الصوفية في المغرب	٣٥٥
الفصل الثاني	٣٥٩
الفرنسيون وأصحاب الطرق	٣٦١
علاقة بعض أصحاب الطرق بدول الغرب	٢٦٢
شيخ الوزانية بين بريطانية وفرنسا	٣٦٣
الكتانية من الدين الى السياسة	٣٦٤
الباب السادس	٣٦٧
الفصل الأول	٣٦٩
ظهور الحركات الاستقلالية في المغرب	٣٧١
نجم شمالي أفريقيا	٣٧١
حلقة فاس والرباط	٣٧٢
الحركة القومية المغربية	٣٧٢
أنصار الحق	٣٧٣
اتحاد الطلبة	٣٧٤
دور الجمعيات التبشيرية الهدام	٣٧٦
الشباب المغربي يقود حركة الوعي	٣٧٧
نهاية الجزء الرابع	٣٧٩